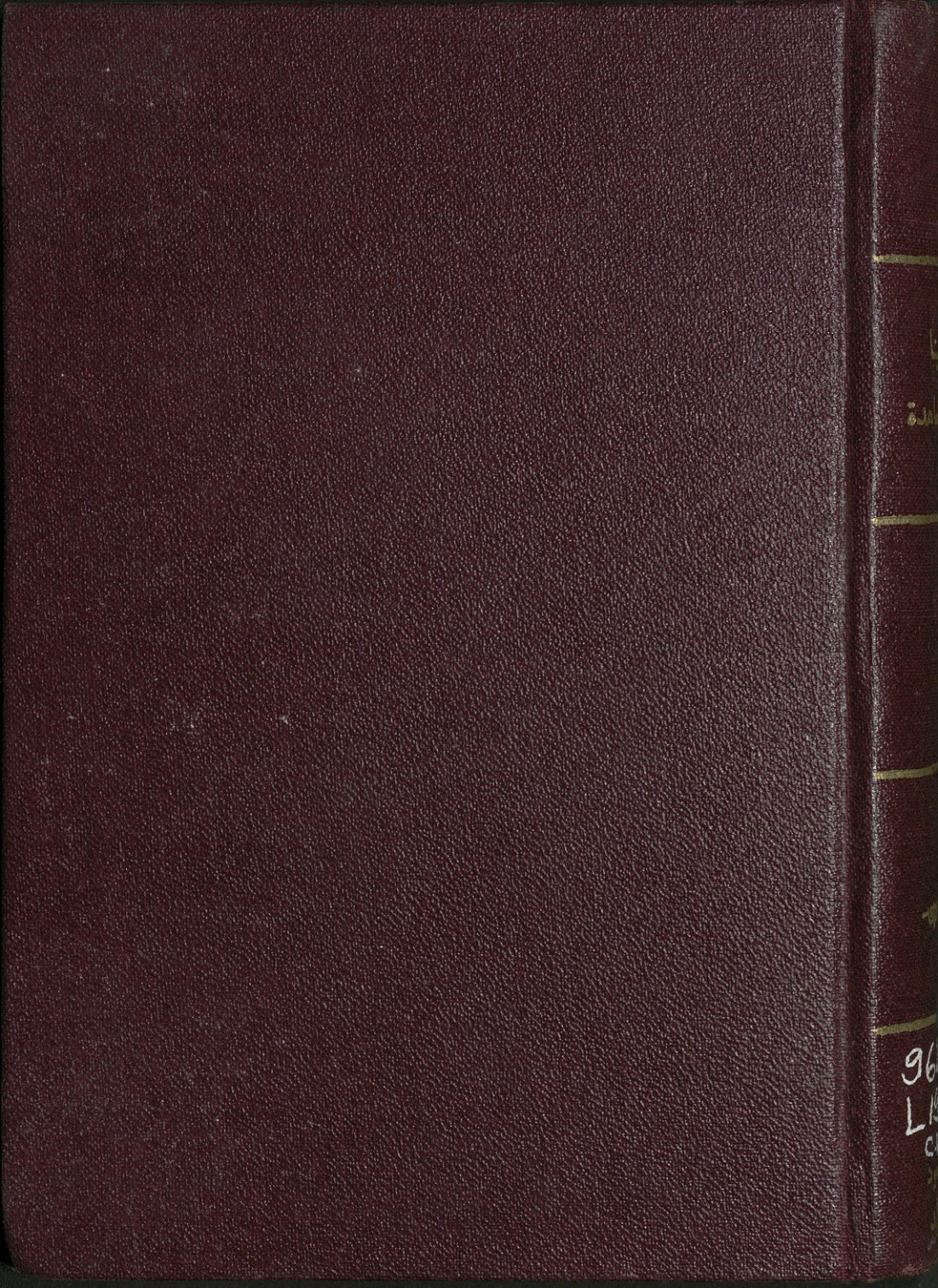




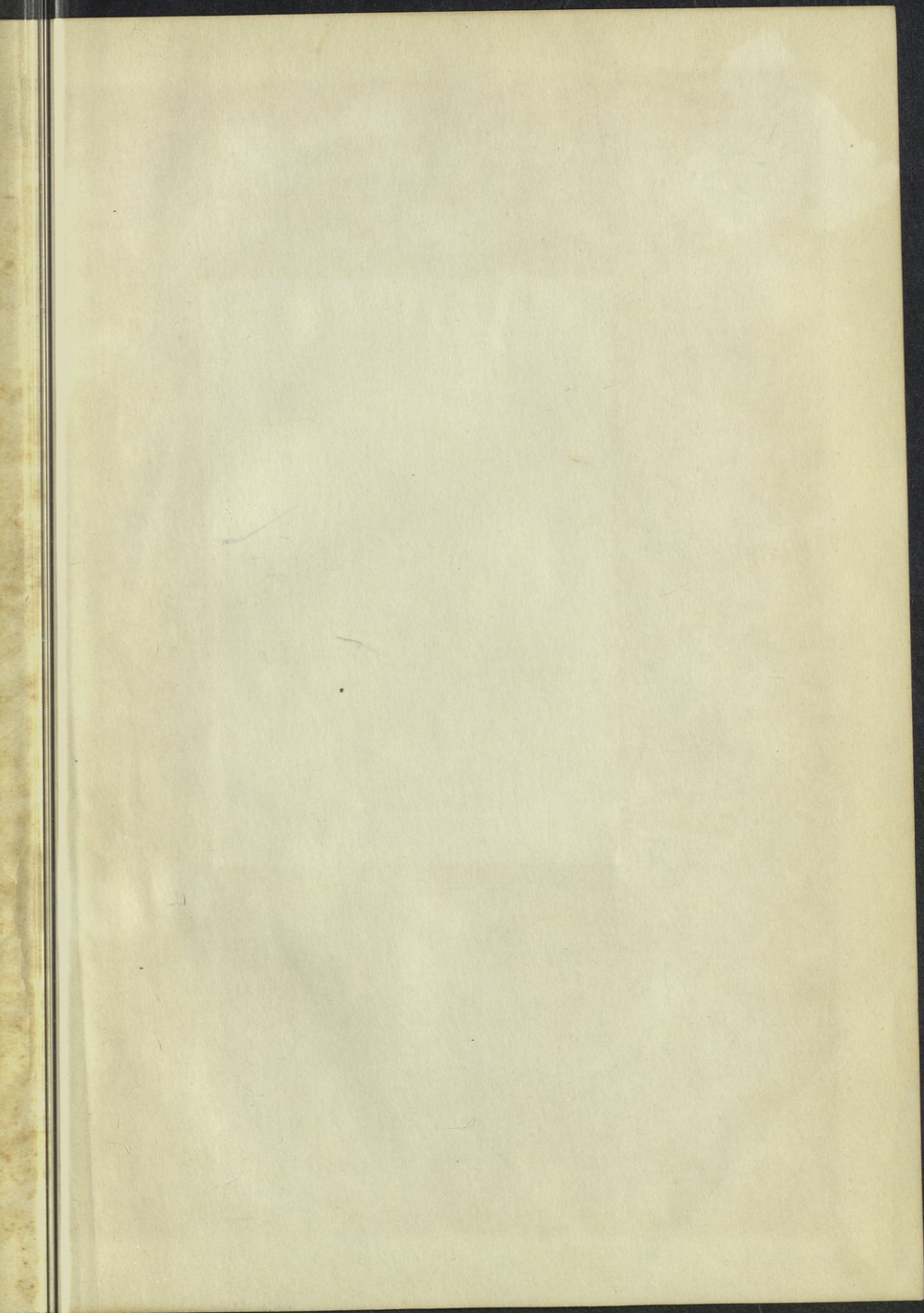
96
L
C

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



تجليد صالح الدقو

٢٢٢٩٧٧





962
L19wA
c.1

١٩٣٨
السنة الجديدة

وَأَجِبْنَا بَعْدَ الْمَعَاهِدَةِ

دار النشر الحديث
القاهرة

11041

11-1-11

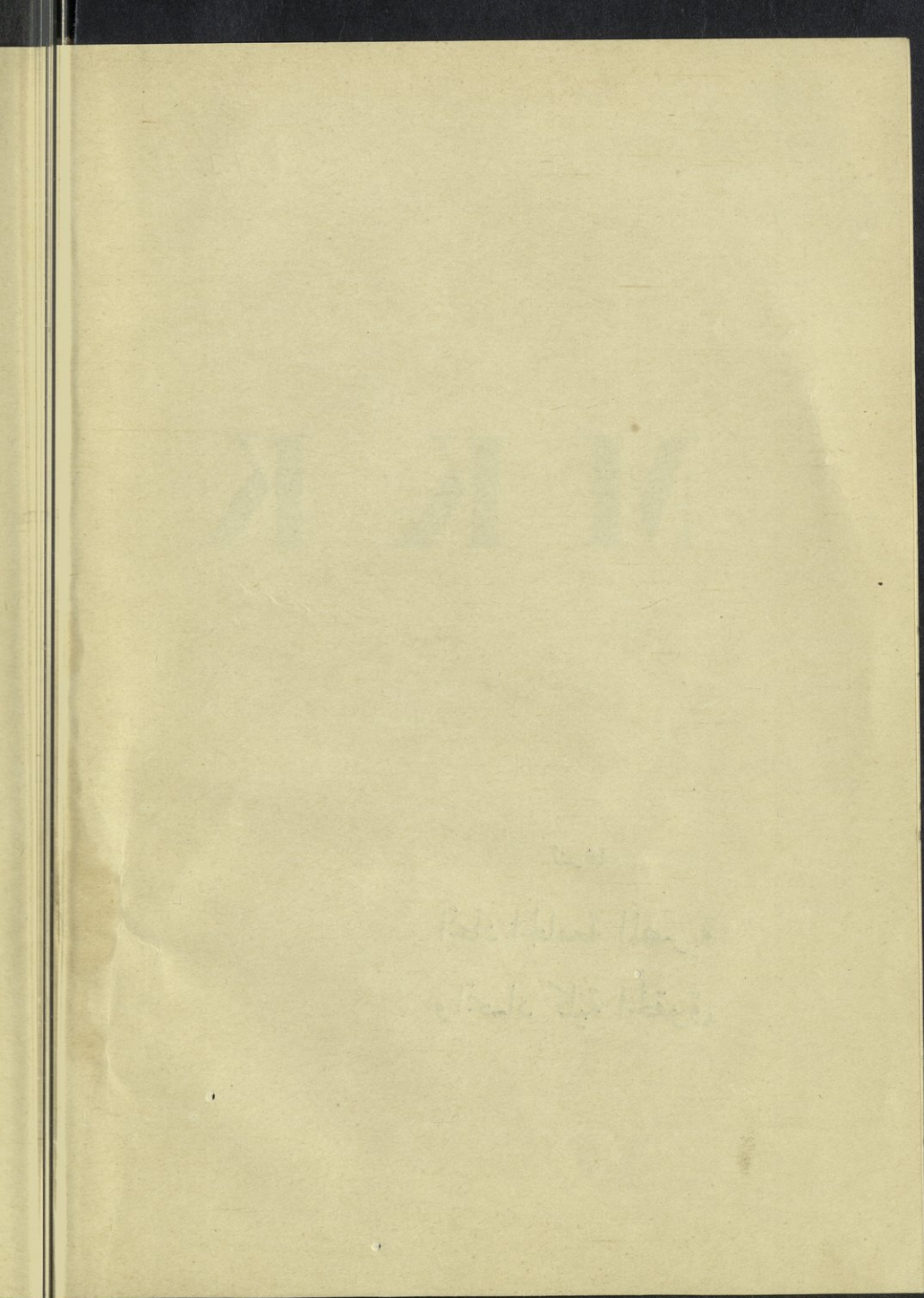


11-1-11

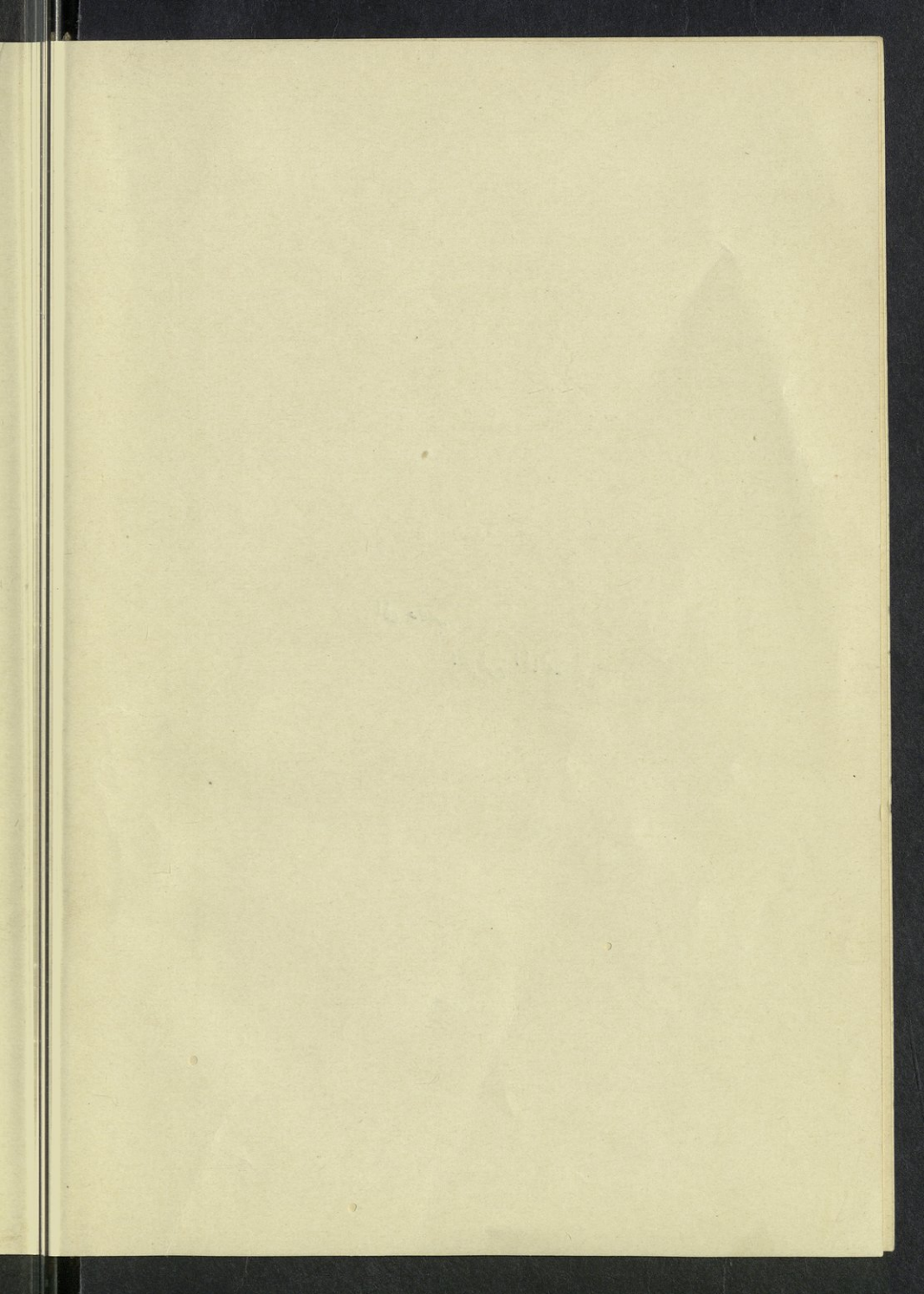
M K K

نشرها

اتحاد الجامعة المصرية
واتحاد كلية الحقوق



الى مصر
الوطن الخالد



لجنة واجبنا بعد المعاهدة

عبد الحميد حلاوه (كلية الحقوق) سكرتير اللجنة

» على كريم

» ابراهيم مغازى

» عيد حلمى

» عبد الحميد الشواربى

أعضاء {

ثم ضمت اللجنة اليها :

حامد عبد المجيد « كلية الآداب »

Highland Falls, N.Y.

Mr. H. W. (H. W. H. W.)

1871

1872

1873

1874

1875

1876

واجبنا بعد المعاهدة

كانت فكرة خطرت في خيال ثم تداول عليها ما يأتي
على الفكر من كروفر، ومد وجزر، حتى أتيح لها
أن تخرج إلى الوجود فخرجت قوية معتزة بقوتها،
فتية شديدة بقوتها، خصبة ناضجة بخصوبتها، وليس
عجيباً أن تخرج الفكرة بهذه القوة والحماسة مكتملة
النضوج متينة البنيان، فهي فكرة من الشباب وإلى
الشباب، وذهن الشباب دائماً يشتغل، فيتقد، فيشتعل فتنبثق
منه الشعلة التي تنير الطريق.

ولا عجب بعد ذلك إذا انتظم في هذه الصفحات بحوث
قل أن تجتمع بين دفتي كتاب،.. بحوث أخرجه
اختصاصيون، مفكرون، باحثون، قد خبر كل من قبل
ناحية حديثه وبحث فيها علماً وعملاً فتكون له على مر
السنين رأى قوى دقيق.. ثمرة تجارب سنين وأيام...

في هذا الكتاب صفحات لكل مصرى أو مواطن . . .
في كل علم وفن تجد بحثاً وفي كل ناحية من نواحي النشاط
المصرى تجد حديثاً وفي كل طريق في حاجة إلى تعبيد
تجد أوجه الترميم والتعبيد . . . يجد الشباب فيه واجبهم ،
ورجال الحروب مواد قنابلهم ، والاجتماعيون أسسا
لعملهم ، ورجال الأدب طرائق لتفكيرهم ، والقانونيون
تشريعهم ، والزراعيون ثمارهم والصحيون أدويتهم ،
والرياضيون تمريناتهم ، والطلبة والفلاح والنساء ،
والصحفيون الخ . وكل مصرى يشعر أن للوطن على المواطن
واجباً عليه أداؤه يجده ظاهراً جلياً .

ولعله من واجبنا أن نرد على من تفضلوا بنقد الفكرة
من أن واجبنا قبل المعاهدة هو بعينه بعد المعاهدة وأتينا
لا نأتى بجديد في الحديث عن واجب جديد . . فلا شك
أن المعاهدة كانت حادثاً فريداً له أثره وقوته في تاريخنا
المصرى الحديث . كانت فاصلاً بين عهدين أو قطرة بين
شطين — إن صح هذا التعبير — أما أولهما فقد سيطرت
فيه الفكرة السياسية على النفوس واتجهت الجهود كلها
ناحية السياسة ونحو مكافحة الغاصب ومحاربة نظم الطغیان

وإثارة كوامن النفس المصرية الثائرة وتوجيهها ناحية الثورة والفداء . . فكانت السياسة تستغرق جهودنا وتحد من تفكيرنا، وكان مثلنا الأعلى أن نسعى لنيل الاستقلال ومحاربة الطغيان في شتى الصور والمعالم. أما الثاني — وهو العهد الجديد — فهو عهد قد استقر فيه نشاطنا السياسى إلى حد ما واتجه إلى وجهة معينة واضحة المعالم مرسومة الخطوات . عادت إلينا فيه روحنا المعنوية بخلق وبعث جديدين، فأصبحنا نجتهد في الانتاج والابتكار ونحن على ثقة أن الخيرات تعود إلينا وحدنا لا على فرد آخر ليس من أهلنا ولا قومنا . . لذا وجب أن يتجه تفكيرنا ناحية جديدة، ناحية من يعمل لنفسه وهو حر غير مقيد ولا مكبل . ومن يجاهد في سبيل وطنه واثقاً أن الجهاد والبذل والفداء لمصر وحدها دون غيرها من الأوطان . . ولذا تعين الخلاف بين الواجب قبل المعاهدة وبعد المعاهدة، وتعين تحديد هذا الواجب تحديدا جديدا يتلاءم مع العهد الجديد، وشتان بين من يفكر وذهنه حر طليق وينطلق فيه إلى حيث لا حدود ومن يعمل وذهنه مكبل مصفد يعمل في أفق محدود كتب عليه ألا يتعداه، وكان لزاما

علينا أن نذكر الناس أننا كنا في الماضي نلقى عبء
التواكل والتأخر على غيرنا من الناس . أما اليوم فلا
عذر لنا وليس ثمت ما يعوقنا عن التسابق في ميدان
التفنى والابتكار . حتى تفوق مصرنا سائر البلاد
والأمصار ..

وإنه لنجاح لفكرتنا نحسد عليه أن تلاقى المحاضرات
هذا النجاح المنقطع النظير ، وأن يستقبلها الجمهور المصرى
استقبال العارف لخطورتها المقدر لقوتها وحماستها ولتفكير
وآراء البحااث المحاضرين . . . فأحدث الآراء ضجة
تقدير واستحسان بين الرأى العام يتناقش الناس فيها
مجتهدين أن يستشفوا ما وراء سطورها من معان سامية
وأفكار راقية ، واهتمت كل طبقة بالبحث الذى يختص بها
وتداوله أفرادها نقاشاً - ولو علمت أن هذه المحاضرات
تحدثت فى كل نواحي النشاط المصرى لخرجنا بنتيجة منطقية
هى أن هذه البحوث كانت محل اهتمام الرأى العام المصرى
بأكمله . . .

ولعله كسب لنا أيضاً أن يضيف الناس عن طريقنا
الى قائمة الخطباء المعدودين فى مصر والى قائمة الباحثين

المحاضرين بحائثاً جدد ما سمعهم الجمهور من قبل ، بل ما رأهم
يعتلون المنابر ويحدثون الجماهير من فوق هذا المحراب
المقدس ، فأقبلوا إذ ذاك يتنازعهم عاملان .. عامل الدهشة
والتطلع اليهم وهم يسمعون نبرات صوتهم الخطائية لأول
مرة وعامل الاجلال والاكبار لمقدرتهم في البحث
والاطلاع ، ولشد ما خاب ظنهم واعتقادهم إذ ظنوا أنهم
سيرون خطيئاً قد أخرجته الظروف فمأراهم إذ اعتلى
المنبر ليتكلم ... إلا أن سلبوا بخطابهم وسروا بكلامهم
واهتزت ميولهم وأفكارهم ببعضهم وبيانهم ...

وازاء تقدير الهيئات لهذه البحوث رأينا أن نجتمعها
في هذا الكتاب نرفعه للهيئات المختصة راجين منها العمل
بما فيه من آراء وبحوث جديدة بالتقدير والاعتبار ، ولتجتمع
في يد الشباب بحوث قوية كقوته ، حماسية كحماسه ...
مؤمنة كإيمانه ... فيرى في سطورها بعضاً من روحه
وقبساً من نوره ، ويجد فيها أسلحة يقوى فيها فكره وعقله
وحديثه وأن يعمل لتحقيق هذه الأغراض تحقيقاً يليق
بقوتها وصراحتها ويبتدأ أينما اتجه أن يجعلها مثاله الذي
يسعى اليه بجد واجتهاد ...

ولعله من واجبتنا وقد دعونا الى تذكير الناس بواجبهم
ألا ننسى واجب الشكر نحو من تفضلوا علينا بالمؤازرة
والتأييد، وإلا كنا كمن ينصح الناس وينسى نفسه، أو كمن
يهدى الناس للهدى وليس للهدى الى قلبه من سبيل.
فالى المحاضرين الذين تفضلوا فوضعوا الأسس لهذا
البناء الشاىخ شكر المقدرين للجميل، العارفين بالفضل
العاجزين عن الشكر.

والى صاحبة الجلالة الصحافة يومية وأسبوعية منا
خالص الشكر والتقدير، شكراً ينطلق دون حدود مقدرين
لمؤازرتها كل التقدير....

والى رجال قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية
شكرنا العميق لمساعدتهم القيمة لنا فيما اتوينا وأتينا.
والى الجمهور المثقف الكريم الذى أقبل على هذه
المحاضرات إقبال العارف بالأمر المقدر لخطره وأثره منا
أعمق التقدير وأجزل الوفاء.

والى هيئة اتحاد كلية الحقوق وصحيفة الجامعة المصرية
منا الشكر الخالص لمساعدة الهيئتين فى إخراج هذه البحوث
منتظمة فى هذا السفر الجليل.

ولعله من واجنا نحن الشباب بعد هذا الحادث الفريد
أن نقول إننا نرى أن حياة الأمم السياسية وكفاح الشعوب
للحركات الاستقلالية لا تختتم بمعاهدة ما إلا إذا احتضرت
نزعة السمو والكمال واندثرت هذه المثل من الوجود . . .
لحياة الأمم ونضالها لا تقف في طريقه نصوص مكتوبة
ولا التزامات معروفة إنما كل أمة حرة طليقة أن تأتى كل
ما تشاء في سبيل أن تحقق أملها المنشود بأن تسبق مختلف
الأمم الى العلا ما استطاعت الى ذلك سبيلا .
وليكن شعارنا إذن بعد المعاهدة أن نقول :
انتهينا من الجهاد الأصغر فلنبداً في الجهاد الأكبر ؟

عبد الحميد مهروزة

الطالب بكلية الحقوق

وسكرتير اللجنة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين
والسلام
والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين
والسلام
والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين
والسلام

والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين
والسلام

أحمد لطفى السيد باشا
مدير الجامعة المصرية

« حديث عن »

« واجب الجامعيين بعد النهضة »

لم يكن من المنطق أن تنظم « لجنة واجبنا بعد المعاهدة »
بحوثها عن واجباتنا بعد المعاهدة في شتى ميادين الحياة
المصرية وتنسى واجب الجامعيين وهم الجيل المثقف الحديث
باعتبارهم هيئة لها كيانها الخاص وقوتها المعنوية، لذا تشرفت
بمقابلة حضرة صاحب السعادة مدير الجامعة فتفضل على
بالحديث التالى

« واجب الجامعيين بعد المعاهدة هو بعينه واجب
الجامعيين قبل المعاهدة، فان التربية والتعليم والبحث العلمى
أساس للكيان القومى المتحد، فرسالة الجامعة التى من أجلها
كانت ما زالت هى هى . . اذا أعجبك أن أكررها لك
فدونكها :

الغرض من الجامعة أن يقوم أساتذة الجامعة بنصيب
مصر من احتمال المسؤولية عن ارتقاء العلوم والآداب
فى العالم، إلى جانب ذلك أن يلاحظوا من شاء من الشبان
أن يتعلم علمه ويحتذى خلفه فى سلوكه . . أقول ذلك وأعنى
به أن طلبة الجامعة ليسوا اكستلاميد المدارس يساقون إلى

الدرس سوقا أو يطلب منهم أكثر من أن ينتفعوا من علم أساتذتهم ومن سلوكهم الشخصي وآدابهم الاجتماعية. وهنا أستطيع أنؤكد أن في نفسي أن أرى ذلك اليوم الذي لا يحتاج فيه الأستاذ الى حث الطالب على الاجتهاد بأى صورة من صور الحث. ألسنت ترى معنى أنه لا يمكن أن يوجد عالم بالاكراه ورغم أنفه... أو ليس الامتحان غير الامتحان النهائى والمواظبات وما يستتبع من طرائق الاكراه للدرس... قد أكون فى ذلك، ألحظ الطالب باعتبار ما يجب أن يكون عليه لا باعتبار ما هو هو فى الواقع، ولكنى واثق من أن من بين الطلبة من هو كما أرى، جاء بمحض اختياره ليتعلم العلم ولينتفع بالتربية الجامعية خلقية وبدنية معا، فى اليوم الذى يكون فيه عدد هؤلاء هم الكثرة تكون صورة الجامعة التى فى نفسى قد تمت وان كانت رسالتها أبدية لاتمام لها

— انه فما واجب الجامعيين نحو الاصروع الاجتماعى ؟
 بسطت لك فى كلمات رسالة الجامعة أو تعبارة أخرى واجب الجامعى من حيث أنه جامعى ، ولا يفوتك مع هذا أن قانون الجامعة فرض عليها نشر العلم والثقافة

و توجيه قواها الى تشجيعهما، فاذا ضن الجامعيون بجهودهم
في دائرة ما يستطيعونه من الاصلاح فقد قصرُوا في
واجب الجامعة

— ألو نوره - معاذ نكم أنه للجامعة في عمرها الجدير
رسالة نحو الأمم العربية؟ وما هي؟

— نحن على استعداد تام لأن نخدم كل من تفضل
بقبول خدمتنا له من الأمم العربية. وأظن أن الجامعة
أثبتت استعدادها هذا بالفعل لا بالقول كلها سنحت الفرصة
لذلك، لأننا نرى أن تكون العلاقات الثقافية على أتم
ما يمكن أن تكون بيننا وبين جيراننا

— ألو نوره - معاذ نكم أنه على الجامعيين مهمة نحو تثبيت
وعائهم الديمقراطية في مصر في عمرها الجدير ...؟

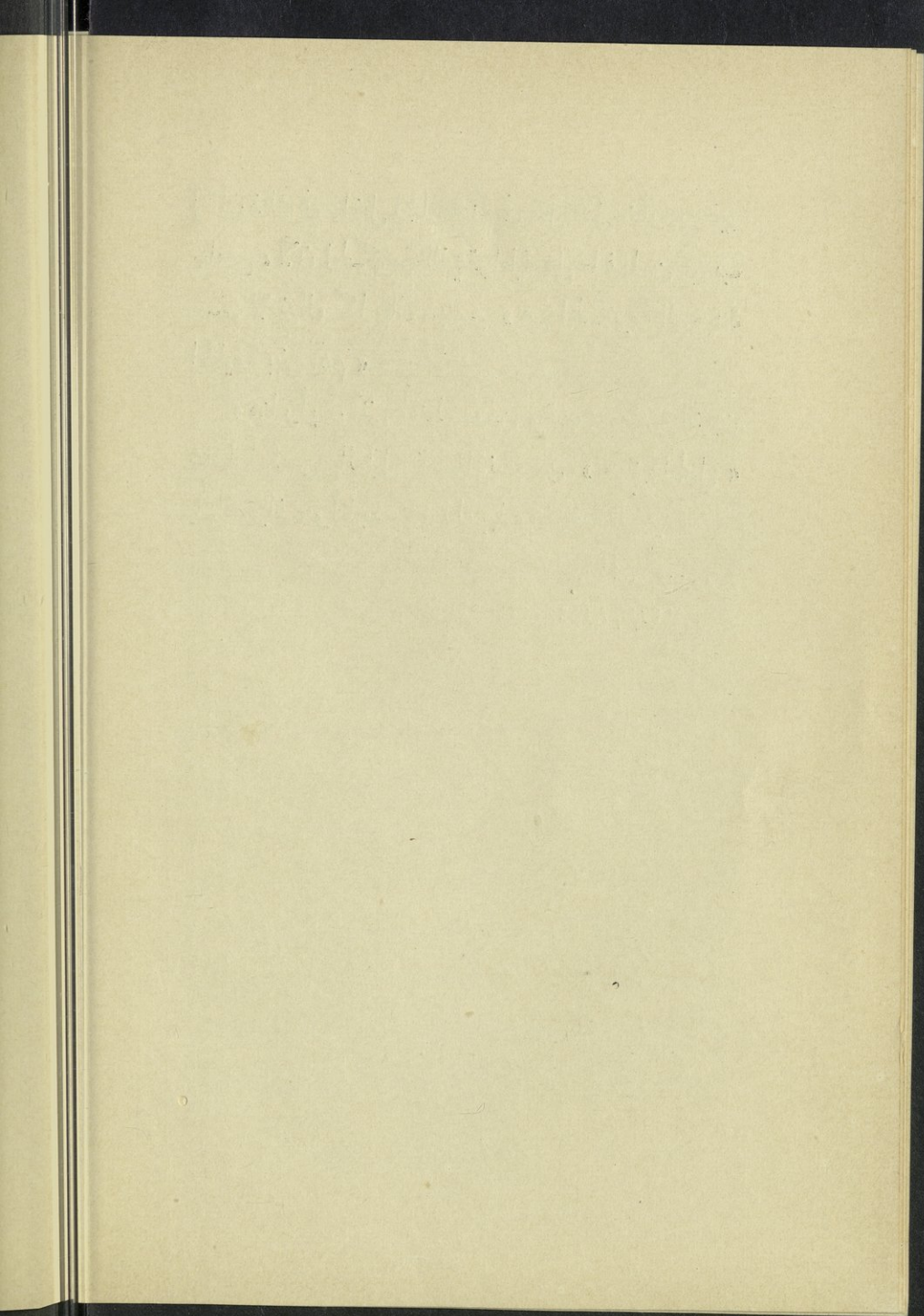
— للجامعي من حيث هو جامعي أن يشتغل بالسياسة
النظرية ما شاء، بل عليه أن يشتغل بها وليست قوانين
الجامعة مانعة إلا السياسة العملية والاشتراك فيها بالذات.
وعلى هذا المعنى أقول لك إن الجامعة بما يدرس فيها من
علم الأخلاق والفلسفة والقوانين وأصول التشريع لا تجد
محيصاً من نشر المبادئ الديمقراطية والسهر على حفظها،

أكان ذلك في داخل الجامعة أم في كل عمل خارجي غير
جامعي ، لأن الحكومة الديمقراطية على ما فيها من عيوب
شئ لا تزال كما قال سبنسر « هي الحكومة الوحيدة
الخليقة بنبي آدم »

وهنا رأيت أنني اقتطعت من وقت سعادته الثمين
شظراً ليس بالقليل فاستأذنت من « مربى الجيل »
بالانصراف وأنا سعيد جذل بهذه الفرصة السعيدة

عبد الحميد صلاوة

الطالب بكلية الحقوق



أحمد نجيب السهلاني بك
وزير المعارف السابق وعضو مجلس النواب

واجب الشباب بعمر المعاصرة

٥ ديسمبر سنة ١٩٣٦

سيدي . سادتي . اخواني :

هذا الحفل الباهر من إلهام الشباب ، والشباب
لا يقفون عند حد الإلهام بل يمتصون في جرأة واقدام
من الإلهام الى الانجاز والتمام

طلبوا الى أن تحدث اليهم في هذا المقام فأكثر
من التجميل والاعتذار ، ثم آمنت بأن رغائب الشباب
احكام لا تقبل النقض والابرار . في يدهم لكل انسان
ولكل شيء زمام . فاذا ارادوا دان لهم كل مطلب ومرام
هذه الروح النامية الزاهرة كانت حلما من الاحلام .

فاصبحت حقيقة واضحة لا لبس فيها ولا ابهام
وانى لسعيد غاية السعادة بأن أقف من رغبتكم موقف
الامثال ، ويزيدنى غبطة ما يرد على خاطري في هذا المقام
من ذكريات الشباب الحلوة الطيبة الجميلة

كانوا ونحن في روق الشباب يعترفون لنا بالحركة
والاقدام والفتوة والاقتدار والتوقد والابتكار ، ولكنهم
كانوا ينكرون حظنا من السكون والهيبة والاحترام .

كانوا يزعمون أن الشباب يسبحون في الآمال والأمانى
والأحلام ، ناسين أن الأمانى والأحلام هي التي خلقت
في العالم جميع الأبطال . وكانوا ينصحون للشباب بالرفق
والتحمل والأناة . ولكن الشباب نهضة لا تحجم ، وحياة
لا تهزم . وهو معجزة رائعة ، وقوة في قوة في قوة . ففي
هذا العهد ظهر في سماء مصر شهاب ساطع ينادى « أنا
لا أزال ضغيراً ولكن لي أطماعا جساما فاني أريد أن
أوقظ في مصر الهرمة ، مصر الفتاة . هم يقولون ان وطني
لا وجود له وأنا أقول انه موجود وأشعر بوجوده بما
آنس في نفسي له من الحب الشديد الذي سوف يتغلب
على كل حب سواه ، وسأجود في سبيله بجميع قواي وأفديه
بشبابي وأجعل حياتي وقفاً عليه . اني أبلغ من العمر
أحدى وعشرين سنة ، وأريد أن أكتب وأخطب وأنشر
المحبة والاخلاص للوطن الذي أجده في نفسي . وقد قيل
أكثر من مرة إنني أحاول محالا ، وحقيقة تصبو نفسي الى
هذا المحال »

منذ تلك اللحظة رفع مصطفى كامل راية الوطنية في
مصر ، فكان أول من التف حوله الشباب ، وكانت الحركة

كلها - قائدا وجندا - حركة شباب ليس لها من العدة سلاح ولا مال ولا أسباب ، ولذلك كان شعارهم ان الوطنية وحدها قادرة على أن تكسح بتيارها الجارف كل ما تجده أمامها من صعاب

ولكم نعى حزب الاعتدل والهيبة على مصطفى كامل وأنصاره انهم حزب الثورة والعجلة . ولكن سحر الوطنية الجميل سحر جميع الناس في سنتين اثنتين ، حتى ان جرائد الحكومة جارت حركة الشباب ، وعندئذ قال مصطفى كامل كلمته المشهورة « إني لأعجب لهذا الشئ المدهش من حكومة أطعن عليها بكل قواى » . ولما مات زعيم الشباب بعد عشر سنين من هذا التاريخ رفعت مصر صوتها بالثناء عليه وعلى مبادئه ، وعندئذ كتب النصر لحركة الشباب ولمبادئ الشباب فادعاها الناس جميعاً .

وليس شئ أدل على ما كان لهذه الحركة من الأثر الفعال فى نهضة مصر الحديثة من الكلمة التى قالها زعيم مصر الخالد سعد زغلول فى سنة ١٩٢٣ . قال رحمه الله : « ان لمصطفى كامل فضلا عزيزاً فى هذه النهضة ، هذا هو الحق ، ولا يكتم الحق إلا الضعيف »

وفي سنة ١٩١٩ حينما كانت الوطنية في ظلال الأحكام
العرفية جزعة من حياض الموت بعثها الشباب صيحة تدوى
في أرجاء القطر فرددت البلاد صداها من أقصاها إلى
أقصاها، وكان شباب المدارس أول المضحين من أهل
البلاد وأول من وردوا المعازل والسجون

وفي سنة ١٩٣٥ كتب الجهاد على الشباب فجاهدوا
كأحسن ما رأينا وبذلوا في ذلك المهج والأرواح وكانت
كلمتهم هي العليا في جمع الشمل وتوحيد الصفوف

هذه ثلاثة مواقف حاسمة تشهد لشباب مصر بأنهم
من أكبر بناء العهد الجديد وبأنهم قد بلغوا في ذلك غاية
ليس وراءها مزيد. ولقد صدق دزرائيلي حين قال «مامن
شأن عظيم إلا وفيه للشباب شأن عظيم» وأى شأن أعظم
من رسالة محمد ومن عون الشباب لدعوة محمد. دعا محمد
للاسلام فقالت العرب «أمر عظيم» وكان أول من تابعه
على الاسلام من الرجال شاب صغير هو علي بن
أبي طالب أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة.

دعاه النبي إلى عبادة الله فاستمهل حتى يشاور أباه، ثم
قضى ليله مضطربا حتى اذا أصبح أعلن إلى النبي أنه اتبعه

من غير حاجة الى رأى أيه ثم قال « لقد خلقنى الله من غير أن يشاور أبا طالب فما حاجتى أنا إلى مشاورته لأعبد الله » ولكم جاهد الشباب فى نصرة النبى بأموالهم وبأنفسهم، ولذلك أوصى بهم النبى خيراً إذ قال: « أوصيكم بالشبان خيراً فانهم أرق أفئدة . ان الله بعثنى بشيراً ونذيراً خالفنى الشبان وخالفنى الشيوخ »

وهذه سنة الطبيعة وحكمها، قديم يدبر وجديد يقبل . وصراع بين القديم والجديد . ولا عيب على الشباب فى هذا الصراع . خاصة الشباب أن يتحرك وأن يتحرر . وكل أمة تدرك منفعتها تغتبط بتيار الشباب الذى يبعث فيها الحياة ويدفعها إلى الأمام فى طريق المجد . كل أمة تقدر منفعتها وترجو أن يكون مستقبلها خيراً من ماضيها تحب أن يكون شبابها خيراً من شيوخها . واذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح لرقى الأمة فهذا المقياس هو الفرق بين الشباب والشيوخ

هذه حقيقة يجب أن يدركها الشيوخ وأن يدركها الشباب . وهى تلقى على الشباب تبعات جسيمة . فهم مطالبون بأن يكونوا أفضل منا ديناً وخلقاً

ووطنية وسياسة وعملا .

يجب أن يدرك الشباب معنى الوطنية حق الإدراك
وأن ينتفعوا في ذلك بتجارب الماضي وأخطائه . لقد نجح
الماضي في التخلص من الاستبداد . ولكن التخلص من
الاستبداد ليس كل الوطنية لأن الوطنية الصحيحة جهد
دائم للمحافظة على كرامة الوطن وسلامة الوطن . ولذلك
قالوا ان الوطنية هي الرجولة الكاملة والعمل المتواصل
في كل شأن من شؤون الحياة ، الوطنية الصحيحة أن تتعرف
أمراض الوطن فتعالجها وأخطائه فتصححها وضعفه فتقويه
وحقه فتؤديه . ولا يتم ذلك إلا بالتأمل والمقارنة والحكم
والاختبار . والتأمل في حاجة إلى العقل والحكم في حاجة
إلى الضمير والعقل والضمير سناد الوطنية الصحيحة
وبغيرهما نكون كمن يبنى على غير أساس ونكون في كل
وقت عرضة للانتكاس . ولا شك أن الرجل الذي يبطل
عقله وضميره رجل ناقص ووطنيته وطنية ناقصة وهو
أظهر نقصا ممن يكون مقطوع اليدين أو مقطوع الرجلين .
لأن العقل والضمير أشرف خاصة في الانسان . ولذلك
قال أحد علماء الاجتماع ان الوطنية التي لا تستند إلى العقل

والضمير وطنية تقليد ومحاكاة . فاذا جاز أن يقال ان
القرد وطني إذا قلد ، وان البغاء وطني إذا حاكي جاز أن
يكون الحاكي والمقلد من الرجال متحلياً بالوطنية ، فمن حق
الوطن على الشباب أن يصدروا في أقوالهم وأعمالهم
وحركاتهم وسكناتهم عما توحيه اليهم عقولهم وضمائرهم
بعد التأمل والمقارنة والحكم والاختبار

هذه ناحية من نواحي الوطنية ، وللوطنية ناحية أخرى
من حيث انها فضيلة . وكل فضيلة لا يمكن أن تتعارض
مع الفضائل الأخرى . لأن الفضائل يقوى بعضها بعضاً
ويدعو بعضها إلى بعض . ولأن الانسان إذا أهمل فضيلة
من الفضائل تأثرت بذلك سائر فضائله ، ولهذا ينبغي
للشباب أن يتحلوا بجميع الفضائل الدينية والأخلاقية .
ولست أشير في ذلك إلى دين معين أو مذهب معين لأن
الفضائل واحدة في جميع الأديان . ونحن وإن اختلفنا
أدياناً ومذاهب بخلافنا واقع على ما وراء الدنيا . أما
في الفضائل الدنيوية والفضائل الوطنية فنحن جميعاً
بحمد الله متفقون .

وأول واجبات الوطنية التحلي بالصدق والأمانة

فى الشؤون العامة . ولا ىنبغى فى هذا أن نخلط الشؤون
الدولية بالشؤون الوطنية . لقد عرف السير هنرى وتون
سفراء الدول بأنهم رجال شرفاء مهمتهم أن يخدموا
بلادهم من طريق الكذب . هذا كلام قديم ووضع
قديم للسياسة الدولية . وهو وضع تحاول الإنسانية أن
تتخلص من آثاره . أما فى الشؤون الداخلية فقد عقد
اللواء لحكم الضمير ، وانعقد الاجتماع على أن الخداع
والحيلة والكذب من أكبر الآفات الهادمة للوطن .

وإذا صح أن من يروج العملة الزائفة مجرم — وهو
مجرم بلا شك — فلا شىء أكثر إجراماً من ترويج
الآراء الزائفة والأخلاق الزائفة .

إن مصلحة الوطن لا تخدم بالكذب والحيلة والكذب .
أما الذى يخدم بها فهى الأطماع والأغراض والشهوات ،
والأطماع والأغراض والشهوات معاول خراب وتدمير .
ولقد أثبتت تجارب الأمم أن كل عمل أملتة الشهوات
مخفق لا خير فيه . وأن كل عمل أملتة العقيدة الصحيحة
والأغراض الصحيحة ناجح لا إخفاق فيه . وليس شىء
أدل على ذلك من تلك المواقف الثلاثة التى وقفها الشباب

في مصر . فان حركات الشباب إنما انتصرت لبعدها الشباب
عن الأطلاع والأغراض والشهوات ، ولأن هذه الحركات
كانت بريئة لم يقصد بها إلا وجه الله والوطن .

ومن آيات الوطنية أن يستغرق حب الوطن جميع
قلبك وأن يتغلب حبه على هوى نفسك . ومن آياتها أن
تنطوى في دائرة الوطن المحبوب فلا يكون لك مطلوب
أعز من هذا المطلوب . من آياتها أن تحب وطنك سعيداً
كان أم شقيماً ، ضعيفاً كان أم قوياً فقيراً كان أم غنياً .
فالوطن كأمك وأبيك تحبهما سعيدين كانا أم شقيين ،
فقيرين أم غنيين ، ضعيفين أم قويين . بل ربما أحببتهما
في الشقاء أضعاف حبهما في الرخاء . تحوطهما بعنايتك
وتظللهم برعايتك وتبذل لهما من ذات نفسك ما يرضى
فيهما جوانب الأمل ويخفف عليهما وقع الحزن .

ومن آيات الوطنية أن تعمل للوطن عظيماً كنت
أم غير عظيم ، جليلاً كنت أم غير جليل . لا يقعدنك
عن ذلك صغر شأنك ولا خمول قدرك . وتعلم ان جهد
المقل خير من عذر المحل . وإن الوطن في حاجة إلى كل
أحد وإلى كل عمل .

انظر إلى ذلك الضابط الفرنسي الفقير الذى قطعت
فى الحرب ساقه فأراد زميل له أن يضيفه بقية حياته فأبى
لأن الوطن ينتفع به عاملاً ولا ينتفع به عاطلاً . اشتغل
بقطع الأحجار ورأى فى هذا العمل معنى كريماً لأنه
يجعل من الصخر بيوتاً يصبح الوطن بها عامراً جميلاً .
ثم فقد ذراعه اليسرى بانفجار لغم من الألغام فاشتغل
كناساً فى شوارع باريس مغتبطاً بأنه يشتغل بتطهير
عاصمة فرنسا ويخدم الصحة العامة فى أرض الوطن . ولما
فصل لعجزه عن العمل أبى أن يأوى إلى ملجأ فاشتغل
بصنع علب من الورق مغتبطاً بأنها علب تحفظ فيها تلك
الأهداب الجميلة التى تزين قبعات الجنود وهم حماة الوطن .
ولم يكن هذا العمل ليدر له كل يوم سوى خمسة وستين
سنتيماً ينفق منها خمسين لمسكنه وغذائه وخمسة عشر لباقي
حاجاته . ولما علم ذات يوم أن فرنسا عجزت عن أن توازن
الميزانية دمعت عيناه وقال : « اذن أنا أغنى من فرنسا لأن
إيراداتى تغطى نفقاتى ، أما فرنسا فنفقاتها تزيد على إيراداتها »
ألم تر إلى أبى بكر الصديق كيف قام صبيحة
اليوم التالى لمبايعته بالخلافة إلى السوق للعمل

والاكتساب من بيع البز التي هي مهمته .

هذه هي الوطنية الصحيحة التي ترى في البطالة نقصاً
في الانتاج الوطنى وترى في التعطل اهداراً لكرامة الفرد،
هي وطنية صحيحة ونظرية فاضلة جميلة . ولكن علماء
الاجتماع أطبقوا على أن هذه الوطنية لا بد لها من سند،
هي في حاجة إلى حد أدنى من الحرية والكرامة واليسر .
الانسان لا يستطيع أن ينتفع بالحيوان إلا إذا كان
صحيحاً قويا . والحيوان لا يمكن أن يكون صحيحاً قويا
إلا إذا وجد حاجته من الغذاء . وكذلك الوطن لا يمكن
أن ينتفع بالمواطن إلا إذا توفر له غذاء ومسكن . ومن
الظلم البين أن تطالب الانسان بخدمة الوطن وهو محروم
من الكفاف . وأدخل من ذلك في الظلم أن يزدحم الشباب
على الأبواب وأن يتراموا على الاعتبار يطلبون مقدار
حاجتهم إلى الطعام والملبس والمسكن من غير زيادة ولا
نقصان . هذه نار الجحيم لا يجوز أن يصلها أحد من
المصريين ، ولذلك أوجبت المذاهب الحديثة أن تعنى
الحكومات بهذا الخطب العظيم المكروه ، وإذا كانت
الشرائع القديمة والحديثة قد اعتبرت أن الصدقة والزكاة

حق للبائس والمحروم ، فتدبير الأعمال والأجور حق وأى
حق للشباب المجذ الذي يطلب حقه في العمل وحقه في الحياة
ومن دعائم الوطنية إيمان الناس كافة بان الوطن ملك
للجميع على السواء . أكرمهم عليه أقدرهم على خدمته .
من دعائم الوطنية إيمان الناس كافة بأنهم يتساوون في
الجزاء على ما يعملون إن خيراً وخيراً وإن شراً فشر ،
لادخل في ذلك لعداوة أو صداقة أو محابة أو جاه أو مال .
من دعائم الوطنية ألا تحشى في الحق لومة لائم ،
وأن تكون عظيم النزاهة سواء تعلق الأمر بنفسك وأهلك
أم بغير نفسك وأهلك ، فإذا وليت شيئاً من أمر الوطن فأد
الحقوق من غير طلب ولا تحاب ولا تظلم لأى سبب .
ألم تر إلى عمر بن الخطاب إذ رأى ناراً توارث فقال
هؤلاء ركب قصر بهم الليل والبرد ، وخرج يهرول حتى
دنا منهم فإذا بامرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على
النار وصبيانها يتضاغون ، فسأل ما بال هؤلاء الصبية قالت
الجوع ، قال وأى شئ في هذا القدر قالت ماء أسكتهم به
حتى يناموا ، الله الله بيننا وبين عمر . قال لها إن عمر لا يدري
بكم ، قالت يتولى أمرنا ويغفل عنا ! فخرج يهرول حتى أتى

دار الدقيق فحمل منه حتى انتهى إليها وألقى ذلك عندها، ثم أخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول لها ذري على وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر حتى أنضج وأدم القدر ثم جعل يقول أطعمهم، ولم يزل حتى شبعوا وأخذوا يضحكون ثم ناموا وهدأوا.

فعل ذلك والمرأة لا تعرفه بل كانت تقول له أنت أولى بالأمر من أمير المؤمنين.

وكان عمر إذا أراد أن يأمر المسلمين بشيء أو ينهاهم عن شيء بدأ بأهله وتقدم إليهم بالوعظ لهم والوعيد على مخالفتهم لأمره، وكان يضاعف عقوبة أهله إذا خالف أحد منهم أو أمره لا اعتقاده أن الناس إذا رأوا من أهله تهاونا في أمر اقتدوا بهم وأمعنوا في الاستهتار

هذه هي الصفات اللازمة لحكم الأمم ورفقها ورخائها، ولذلك وصف الأستاذ نيكلسون عمر بن الخطاب في كتابه تاريخ العرب الأدبي فقال: «كان عمر ورعاً لا يخشى في القيام بواجبه لومة لائم، لا يحابي فيه أحداً متحسماً للحق رغم عطفه على الضعفاء كما كان قاضياً عظيم النزاهة نحو غيره وبخاصة نحو نفسه، ولذلك كان حاكماً عظيماً

بطبيعته ورجلا في كل خطوة من خطوات حياته »
هذه هي الروح التي يجب أن يشب عليها الشباب
لأنهم سيكونون في الغد أصحاب الزمام وولاة الأحكام ،
وإذا سادت هذه الروح في أمة أيقن كل فرد منها أنه
شريك في الوطن ، شريك في شركة فاضلة عادلة . وعندئذ
يحمل للوطن حبا صحيحا وتربطه بالوطن رابطة وثيقة ،
ويرى فرضا عليه أن يبذل ماله لصيانة بنائه وأن يبذل
دمه دون لوائه .

ومن واجبات الشباب أن يحرصوا على الوحدة وأن
يتجنبوا الفرقة . لقد اکتوينا بنار الفرقة حتى أطفأها
الشباب ، فواجبهم أن يتحفظوا في كل كلمة وفي كل خطوة
حتى لا تتأجج بينهم النار التي أطفأوها في غيرهم . والإنسان
أخوف ما يكون لحريق النار أقرب ما يكون منها . فعليهم
أن يبتغوا للوحدة كل وصلة وسبيل . وليس من سبب
للفرقة إلا التعصب للرأي والجدل والمكابرة بمزاج عصبي
حاد . وحق على الشباب أن يلتزموا في أقوالهم وأفعالهم أدب
الدنيا والدين وقول رب العالمين (ادع إلى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن)

إن الدين والسياسة قد حررا العقول والضمائر ، وقد خلق الناس مختلفين في المدارك والرغبات والأمزجة والاتجاهات ، ومن المحال أن يكونوا دائما على رأى واحد حتى ولو أرادوا الحق جميعا . ولهذا قال أفلاطون « إن الحق لم يصبه الناس في كل وجوهه ولا أخطأوه في كل وجوهه بل أصاب كل إنسان جهة ، فمن أراد الوحدة من طريق توحيد المدارك والرغبات والأمزجة والاتجاهات فقد طلب محالا غير ممكن . إنما تجيء الوحدة من طريق التسامح والحكمة والدعوة المؤدبة والموعظة الحسنة .

وليس من الوطنية في شيء أن يستعز الخلف بين أهل الوطن الواحد في هذا الدور العصيب الذى تحتازه الدنيا ، ولنعتبر في ذلك بقول لا مارتين (فى كل معركة علمان فاذا انتهت المعركة فقد ذهب علم الهزيمة وبقى علم الانتصار إلا إذا كانت معركة بين أهل الوطن الواحد ، عندئذ يسقط العلمان ويرفرف على الميدان علم أسود هو علم الموت والخراب)

هذه حقيقة لا شك فيها ، فأن الجروح التى تصيب

الامة من الخارج تماثل وتندمل ، أما جروح الداخل
فلا تبرأ ولا تندمل . ونحن الآن فى زمن عصيب يلقى
على الشباب تبعات جسيمة . لقد قرأت فى إحدى
الجرائد الاجنبية مقالا عنوانه (وداعا أيها الشباب)
وبجملة أن الأمم تعتمد الآن — أمة بعد أمة — إلى تجنيد
شباب المدارس ، لقد قررت النمسا تجنيد الشباب من سن
الحادية عشرة إلى سن الثامنة عشرة للتدريب العسكرى ،
لقد سارت على هذا المنوال أو مثله ألمانيا وبولاندا
وروسيا وإيطاليا ، وهاهى ذى فرنسا توشك أن تقرر
التدريب العسكرى حتى فى مدارسها الأولية ، ومن
المحقق أن الأمم الأخرى مضطرة إلى أن تسلك هذا
السييل ، ومعنى ذلك أن الشبان والطلاب لم يعودوا ملكا
لأهلهم ولا ملكا لأنفسهم وإنما أصبحوا ملكا للوطن
وحده .

ولا شك أن شباب مصر يقبلون بطيب أنفس وقرّة
أعين أن يودعوا شبابهم وأن يبذلوا مهجهم وأرواحهم
إذا دقت ساعة الخطر واقتضت ذلك ضرورة الدفاع عن
الوطن . وإذا صح لنا أن نقرأ المستقبل على ضوء الماضى

فلا شك أن صفحة المستقبل ستكون صفحة مجد يكتبها
الشباب لأنفسهم ولبلادهم ، سيكونون جنوداً أقوياء .
ولكنني أحذركم حذراً بعد حذر . فللقوة أخطار ، ومن
أخطار القوة أنها تغري باستعمالها والالتجاء إليها . فمن
واجبكم أن تحالفوا هواها إذا دعتكم إلى فتنة أو اعتداء
على مواطنيكم . أما إذا دعتكم إلى الذود عن حدود الوطن
فليكن شبابكم فداء للوطن ، واعلموا أن الموت في هذا
السييل عرس الشباب وطريق الخلد .

سادتي

المستقبل بيد الاقدار ، ولكنني أملح من وراء الغيب
عهداً جديداً موفقاً سعيداً ، لأن الله إذا أراد أمراً هيأ له
الأسباب ، وليس شيء أدل على توفيق الله وأدعى للتفاؤل
بالمستقبل من أن يكون صاحب التاج في عهدنا الجديد
شاب من صميم الشباب .

اللواء عزيز المصري باشا

فكرة عامة عن منشأ الحروب
ورأينا الحربى بعد المعاهدة

٧ ديسمبر سنة ١٩٣٦

أيها السادة

رغب بعض طلبة الجامعة أن أقول كلمة في الحرب
ومنشئها وتائجها، ثم في واجبنا نحو الجيش وذلك لتوفير
أمة اعتادت منذ خمسين سنة تقريباً ألا تفكر في شأن
دفاعها وسائر شؤونها برأسها بل برأس غيرها فأصبحت
مراكن الإرادة والتصرف والكفاح كأنها قد ذبلت، شأن
كل عضو لا يعمل، تتلاشى فيه الحياة، فصار الناس ينظرون
إلى الجيش وهو في قيادة الغير كأداة لا عمل ولا شعور
لها، تستخدم في تزيين الحفلات والمواكب وعند اللزوم
في إطفاء الشعلات الوطنية، فاستصغره الناس ونفروا منه
ويئسوا من نجدته لهم في جهادهم القومي

واليوم لما اختل توازن القوى في البحر الأبيض،
ورأت بريطانيا لزوم إضافة بعض أوطان مصرية في كفة
ميزانها في هذا الحوض أمضيت معاهدة أنصفت فيها هذه
الدولة مصر بعض الانصاف في طلباتها المشروعة القومية
ومنحتها حق تنظيم جيشها ورفع مستواه العقلي والأدبي

والمادى . فأدركت الامة أهمية الامر وحولت اهتمامها
وأمالها إلى الجيش

وقد سرت الامة المصرية لهذه الحركة المنصفة من
جانب بريطانيا وظهرت بوادر مودة بين الأمتين دلت
على أن الغرس الطيب يعطى ثماراً طيبة . كم تتمنى أن
تدوم سياسة الوفاق بيننا حتى يأتى الزمن الذى فيه تطلق
أيدينا حرة تماماً فى شؤوننا وذلك بدون حاجة إلى مطلب
ثان منا ، ولكن كنتيجة اطمئنان البريطانيين لوفائنا لهم
ولقوة جيشنا ونظامه ومقدرته على العمل المفيد فى نجدتهم .
والآن ندخل فى موضوعنا فأحدثكم عن الحرب
ومنشئها .

الحرب هى قتال بين أمتين أو فريقين اختلفا فى دعوى
ولم يوفقا إلى حلها بالسلم ، واليوم نضيف : ولم توفق عصبة
الأمم فى هذا أيضاً . فمتى عجز القلم واللسان يتكلم المدفع
ولا يسكت إلا عندما يعترف فريق لآخر بالنصر ويقبل
ما يريد . والظاهر أن غريزة الكفاح خلقت مع الحياة
بل تكاد تكون هى الحياة ، لأن دليل الحياة هو الحركة ،
وما الحرب إلا حركة عنيفة أو ظاهرة عنيفة قوية للحياة .

وإذا قبلنا أن الخالق أه جد الحب يكفل دوام الأحياء،
والجوع يكفل دوام السعى، فأرى أن الكفاح أو الحرب
يكفل دوام الأصلح الذى بواسطته وبواسطته فقط
تحصل حركة الرقى .

فالأمة أو الجماعة التى تدرك قدسية هذه القوى الثلاث
فتصيغ قوانينها وتضع نوااميسها مستنبطة منها خارجة من
جذورها إنما تعمل طبقاً لقوانين الطبيعة أى لارادة الله
ويكون إذن عملها خير العبادات .

أيها السادة

إن مزايا الجهاد أو الحرب كعامل للرقى أدركتها
الأقوام العظيمة فى كل العصور . فالأغريق القدماء قد
وصلوا أرفع قمة وصلها العقل والشعور الانسانى —
اتخذوا التريبة البدنية والمران على أنواع القتال أساساً
لتربية الشعب . فكانت حفلات اعيادهم مباراة فى أنواع
المران حتى حفلات دفن وزيارة موتاهم ما كانت إلا
مباراة فى العدو ورمى الرمح والسهام ، وكانوا يرقصون
فيها رقصاً موقعاً حريباً . فكأنهم أدركوا بذلك معنى
الاتصال بين الحياة والخلود ، وكلكم يعلم أن سقراط

أدى كغيره خدمته العسكرية وامتاز في القتال .

ذلك أن الثقافة المؤسسة على الجندية التي هي علم التنظيم وأداء الواجب نحو المجتمع تشبه الشجرة المغروسة في أرض قوية غنية بموادها عالية تصون جذورها من التعفن في المياه الراكدة الخفية. تصوروا قوة هذه الشجرة وجودة ثمارها وبهاء منظرها .

ولم كل هذا ؟ معلوم أن كل شيء وكل عمل ليس فيه توازن يكون بطبيعة الحال محتلا مآله السقوط ، وبما أن الكفاح خلق مع الخلقة وربما كان هو الغريزة الأولى التي أوجدها الله كما قدمنا فإن لم تكن له حصة ممتازة في الثقافة والتربية القومية نقصهما التوازن فلا يفيدان بل يضران كالذراع القوية الذابلة الأصابع لا تنتج شيئا .

لأجل أن تدركوا صحة ما أقول انظروا إلى الأمم الاستعمارية ، فأول ما تحتل بلداً تضع يدها على قيادة الجيش ، زاعمة أنها تريد إصلاحه ثم على المعارف . أما الدين والحرية الشخصية والديمقراطية والقضاء والصحة وغيرها فتتركها لغيره لأنه من الذي يقدر أن يفهم معنى الدين والحرية والأمور الأخرى وهو لا يملك قوة ولا عقلا سليما ؟

لذلك أقول لكم ولحكومة اليوم ولحكومات المستقبل :
الجيش والمعارف هما كل شيء ، حافظوا عليهما . ولو شئتم
التقصير في شيء فليكن في أي شيء إلا الجيش والمعارف .
ومثل الاغريق الفرس الأولون ، فكانت الجندية
أساس تربيتهم ، ولما كانت الخيل كثيرة عندهم وكانوا أهل
فروسية فكان صيد الوحوش وتمارين الكرة والصولجان
(البولو) أكثر الرياضات قبولا عندهم واليوم نرى
الأمة الانجليزية - وقد تقدمت أوروبا في تقليد الاغريق
ميلهم إلى الرياضة - أصبحت لا تفهم بدونها معنى للحياة
وما فرق الجواله التي أوجدوها إلا الدعوة إلى
الحركة وإلى الامتزاج بعناصر الطبيعة ودرس كيفية
مقاومتها ، وذلك تلافياً للنقص في التربية المتولد من عدم
تمكن عناصر الامة من الدخول في الجيش .

لذلك رأيت في الحرب العظمى كيف تحركت إنجلترا
في سنتين فقط إلى معسكر عظيم مدرب .
والآن ترون معظم الدول الراقية بل كلها تتبارى في
اتخاذ أنجع الوسائل وأسرعها لجعل العسكرية أساساً
لتربية أبنائها .

وقد انتبه الصهيونيون أنفسهم إلى ذلك في القرن
الماضى ، ولما لم يكن لهم وطن ولا جيش خاص جدوا في
هذا المضمار استعداداً للكفاح الذى قد يجابههم وقت الشدة
فأصبح اليوم مشاهير الملاكمين والمصارعين فى
أمريكا وأوروبا من اليهود ، وامتلاّت صالات الشيش
والاسلحة البيضاء وصالات وميادين الضرب بالمسدسات
بشبانهم وقد نالوا نجاحاً باهراً .

ومتى علمتم أن التربية العسكرية الحققة هى حب الله
وحب الوطن وحب الإصلاح والتجديد والرقى ، وهى
إخفاء القوة وضبط النفس واحترام أفراد الأمة ، وتبجيل
السيدات ، أدركتم أنها خير مدرسة لتربية الشعب . هذه
الروح يجب أن تبعث فى الأمة المصرية . وذلك بأزالة
الرماد المتراكم من أجيال عن تلك الجذوة التى كانت
وهاجة فى القرون الوسطى أمام المنصورة ، حيث أسر
جنود مصر ملك فرنسا ، وفى عين جالوت بفلسطين حيث
أفنى الجيش المصرى جيش المغول الذى أرساه هولاكو
من بغداد والذى لم يكن يعرف هزيمة من قبل . فنال
الجيش المصرى الشرف الاسمى لانقاذ مدينتى متراكمة

في هذا الوادى من عدو لا يعرف الرحمة جبل على حب
الدمار والخراب . تلك الجنوة التى اقتلعت من شفى
« تيمورلنك » القاسيتين تقدير الجيوش المصرية فى
سوريا إذ قال « خير الجيوش جيوش مصر ، هى تفوق
الترك ولكن تنقصها القيادة »

وفى الواقع كانت مصر فى ذاك العهد فى عصر مضطرب
بالدسائس تغلبت فيه المنافع الشخصية على المنافع العامة ،
فلم يفكر رجال الحكم فى انتخاب قائد جدير « بتيمورلنك » .
ومع ذلك فإن الجيش الذى كان ما زال محتفظا بتقاليد عهد
بيبرس العظيم ، أرغم « تيمورلنك » على أن يصرف النظر
عن غزوه مصر فحول عنان جواده نحو الشمال والشرق .
أيها السادة

بعد أن تكلمنا عن مشروعية وجود الجيوش ولزومها
وتأثيرها فى الرقى . يحسن أن نقول شيئا عن رأى المخالفين
أو السليبين « Les Pacifistes » عنها . وسأحاول تقسيمهم
إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الأول يشمل طوائف بعض الطرق الدينية
من البوذية والمسيحية « الكاكييكر » المسيحيين . هم يقولون

أن ليس لأحد أن يدمر ما خلق الله ويعصون أوامر التجنيد، وقد أوجد وضعهم مشكلة في بداية الحرب في إنجلترا وأمريكا وجد لها حل وذلك بالانتفاع بهم في الأعمال التي عطلت بسبب غياب المتطوعين. وملاحظاتي على هذه النظرية هي :

أولاً — أن الله لم يحرم القتال، وما أوجد تلك الغريزة في النفس إلا لسبب ما .

ثانياً — أنه لا يوجد أحد لا يملك الحرب ما دام يقصد منها الدمار أو ما دام الحافز لها هو الجشع والأنانية أو الحسد

ولكن ، بما أنه لا يمكن اقناع الانسان أنه مخطئ إن لم يكن وراءه الاقناع قوة ، فوجود الجيش لازم للأقناع ، كما أنه لازم لدراء المهاجم إن لم يفد الاقناع .

ثالثاً — أن يستحسن أن يبدأ هؤلاء السليبيون بطلب منع الحروب بين الأمم المتمدنية .

رابعاً — وبطلب إلغاء استعمار أو احتلال الأمم التي أنتجت مدنيات ولها سابق خدمة للإنسانية أو التي في استطاعتها أن ترتفع إلى مستوى الأمم الراقية

ثامساً : منح الأمم الحق في تقرير مصيرها
سادساً : جواز احتلال أراضي الأمم المتوحشة كالتى
تأكل اللحوم البشرية حتى تستغل أراضيها للمنفعة العامة
سابعاً : المحافظة على جيوش مصغرة لحفظ التوازن
العالمى والمراقبة تطبيق تلك الشروط

ثامناً : إضافة اختصاصات جديدة إلى مهمة الجيش
من شأنها تنشيط الرقى القومى كاستعمال المبتكرات الحديثة
مثل الطيران وأنواع الآلات الميكانيكية والآلات الكاتبة
ودرس كيفية الادارة وفكرة التنظيم وحفظ الصحة وغير
ذلك من الأمور الاجتماعية فتضاعف فائدته القومية

القسم الثانى : من الذين يريدون منع الحروب يشمل
الأقوام التى استولت على أكثر موارد الأرض قبل أن
ينتبه الآخرون . تغلغت الأنانية فى نفوس هذه الأقوام
لدرجة تشبه فى البساطة أنانية الأطفال الذين يريدون
امتلاك كل ما يرونه فى يد الغير لأنهم يريدونه ويصيحون
متى حاول أى شخص آخر أن يسترد ما استعاروه منهم ،
فتراهم ينظرون باشمئزاز إلى جيش كل دولة ظهرت فى
ميدان المدينة ظهوراً بارزاً ويعتبرون هذا الظهور وقاحة

وشوشرة للسلام ، وأخيراً يدعون الناس لعقد مؤتمرات
لنزع السلاح وغير ذلك من حفلات ضياع الوقت
والضجة المنتشرة في العالم لحفظ السلام مسبها هذا
القسم ، وبما أنها ليست مخرصة فلا يصغى إليها أحد ، وهكذا
يستمر الكل في طريق التسليح .

القسم الثالث : من الذين يريدون منع الحرب يشمل
العلماء الاجتماعيين وهم في الغالب اشتراكيون ، فأساس
الاشتراكية هو منع الحرب واستخدام المبالغ الطائلة
المنصرفة لتجهيزاتها في رقي الحياة وإقلال البؤس وتعميم
الرفاه :

ويستند الاشتراكيون في منع الحروب الى أسباب
اقتصادية لكنهم بعد محاولات شتى فشلوا فيها وانتهوا الى
ضرورة وجود جيش قوى منظم لدولهم كما ترى في
روسيا وجيشها الآن من أقوى جيوش العالم .

والواقع أيها السادة أن الحروب الكبيرة والطويلة
المدة تكون في الغالب سبباً في ظهور طائفة من الناس
يكتبون ويتكلمون ضدها باخلاص أو بمكر لجلب قسم من
البؤساء اليهم وللوصول بواسطتهم إلى الحكم ، ويستمررون

هكذا إلى أن تلتئم الجراح وينسى الأموات . ويعود الرخاء
والرفاه فتعود القوة فيظهر الحماس ويتبعه حب الجشع
والامتلاك . فيؤلف الكتاب الأناشيد الحماسية ، ويهرع
الناس تاركين أشغالهم لرؤية الجند وجلال المدافع عند
مرورهم ، وتطرب الأذن لدق الطبول وتهتز القلوب
لعزة وقع الأقدام . ثم تظهر في الأسواق آلات القتال
مصغرة فتختارها الأمهات كأحسن ما يهدى إلى الأطفال
فيستعد الناس والحكومات للحرب المقبلة وهكذا ولا
تبديل لسنة الله .

رأيتم أيها السادة أن كل النظريات التي ظهرت في
موضوع لزوم الجيوش أو عدم لزومها انتهت تطبيقاتها
إلى الاعتراف بأن الجيوش هي خير وسيلة لاطمئنان
الأمم ولتنفيذ رغائب العقائد الاجتماعية وغيرها . فالتنظيم
أساس العمران ، وتمثال التنظيم الحى هو الجيش فلا يكون
تأثيره تجاه الثورات الوطنية أو الاجتماعية إلا كأداة
وحى وتذكير للاتزان والاعتدال ، وكذلك يكون تأثيره
تجاه المطامع الخارجية . لذلك وجب أن يكون الجيش
أو على الأقل هيئة قيادته مثقفة شريفة . والحكومات التي

لا تدرك هذا المعنى فى الجيش وتحرمه من قيادة قديرة
تدل على أنها تعمل تحت تأثير أنانية غير شريفة .
فهكذا يجب أن يفهم معنى الجيش ، وهكذا يجب أن
يفهم معنى الحروب التى هو أداتها : « حركة عنيفة لازالة
الرواكد التى تسد مجارى الرقى الانسانى من وقت لآخر »
وعندئذ تدركون قول المارشال مولتكه الكبير :
« إن السلام الابدى حلم ، وليس بالحلم اللطيف »

القسم الثانى

نتائج الحرب

إن الحروب خصوصا العالمية منها تشبه الزلازل
العنيفة التى تغير معالم الأرض ، فتظهر جبال تقطع طرقا
كانت تصل بين أقوام وثقافات ، وتذك جبال تفتح عليهم
طرقا أخرى قد تصلهم بأجناس مختلفة .

فتتغير تحت التأثير الجديد والتدريج طباعهم وأحيانا
لغتهم أو لهجتهم وحتى لون بشرتهم ، وتتفجر عيون ماء
بين صخور لم تكن لتحلم بها فتخضر الوديان وتهاجر إليها

الأقوام التي نكبت أراضها وتعمل من جديد ومعها
تجارها الماضية وحرية العمل لخلاصها من التقاليد
القديمة التي كانت تقيدها في طريق الإصلاح فتفتح أبواب
العمل والابتكار ويخطو الانسان خطوة أخرى نحو الأمام.
ولنضرب مثلاً بحريين عالميتين متناقضتين في أسبابهما
متفقتين في نتائجهما من حيث الرقي

فبينما سبب الحروب الصليبية ديني . (فقد كانت
جداً لا متطرفاً في التعصب بين عقيدتين) كان سبب الحرب
العظمى اقتصادي أصله الجشع وليس الجوع ، فقد
كانت إنجلترا وفرنسا وقد استولتا على أكثر موارد
المعمورة منغستان إلى عنقهما في النعيم ، وكانت ألمانيا
بفضل تنظيمها وجودة منتجاتها ورواج تجارتها في رغد
هنئ .

فلننظر إلى نتائجهما

كانت الثقافة الإسلامية في عهد الصليبيين أساسها
التعاليم الدينية والتعاليم الأغريقية القديمة التي ترجم
كثير منها إلى العربية في العهد العباسي وعلى الأخص في
عصر المأمون . لذلك كان المسلمون أرقى من الصليبيين ،

ومن جهة أخرى فإن الاحترام المتقابل في القتال الناتج عن البطولة التي أبداهما الطرفان والاختلاط في أنشاء الهدنات واستيطان كثير من الصليبيين في دويلاتهم في سوريا أوجد تعارفا فكريا انتقل إلى أوروبا التي كانت فتية ، فزادت في البحوث فظهرت النهضة Renaissance . وكلكم يعلم ان النهضة الأوروبية أشرقت في إيطاليا مركز البابا محرض الحروب الصليبية ووطن التعصب المسيحي . وكلكم يعلم أيضاً أن النهضة ما كانت إلا بعثاً للثقافة الأغريقية التي كانت وثنية في نظر الكنيسة في ذلك الوقت فانظروا وتعجبوا : حروب هائلة تثار للدفاع عن عقيدة معينة واضحة . فإذا ما انتهت تلك الحروب سادت عقيدة مخالفة لها كل المخالفة تكاد تكون نقيضتها . فتزينت أبواب كتدرائية القديس بطرس بأجسام العاريات من النساء ، ومثل ميكل أنجلوس الرب في شكل إنسان عار في القاعة السكستينية ، وكان ميكل أنجلوس محمى البابا أوربان . ثم امتلأت إيطاليا تماثيل ، ولوحات وظهرت كتب كان يحرق أكثرها ومبتكروها في عصر الحروب الصليبية بأمر هؤلاء البابوات .

هذه نتيجة الحرب الصليبية . فلننظر إلى نتيجة الحرب
العظمى الماضية .

في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر تجمع أكثر
العناصر الألمانية حول زعيمتهم الجديدة بروسيا
واتصروا على فرنسا ثم وحدوا جهودهم وبدأوا يعملون
فظهرت في مدة وجيزة قوة أدهشت العالم بعلمها وقها
وأدبها وتنظيمها وصناعتها ، وأخرجت من هذه القوى
جيشاً أقلق ظهوره العالم خصوصاً القسم المستعمر منه .
فقتشاوروا في سحقها قبل اختلال التوازن ، ودبروا بدهاء
فائق طريق استدراجها في حرب تظهر فيها بمظهر المعتدى
ليضمنوا بذلك سخط العالم عليها واشتراكه معهم في
تدميرها . ونظموا دعاية واسعة النطاق ، بعيدة الغور ،
وأحدثوا جريمة في النمسا ثم جعلوا يخدرون أعصابها إلى
أن جمعوا جيوشهم النائية على حدودها وأفقدوها امتيازها
الوحيد ضدهم وهو سرعة تعبئة جنودها الفنية الفائقة
لسحقهم قبل أن يتجمعوا ، فلما رأت الموت وقد أحرق
بها من كل جانب أعلنت الحرب بعد فوات الفرصة
فقالوا انها البائدة ثم وفقوا للانتصار عليها بالحصار

البحرى وبالداية البلشفية والكتلانية وأخيرا بالعدد ،
فماذ كانت النتيجة أو النتائج ؟

أولا - ظهرت المواد الاربعة عشر للرئيس ولسن ،
فتحرر كثير من الشعوب المتمدنة فى أوروبا فبعثت
بولونيا من قبرها وظهرت « جيکوسلوفاكيا » ودويلات
البلطيق .

ثانيا - نالت بعض الأمم الشرقية ذات الاستعداد
للحضارة بعض حقوقها كمصر والعراق وسوريا .

ثالثا - ظهرت علاوة على ألمانيا أربع وحدات
صناعية قوية وهى : إيطاليا . تشيكوسلوفاكيا . روسيا .
اليابان .

رابعا - ظهر نظام اجتماعى جديد وهو الاشتراكية
بأنواعها الثلاثة : البلشفية والفاشستية والاشتراكية
الديموقراطية .

خامسا - اضطرت الدول الرأسمالية الأخرى خشية
عصيان سكانها إلى تعديل نظمها الاقتصادية فوضعت
قوانين اشتراكية معتدلة حددت درجات الثروة وأدخلت
الحكومة ضمن ورثة العائلات

فانظروا تروا هنا أيضاً أن نتائج الحرب ظهرت
مخالفة لأغراض أسبابها ، نعم ان تجارة ألمانيا ضعف
انتشارها بعض الضعف ولكن ليس بالدرجة التي كانت
تتمناها فرنسا وإنجلترا

ومع ذلك فقد ظهر ضرر أكبر على تجارة هاتين
الدولتين ، فروسيا التي كانت سوقاً رائجة لهما أخذت
تتحول إلى دولة صناعية . وجيكوسلوفاكيا الفتية أخذت
تزاحم تجارتهمما برخص أثمانها وبما ورثته من النمسا من
المعامل المشهورة .

وإيطاليا واليابان وصلتا إلى درجة إنتاج صناعي
أدهش العالم وقد طردت هذه الأخيرة التجارة الأنكليزية
من سوق الصين .

هذا من الوجهة التجارية التي كانت السبب الرئيسي
لأعلان الحرب . وأما من الوجهة الحرية فقد عادت
ألمانيا ثانياً إلى أشغال الدرجة الأولى بين القوى الأوروبية
وزادت قوة إيطاليا لدرجة أدخلت بها توازن البحر
الأيض وباتفاقها مع ألمانيا زاد هذا الاختلال
فصار الناس حيارى يقولون لم إذن كانت كل هذه

الضحايا ولم أعلنت الحرب على ألمانيا؟
ذلك أن الانسان مهما بلغ من الجبروت والدهاء
لا يمكنه وقف سير القوانين الاجتماعية التي تعطى
للأصلح حق قياد حركة الرقى لأنها إرادات إلهية لا يقوى
على مقاومتها الانسان .

ففي الحروب الصليبية اصطدم الشرق بالغرب وكان
الشرق أرقى ، وتمكن أيضاً في النهاية من صد الغرب عن
سوريا ومصر ولكن وظيفته الاجتماعية لخدمة الرقى
كانت أوشكت أن تتم ، وكان يشعر بوطأة تقاليد عتيقة
أصبحت تمنعه من الحركة بنشاط .

وكان الغرب كالبنيت الحسنة مهد لها هذا الاصطدام
التقاط جراثيم الرقى من الشيخ الشرق ، فلما عادت إلى
بلادها وضعت في فلورانس وانتشرت الذرية في أوروبا .
فالقوانين الإلهية لا يهمها سبب اصطدامك والغرض
من حربك ، ولكنها تتخذ هذه المصادمات وسيلة لتنفيذ
مآربها التي هي بقاء الأصلح لضمان الرقى .
وما الحرب العظمى الأخيرة إلا اصطدام عام ، في كل
من جهتيه شبان وشيوخ .

فكانت النتيجة أن شباب الطرفين أزاح تقاليده العتيقة
وسار بقوة في طريق جديدة. فظهرت روسيا الاشتراكية
وألمانيا الفاشستية .

والحادث الجدير بالذكر في هذه النتائج الاجتماعية
هو ظهور إيطاليا بمظهر الأمة الشابة العادية في طريق
جديد مع أنها أعرق أمم أوروبا مدنية بعد اليونان .

أقول إن إيطاليا الحديثة ليست إيطاليا القديمة ، إيطاليا
الحديثة هي وليدة الغزوات المتعددة الجرمانية والمجرية .
وقد أعطاها هذا التلقيح من القوة ما مكنها من إلقاء حمل
التقاليد الرجعية عن أكتافها ، فبدلت لسانها القديم اللاتيني
بلسانها الحديث الطلياني وذلك بقيادة البطل Dante أيام
نهضتها في القرون الوسطى وتخلصت من الكنيسة في
استقلالها الأخير .

وإن هذه الظاهرة الجميلة في إيطاليا تهمننا جداً في مصر ،
فلقائل إن مصر قديمة جداً وقد شاخت فلا تلد مولوداً ،
نجاوب أن مصر الحديثة هي الأخرى كإيطاليا الحديثة
وليدة اختلاط أمم مجيدة شتى جلبها اليها غناها فاستوطنتها
واستخلفت فيها نسلًا من الفاتحين والمنظمين والمنشئين .

وإن في وقوف الشباب وهو أعزل أمام أفواه الموت
يهتف للحرية ويصبو الى الرقى لدليلا على أن اختلاط
هذه الدماء بالمصرية القديمة أوجد شخصية مصرية حديثة
كانت تنتظر فك عقالها لتتحرك الى الأمام
والآن وقد فك هذا العقال نرى الشباب يطلب منا
أن نبحث عن واجباتنا نحو الوطن .

ويسرنى جداً أن ورد إلى منهم نوع من هذا الطلب .
فجميل بالفتى أن يتعشق الحرب . ويهب روحه لحفظ
كرامة ذويه ، فإنه متى وصل الى هذه القمة يصعب عليه
أن ينزل الى مستنقعات الدنيا .

وجميل جداً بطلبة الجامعة المصرية أن يتشوقوا
لمعرفة واجباتهم وواجباتنا جميعاً نحو الجيش الذى هو
أداة الحروب .

فقد رأينا أن كل حرب حركة مباركة تستفيد منها
القوانين الأزلية الاجتماعية لخير الإنسانية . وما جثت
أمواتها إلا جسر متين أعمدته أرواحها تعبر فوقه كل أمة
تريد أن تصل الى شاطئ جديد لفتح جديد فى عالم الرقى .

واجبنا نحو الجيش

قبل الدخول في هذا الموضوع يجب أن نفهم ماهو الجيش . الجيش هو قسم من الأمة يحمل السلاح لرد الغارات عنها لتتمكن من أداء واجبها الاجتماعي باطمئنان. فإذا لم يتمكن من أداء هذه الوظيفة ضاع استقلال الأمة فعاشت عيشة غير طبيعية فتدبل أعضاؤها الانتاجية وتنزل من درجة السيادة الى درجة العبودية ، ويهجرها الشرف وتودعها الكرامة لأن خاصة الكفاح تعطلت فيها فدخلت في عداد المواشى يدافع عنها أصحابها ليستغلوا ألبانها وصوفها ولحومها .

لذلك يرى كثير من الأمم أن الموت هو الطريق الوحيد للخلاص من تلك الذلة العظمى
قال عروة الصعاليك :

أليس عظيماً أن تلم ملية
• وليس علينا في الحقوق معول
فان نحن لم نملك دفاعاً بمحادث
تلم به الأيام فالموت أجل

على أن الأمم التي ترى الموت خير مخرج من الذلة لا تموت . فمن التجربات أن الذي يسعى الى الموت يفر منه الموت فيعيش ، لأن الرجل الذي يسير الى الموت ذوداً عن مثل سام هو مؤمن وشريف ، وهذا النوع قليل جداً في الانسانية فتها به ضمائر الناس فيقال عنه إنه محي بالله ، فواجب الحكومات الشريفة السعى في زيادة هذا النوع لافي مهاجمته .

ترون إذن أنه من واجب الأمة أن تقدم كل ما يمكن تقديمه لكي تزيد نسبة الامل في إحراز الانتصار . وما دام رقي الجيش مسألة حياة أو ممات للأمة ولمواردها وصناعاتها . فواجب على كل قسم من الأقسام الحيوية في الأمة أن يساعد الجيش حتى يصبح الجيش محصلة القوى القومية . فيأخذ من الرجال أقواهم لجنده ومن الطلبة أذكاهم وأنبههم لضباطه ، ومن الصناعات ما يجعل بأسه شديداً .

لذلك ترون في الامم الراقية أن الجيش هو أحسن ما فيها ، هو خلاصة الأمة ذكاء وحيوية ونبلا وإخلاصاً ، كل أمله أن يلاقى الموت لاجل أن يعيش ذووه بعزة

واطمئنان ، فأصبحت التضحية كأنها غريزة طبيعية فيه
لا يفخر بها ولا يتكلم عنها .
انظروا إلى هذا الحادث .

في قيام البوكسير في الصين ذهبت حملة تأديبية مركبة
من وحدات أوروبية ويابانية على رأسها المارشال
« والديرزه » وكان رئيس أركان حربه الميرالاي الكونت
« يورك فون وارتبرغ » وكان ضابطاً منظوراً إليه في
الجيش الألماني كرجل الجيش في المستقبل ، وهو
مؤلف كتاب « نابليون كقائد » . حصل حريق هائل
في سراي امبراطور الصين دمر كل شيء ، وكان الكونت
يسكن في إحدى غرف السراي . فبعد أن نجا وخرج
سالمًا لاحظ أن كلبه غائب فشعر بنوع من الخجل لخلاصه
بنفسه بدون أن يفكر في خلاص كلبه ، فدخل الحريق في
الحال ليبحث عنه ولم يعد الاثنان .

متى علمتم هذا أمكنكم بسهولة استنباط واجباتنا
نحو الجيش وتنحصر .

أولاً : في واجباتنا نحو قائد الجيش

ثانياً : فى واجباتنا نحو الطبقة التى يتخرج منها قائد
الجيش أو بطريقة أخرى نحو الضباط والمدارس الحربية
ثالثاً : فى واجباتنا نحو تجهيز الجيش

قائد الجيش تنتخبه الحكومة فهى مسؤولة عنه أمام
البرلمان ، وهو مسؤول عن الجيش أمامها . لذلك يجب أن
تكون سلطته لا حد لها وواجب الحكومة أن تنفذ
رغبته بقدر ما تسمح ماليتها ، والحكومة التى توفق فى
انتخاب قائد قدير مباركة . لأن شخصية القائد القدير
تكون فى الغالب لا تطاق ، فهو لا يداهن ، وكلامه يصل
إلى الهدف بدون التفاف لأن وظيفته هى البحث عن
الهدف الذى إذا أصيب سقطت مدافعة العدو . وبحث
مثل هذا منطقى وليس بأدبى أو فلسفى .

وعليه أن يفهم السياسة العامة فهماً حقيقياً لأن
السياسة الدولية أساسها توازن القوى .

فهو المستشار الحقيقى لحكومته فى المسائل الخارجية
لأنه هو الذى يقدر أن يعطيها قيمة كل جيش وكفاءته ،
وعلى هذا الأساس تفكر الحكومة فى توجيه سياستها .

كان لمولتكه الكبير تأثير معلوم على سياسة بسمارك ،
فكان بسمارك يسير أحياناً في طريق قد يجرح السير فيه
شعور بلد ضعيف ، فيتدخل مولتكه ممينا له أهمية هذه
الوحدة الصغيرة في حرب عامة .

لذلك فاني أرى ان الحكومة التي تسلم دفاع البلد
عن طيب خاطر إلى شخص هذه صفاته ، تكون مسيرة
بعقيدة وطنية شريفة ، وتكون في النهاية صاحبة الفضل
في إنقاذ الوطن متى انتصر الجيش

ولكى ندرك أهمية القيادة العسكرية ووجوب الاهتمام
بها فوق الاهتمام بالوظائف الحكومية الأخرى نصور
لكم حياة القائد في أثناء الحركات الحربية ، فهو في الواقع
يقود أمة مسلحة ومتحركة في آن واحد ، تطلب يومياً
كل ما يلزم الأمة الساكنة في بيوتها من مأكل ومشرب
وملبس وعلاج ، وتطلب أيضاً ذخائر لأسلحتها . ووظيفة
القائد إجابة هذه المطالب بدقة وانتظام لكي يحافظ على
قوتها المعنوية واطمئنانها لقيادته ، وفوق ذلك يجب عليه
أن يوجهها توجيهاً فنياً ينتج تدمير العدو وهو يدير كل
هذه الأمور ويديرها ، وأمامه عدو قد بث عيونه في كل

جوانبه ، حتى إذا صادف ضعفا في محل منها صوب اليه ضرباته ..

حالة ان الوزراء ورؤساء الادارات الملكية يملكون من الوقت ما يسمح لهم بالتفكير في مشاريعهم أشهراً وسنين بدون أن يكون أمامهم عدو يشغلهم أو خطر يهددهم . وإذا ما نظرنا الى ما وراء الستار في أكثر البلدان نجد أن الحروب التي خسرتها دول قوية منشؤها غيرة حكماها وحسد هم لشخصيات القواد القديرين ، فوضعوا على رأس جيوشهم قوادا مساييرين ، فكانت النتائج وبالا عليهم وعلى أوطانهم

وان الكثير من المفكرين يعتقدون ان سبب افلات النصر من يد جيوش ألمانيا هو استسلام الامبراطور للحدادين

وفي الجهة الأخرى نرى « كلمانصو » عدو الكشلكة الذي عارض طول حياته في ترقية فوش يصر على توليته قيادة جيوش فرنسا ثم الحلفاء وأكبر مثال معروف في التاريخ للنتائج الوخيمة الناشئة عن حسد حكومة لقائدها : هو ما وقع بين حكومة

قرطاجنة وأنيبال في الحروب البونية الثانية ، فبعد ما ظهر ضغط روما على مستعمرات قرطاجنة زحف انيبال من اسبانيا على مستعمرات الجول ثم اجتاز الألب وبدأت سلسلة انتصارات مجيدة هزت عرش روما كان آخرها « كانوس » حيث أفضى فيها « أنيبال » كل الجيش الروماني تقريباً ، ولكن هذا الانتصار بدل أن يثير في قلوب مجلس شيوخ قرطاجنة شعور الشكر نحو القائد العظيم ، أحدث حسداً شديداً ، وبدأ الحكام يخافون على مراكزهم متى عاد أنيبال ، فقطعوا عنه المدد ، فاضطر إلى العودة لأفريقيا ، وكانت هزيمة « زاما » ثم تكليف (Scipio) تسليم مدينة قرطاجنة

عند ذلك بكى أعضاء المجلس والحكام وضحك أنيبال ، فلما لأمه البعض قال : « بكيت ثلاثين سنة بعيداً عن قرطاجنة ، مدافعاً عن مجدها ، وكلما طلبت المعونة كنتم تضحكون مستهزئين ، فدعوني اليوم أضحك وأتم تكون » ثم هدمت قرطاجنة وبيع حكامها وأهلها في أسواق روما . . .

في حين ان روما أعلنت الخطر العام وسلبت قيادها

« لفايوس » واستسلم له أعداؤه السياسيون فكان حليفهم
النصر ...

ولله در الأيادي حين ينصح قومه قبل غارة كسرى
عليهم فيقول : —

وقلدوا أمركم لله دركمو
رحب الذراع بأمر الحرب مطلعا
لامترفا ان رخاء العيش فارقه

ولا إذا عض مكروه به خشعا
أما واجب الحكومة نحو الضباط فهو منع المحاباة
في انتخابهم للمدارس الحربية . وواجب الأمة تقديم
خير أبنائها عقلا وجسما ونبلا لهذه المدارس



أما واجبنا نحو التجهيز فهو يتلخص في تنشيط
الصناعات القومية فان تجهيز الجيوش يستلزم مبالغ طائلة
وشراء ما يلزمنا من الخارج قد يكلفنا مالا نطيق . فمن
الواجب التفكير فورا في اعداد ملابس الجيش في مصانع
مصرية إلى أن نوفق قريبا إن شاء الله لتموينه بكل
ما يحتاجه من مصانعنا

وما أجدر الطلبة بأن يوجهوا مشروع القرش من
صناعة الطرايش إلى صناعة السكّامات الواقية
وفي الختام أقول للطلبة ان كنتم تحبون الجيش
وتودون أداء واجبكم نحوه فاعلموا ان الجيش :

تنظيم وبطولة وجلد

والتنظيم : هو ظاهرة العقل في الجيش . العقل

المنطقي المرتب

والبطولة هي ظاهرة قوة الإيمان بفكرة سامية

ممزوجة بقوة في الروح

والجلد : هو ظاهرة تحمل المشاق بدون شكاية

ومع ضبط النفس واخفاء الآلام

أوجدوا نظاما جامعيا يساعد على نمو هذه الملكات

وانى أرى ان هذه الملكات لا تنشأ في الانسان

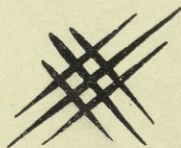
بالكلام أو بالخطب انما بالقراءة والتمرين

فلكم التنظيم تتولد نظريا بالقراءة التي يعقبها تلخيص

مكتوب مرتب تظهر فيه نتيجة ما قرأه الطالب

بوضوح تام

وتتولد عملياً بأيجاد وظائف اجتماعية تقومون بتنفيذها
بطريقة بسيطة سريعة منتجة
وأما خاصتها البطولة والجلد فتكونان نظرياً بقراءة
الكتب وسير الأبطال ، وعملياً بالألعاب الرياضية
وأنواع المran
وفقنا الله جميعاً إلى خدمة الأوطان



Handwritten text in Arabic script, likely a title or introductory passage, appearing faintly on the page.



مجمع نشأت باشا
وزير مصر المقوض بـ برلين

رأبينا الاجتماعى بعد المعاهدة

١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٦

سيداتي — سادتي

طلبت إلى لجنة محاضرات كلية الحقوق بالجامعة المصرية أن ألقى عليكم محاضرة في موضوع عظيم الأهمية مترامي الأطراف هو « واجبنا الاجتماعي بعد المعاهدة » فلبيت الدعوة مسرورا رغبة مني في المساهمة ولو بقسط ضئيل في الدعاية الطيبة التي لا بد من بثها في شعبنا المصري الكريم في فترة تطوره في الحياة الجديدة التي فتحتها أمامه المعاهدة التي عقدت بيننا وبين بريطانيا العظمى

أيها السادة — ان الشعوب على اختلافها لا تخلو أنظمتها من عيوب اجتماعية ولا يوجد نظام تتفق آراء الجميع على كماله من هذه الوجهة ، وما يجب علينا أن ننشده هو الإصلاح الاجتماعي حسب حالة الشعب ومقتضيات الزمان ، أو بعبارة أخرى يجب أن نبدأ بدراسة الظاهر من عيوبنا الاجتماعية ثم نرسم خطة لمعالجتها ونسير في طريق العلاج على مهل وبروية

أيها السادة — إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا

مأبأ أنفسهم ، أفتظنون إذن أن المعاهدة التي أبرمت بيننا وبين
بريطانيا العظمى وحدها تغيير حالتنا إلى ما هو أحسن
إن لم نسع نحن في سبيل هذا التغيير ؟ إن المعاهدة قد
فتحت أمامنا بابا يؤدي إلى أى واد نريده ، فأما إلى وادى
الرقى والعظمة والاستقلال ، وإما إلى وادى الخمول فالشقاء
والاستعباد ، وأتم المخيرون فى اختيار أحد الطريقين ،
وعليكم وحدكم أيها المتعلمون تقع تبعة ذلك أمام الله
والوطن والتاريخ

ان الحكومة مهما عظم نفوذها وكبرت همة القائمين
بالعمل فيها لا يمكنها وحدها أن تضطلع بواجب الإصلاح
الاجتماعى نعم إن لها من قوة الحكم ما يفسح
أمامها المجال لاصلاحات كبيرة ، لكن يجب ألا يغيب
عن ذهننا أن الوزراء يعدون على الأصابع ، وأن لكل
منهم من أعماله الأساسية ، ادارية وبرلمانية ، ما يشغله عن
التفرغ لأعمال الإصلاح الاجتماعى . . . ففرض واجب
على كل منكم أن يؤدي ما بذمته لوطنه ولمن ينقصه التعليم
من أبنائه من نصح وارشاد وقيادة فى سبيل الإصلاح
الاجتماعى .

الوحدة والتضامن — أيها السادة — أول واجب
اجتماعي يفرض على كل منا

قضت الظروف قبل إبرام المعاهدة على سياستنا
بالتضامن والوحدة والاتحاد جبهة واحدة في سبيل انقاذ
الوطن . . . فهل تغيرت هذه الظروف بمجرد التوقيع على
صك المعاهدة . وهل نالت بلادنا بهذا التوقيع استقلالها
استقلالاً تاماً ثابتاً لا يهدده شيء . كلا . ثم كلا . ان
المعاهدة قد مهدت لنا الطريق وعلينا نحن أن نساكبه
متوخين في ذلك سلامة البلاد ورقياً وعظمتها ، كما قد
نصت على حقوق لنا يجب علينا السهر عليها ، ولن يمكن
ذلك إلا إذا دام اتحادنا وتوحدت كلمتنا جميعاً على العمل
سويًا كل في دائرته على اسعاد البلاد والمحافظة عليها من
كل اعتداء والدفاع عن كل حق من حقوقها وكل شبر
من أرضها بكل ما أوتينا من مواهب وأموال وأرواح
الوحدة والتضامن . . . تضامن في العمل ووحدة في
القلوب والغايات وفي المظاهر . . . علينا أن ندرس حالتنا
الاجتماعية على ضوء هذه القاعدة وما خالفها قومناه كل
منا حسب مقدوره وسعينا في اصلاحه .

لا رقيب على وحدة القلوب ، لذلك يقتصر عملنا
على الدعوة اليها بكافة الطرق المشروعة ، وبث فكرتها
بين جميع طبقات الشعب متعلمة أو غير متعلمة بالسبيل
التي يفهمها كل منها

كذلك قد تصعب معرفة الغايات فلنجعل حكمنا عليها
مبنيا على ما نرى من الأعمال ، فوافق منها الغرض الوطني
الشريف ، أى ما بنى منها على فكرة الاتحاد والتضامن
حاز تقديرنا ، وما خالف ذلك استحق النقد واستدعى
جهادا مشروعا شريفاً للرجوع الى الحق والعمل في دائرة
مصلحة الوطن

أما الوحدة في المظهر فأثرها عظيم بما للبادءة من
التأثير على الحالة المعنوية . فيجب أن نظهر أمام العالم أمة
واحدة متجانسة في كل شيء . أمة راقية يحق لها أن تنبؤ
مركزا عالياً بين الأمم الأخرى وتقوم بالقسط الواجب
عليها نحو المدنية والعمران

فهل تدل مظاهرنا اليوم على شيء من ذلك ؟ خذ
مسألة الزي مثلاً وهو أبسط مظاهر التجانس
إذا مر أحدكم بشارع من شوارع إحدى المدن

الكبرى وجال يبصره يمينا وشمالا فهل يرى حوله أفرادا
يثبت مظهرهم انهم أعضاء شعب واحد وأمة متجانسة ؟
فمن رجل يلبس اللباس الأفرنجي ، إلى آخر يلبس الجبة
والقفطان ، وثالث يلبس جلبابا كجلباب النساء ، ورابع
يلبس قميصا وخامس زعبوطا وسادس مطربش وسابع
معجم وثامن يلبس لبدة وتاسع يلبس طاقية . وإذا التفت
إلى ما بأرجلهم وجد من يلبس الخداء والمركوب والبلغة
والخف بأنواعه المختلفة والقبقاب

أبعد ذلك من تفكك وعدم تجانس ؟ ان التاريخ لم
يعرف لمصر عهدا كهذا بلغت فيه فوضى الزى هذا الحد
ولقد عنيت بجمع الخرائط القديمة التي يرجع عهدها
إلى مئات السنين وخصوصاً ما اتصل منها بمصر وفي
بعضها صور لسكان البلاد في هذه العهود . فكان عجي
كبيراً لحسن الملبس والتجانس الملحوظ في زى مختلف
الطبقات حتى في أشد العصور فوضى وتأخراً .

فواجهكم العملي أمام هذه المأساة أن تؤلفوا منكم
جماعة تبحث في عمل زى خاص تتوافر فيه الشرائط
الصحية ، وحسن الهدام لا يكلف أكثر مما يكلف الجلباب

من نسج أمتن وبشمن معتدل يتحملة الجميع ، وأن تبدأ أو بتعميمه بين خدمكم ومن يتصل بكم من غير الخدم ثم اتجهوا نحو الحكومة واطلبوا إليها ألا تعتمد في المدن غير نوعين من الملابس . هذا الزى أو الجبة والقفطان ، وأن تعتبر كل زى آخر كزى مخالف للآداب العامة وأن تعمم ذلك في وزاراتها ومصالحها وبين كل موظف أو مستخدم بها ... اطلبوا إلى محافظى المدن الكبيرة ألا يعطوا رخصة لمن يريد أن يزاول مهنة أو صناعة تحتاج إلى الحصول على رخصة إلا بشرط أن يرتدى الطالب أحد نوعى الملابس السالفة الذكر .

أهم الواجبات الاجتماعية بعد الوحدة والتضامن التعليم العام ولزوم تعميمه بين طبقات الشعب على اختلافها ... تلك نظرية مقطوع فى أمرها فلا يختلف فى وجوبها اثنان ولا تصح فى عرفى المناقشة فيها ، وما يمكن وضعه موضع البحث هى الطرق الموصلة إلى ذلك مع مراعاة احتياجات البلاد وما تسمح به ميزانيتها ، ومن رأى ترك هذه المسائل إلى حكمة القائمين بالأمر فى وزارة المعارف وصادق وطنيتهم ، وواجبنا نحن حياتهم

ألا نفتأ نذكرهم بوجوب تعميم التعليم وجعله اجبارياً
على كل من كان في السن المخصصة لذلك .

أما الأشخاص غير المتعلمين الذين فاتتهم سن التعليم ففي
ميدان العمل على تعليمهم متسع لحضراتكم جميعاً . وذلك
بطريقة لا إخالها صعبة والفكرة فيها ليست جديدة فقد
جربت منذ ثلاثين سنة تقريباً وكانت النتيجة على ما أعرف
مرضية ، وهذه الطريقة هي تعميم مدارس الشعب الليلية
على أسلوب يجعل تكاليف التعليم قليلة وذلك بأن
يتطوع فريق من المتعلمين بتخصيص ساعة أو ساعتين
من وقتهم في الأسبوع لتعليم الجمهور في الحى الذى
يسكنون فيه القراءة والكتابة وتعاليم الدين الصحيحة
وأسباب المعيشة على نظام صحى ، ولا أظن أن المدارس
أميرية كانت أو أهلية والمؤسسات العامة تبخل بتخصيص
مكان من أمكنتها لاعداده لهذا الغرض ليلا بعد انتهاء
أوقات الدراسة النهارية ، ومن الممكن استعمال المساجد
والكنائس لهذا الغرض في غير أوقات الصلاة .

من المسائل المرتبطة بتعميم التعليم التربية الرياضية
البدنية . فالعناية بالرياضة البدنية شأن أحدث الأهم

وأكثرها تقدماً وعناية بالتربية وأساليبها . تلك الأمم
التي استطاعت أن تدرب أبنائها على النظام والطاعة وأن
تغذي أجسامهم وتنمي مواهبهم وأن تعود فيهم
خضوع النفس لحكم الإرادة وأن تزودهم بالصبر والمثابرة
والهمة والشجاعة والاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية
وأن تثبت فيهم روح التضامن والتعاون في العمل والتنافس
الشريف بين المجموع مع انكار الذات وغرس آداب اللياقة
في المعاملات العامة واحترام الأنظمة والقوانين ، فكان
دهم رجال خدموا بلادهم أجل الخدمات ودافعوا عنها
بالنفس والمال وجاهدوا في سبيل رفاهيتها وتقدمها بكل
ما تقتضيه وطنيتهم من بذل وتضحية ، ولعل نشاط الأمم
الحديثة في ميدان الأعمال واستطاعة الأجسام والعقول
تحمل الشاق من العمل والتفكير يرجع إلى عنايتهم
بتربية أجسامهم تربية رياضية كاملة والقول المأثور .
ان العقل السليم في الجسم السليم . ولا نزاع في ان النجاح
في الحياة أصبح يتطلب هذه الرياضة كأساس له ، وان
المدنية الحديثة تحمل معها أسباب النحول والاضمحلال ،
فتكون تقوية الجسم عاملا من العوامل التي تقضى على

أخطاء هذه المدينة وتساعد على النجاح في مضمارها الجارف ..

لذلك تجب العناية بوجه خاص بالرياضة البدنية في المدارس والمعاهد العلمية على اختلاف أنواعها وتشجيع انشاء النوادي الرياضية والا كثار من تأليف الجمعيات التي يكون غرضها بث الروح الرياضية في الشبيبة المتعلمة كما أرى ان التجنيد^١ جبارى لكل من كان في سن التجنيد بلا تمييز بين الطبقات وبعضها مما يوصل الى نفس هذه الغاية ، فيندمج الشبان في سلك الجندية للمدة التي تقدرها السلطات المختصة ، يتعلمون في أثنائها الجندية فيعودون من بعدها رجالا مدربين أقوياء البنية تعلموا النظام ، فالعلم وحده لا يكفي من غير نظام وصحة

كما ان الحال تقتضى تدريب الطبقات التي فاتت سن التجنيد تدريبا رياضيا نظاميا ، فتتعلم التمارين الرياضية البدنية وتتعلم الاعتناء بالأجسام وتدخل على نفوسهم الروح الرياضية فتعودهم على البذل والتضحية في سبيل الوطن عن طيبة خاطر .

وللوصول إلى ذلك قد يكون من المفيد أن تأخذ

الحكومة على عاتقها ولحسابها الخاص القيام ببعض المشاريع الهامة الكبيرة التي تنفذ في الهواء الطلق كأنشاء الطرق والكبارى والترع وبناء الشكنات وغير ذلك ، فتنظم للقيام بهذه الأعمال فرقا من سكان البلاد المجاورة للمناطق التي تنشأ فيها هذه المشروعات وتصبح تلك الفرق فرق عمال منظمة لهم لباسهم الخاص ، ويعتني بأجسامهم من الوجهة الطبية ويعودون المعيشة على نظام رياضى صحيح ، وتنصب لهم الخيام أو المعسكرات الخشبية التي يمكن نقلها عند اللزوم من مكان إلى آخر ثم يكلفون كل صباح بعمل التمارين الرياضية النظامية قبل مباشرتهم أعمالهم من انشاء الطرق أو بناء الشكنات أو القيام بغير ذلك من الأعمال

ويجب أن يتقاضى أفراد هذه الفرق أجورا على عملهم ولو كانت قليلة حتى لا تعود إلى الأذهان فكرة السخرة التي أزيل شبحها من البلاد .

نعم لا أنكر أن تنفيذ المشروعات العامة على هذه الطريقة قد يكلف ثمناً أكثر مما لو أشهرت في المناقصات العامة وأعطى إلى مقاولين ، إلا أن هذا الفرق يجب أن

يحتسب على مصروفات تعليم الشعب ويضحي في سبيل
تربيته تربية رياضية صحيحة، ولا يغيب عن الفكر
أن المقاولين الذين يعهد إليهم عادة بالقيام بمثل هذه
المشروعات العامة يكسبون مكاسب لا بأس بها فلماذا
لا تحول تلك المكاسب من جيوبهم الخاصة إلى فائدة
الشعب، ولماذا لا تنقذ العامل المصرى المسكين الذى
يستخدمه المقاولون بأجور وكسبون مما يحرق
من دم في عمله ويتركونه يعيش عيشة البؤس والشقاء
فيقضى حياته بثوب بال تكلوه الأقدار ويقتات بما
لا يكفي لتغذية جسمه فتنتابه الأمراض ويتملكه الضعف
بيد أنه حسب ما اقترح يندمج في فرق العمال جميع
طبقات الشعب بدون تمييز بين متعلم أو غير متعلم، فيقوم
المتعلم بارشاد أخيه في الوطنية غير المتعلم إلى الاعتناء
بصحته وبنظافة جسمه ويبحث فيه روح التضحية في سبيل
رفعة البلاد والنهوض بها إلى المكان الذى تستحقه بين
باقي الأمم المتمدنية. وقد تكون هذه هي الطريقة المثلى
لبث بعض مبادئ التربية والثقافة فيمن لم يتمكن من
التعلم، يضاف إلى ذلك إمكان إلحاق بعض المرشدين

والواعظين فى هذه المعسكرات للدعوة بين أفرادها إلى اتباع تعاليم الدين والتحلّى بالأخلاق الطيبة وإلى بث روح الوطنية والتضحية فى نفوس من تتكون منهم هذه الفرق كما يمكن استعمال الطرق الحديثة فى الوصول إلى نفس هذه الغاية بوضع آلات للراديو فى المعسكرات وعمل إذاعات خاصة فى هذا السبيل ليستمع إليها أفراد فرق العمال بعد الانتهاء من أعمالهم وقبل خلودهم إلى النوم والراحة

الارشاد الصحى — إذا اقتضى نظام الكون أن تكون هناك فوارق بين طبقات الشعب فى المال والعلم فلا مبرر مطلقاً لوجود هذه الفوارق من الوجهة الصحية إذا أتيح لباحث أن يزور القرية المصرية وأن يقارن بين حالة سكانها وسكان المدن من هذه الوجهة فإنه يتضح له الفرق الهائل بين صحة السكان فى الجهتين . ثم إذا دقق النظر اتضح له ان هذا الفارق يتسع كثيراً بين الطبقات الغنية والطبقات الفقيرة فى الجهتين ، وهذا الموضوع ولا شك يشغل بال الباحثين فى هذه الشؤون من الوجهة الفنية وهو على ما نعلم موضوع عنايتهم ، لذلك

لا نريد أن نتعرض له من ناحيته هذه فإن ذلك متروك لهم ، ولكنى وقد طلبتم إلى بيان واجباتنا الاجتماعية لا يسعنى أن أغفل هذه الناحية وعلاقتها بالاجتماع واضحة ، لذلك اكتفيت منها بما أسميه الارشاد الصحى فى القرى تاركا بقية المسائل الصحية لهم .

إذا أتيح لأى منكم أن يزور القرية فانه يروعه ما يلحظه من كثرة العميان ومرضى العيون فيها كثرة تؤذى النظر وتدمى القلب ، كما يروعه ضعف الأجسام وهزال الأبدان . وذلك أمر لا مبرر له الآن بعد أن أصبحت أسباب الأمراض معروفة ووسائل العلاج ميسرة . أليس معنى ذلك أن هؤلاء المساكين لا يجدون من يرشدهم إلى أسباب الوقاية والعلاج ؟ ذلك ما أرمى إليه من الارشاد الصحى .

من الواجب على كل متعلم أن ينشر لزوم التطب والوقاية من الأمراض بين هذه الطبقات البائسة وأن يعلمها أسباب الأمراض واضرار إهمال علاجها وأن يدعوها للاستفادة من المنشآت الصحية التى لا يكلفهم العلاج فيها شيئاً . ذلك واجب المتعلم فى البيئة التى يعيش

فيها وفي قريته إذا ما رجع إليها . وإذا أريد الإسراع في الوصول الى هذه الغاية وجب أن تنظم وزارة الصحة بعثات طبية متنقلة في سيارات معدة بكل أنواع العلاج البسيط وفيها جميع وسائل الراحة لاقامة الأطباء فتسير أسراب تلك البعثات من قرية إلى قرية في المديرية المختلفة بنظام دورى وتقيم في كل قرية الوقت اللازم لفحص المرضى من سكان هذه القرى وإسعافهم بالعلاج اللازم وإرشادهم للاستمرار فيه تحت مراقبتهم عند عودتهم في الأدوار القادمة ، ومن وجدت مرضه مستعصياً بعثت به الى المستشفيات القريبة على أن يرشد هذه البعثات ويعاونها في عملها في كل قرية عامل يصح أن نسميه الملاحظ الصحى على أن يقوم بالقرية ويكلف بجميع الأعمال المطلوبة من حلاق الصحة الآن مضافاً إلى ذلك مراقبة الصحة العامة بالقرية ونظافتها وتعرف أمراض أفرادها ، ومن البديهي أن يعلم هذا العامل تعليماً خاصاً لا يزيد عن القراءة والكتابة وقانون الصحة لدرجة تؤهله لأداء عمله على وجه مرض .

ومن الفوارق التي يجب العمل على تخفيف أثرها بين

الطبقات مسألة السكن ومسألة القرية المصرية من هذه الناحية.
فانه من المسلم به أن المساكن القروية محرومة تماماً
من وسائل الصحة ومجردة من كل أسباب الراحة التي
تحبب المأوى إليها ، وما هي في الواقع إلا بؤرة للميكروبات
والأمراض ، والشعور بحالة القرية المصرية ووجوب
إصلاحها ليس أمراً جديداً بالنسبة لكم ، وفي رأي أن خير
علاج لها أن تعتمد الحكومة أو مجالس المديريات الى
نزع ملكية مساحات من الأراضي الزراعية بجانب كل
قرية لتكون مقراً لقرية جديدة ثم تخططها تخطيطاً يتفق
والقواعد الصحية وحاجات السكان ثم تصدر قراراً
تحرم فيه البناء أو التعمير في القرية القديمة وتمنح كل من
أراد البناء الأرض اللازمة له . فلا يلبث السكان أن
ينتقلوا تدريجياً إليها ولا يلبث القرويون بحكم ما بينهم
من التنافس في مدى ربع قرن على الأكثر أن ينشئوا
بأموالهم القرية الحديثة التي تحل محل القرية القديمة تحت
رقابة الأقسام الفنية بوزارتى الداخلية والصحة ، وهكذا
تحل مشكلة القرية على خير الوجوه بأبسط التكاليف
وأيسر النفقات على الحكومة .

أيها السادة — تعلقون أن الأمة تتكون من وحدات هي الأسرة . فإذا كان نظام الأسرة حسناً وتكوينها سليماً قوياً كان حال الأمة كذلك . ولكننا مع الأسف الشديد لا نستطيع أن نبنت الأسرة المصرية بهذا الوصف ، فانه بينما يقتضى الواجب الطبيعي رب الأسرة أن يخصص من الزمن لأسرته كل ما زاد عن وقت عمله فيأوى إلى بيته ويقيم بين أفراده يرعى صغارهم ويرشد كبارهم ويعنى بشؤونهم وينظر في مصالحهم ويضرب لهم خير الامثال في البر والعطف فينشأون تحت كنفه وفي رعايته نشأة صالحة طاهرة كما كان يفعل الآباء والاجداد وكما يفعل كل رب أسرة يشعر بواجبه الاجتماعي حيالها . نقول بينما ذلك هو الواجب الطبيعي نرى رب الأسرة المصرية يعطى كل ما زاد من وقت عمله إلى حلاله وأصدقائه ، ويحرم أفراد أسرته من حقهم الطبيعي في رعايته وعنايته ربما كان من أسباب ذلك ما يحسه من التفاوت بين تفكيره وتفكير زوجته وما يشعر به من الفرق العظيم بين ثقافتها وثقافته فيفر إلى حيث يجد الغذاء العقلي في حديث إخوانه وسمر خلانه .

وربما كان سببه مجرد المنزل من مظاهر الانس أو وسائل
التسلية التي يجدها في خارجه .

سواء أكان السبب ذلك أم غيره فانه لا يعد مبرر
لهذا المسلك الذي يهدم الأسرة ويقضى عليها . وفي
الاستطاعة الرجل أن يرفع زوجته إلى مستواه أو إلى الدرجة
الملائمة إذا ما أراد ذلك ، وأن يوجد في بيته من أسباب
الهناء كل ما تتطلبه نفسه .

على ان هذه المشكلة التي اعتبرها مشكلة وقتية ستحل
في المستقبل القريب من تلقاء نفسها ، عند ما تأخذ الفتاة
المصرية المتعلمة قسطا من الحياة في المجتمع وتقوم بنصيحتها
من أعبائه فان تعليم المرأة سيحل هذه العقدة حيث تصبح
في مستوى الرجل وتأخذ مكانها في المجتمع بجانبه . فعلى
أن تساعد بسلوكنا نحو الأسرة على تخفيف هذه الحالة
وهذه الملاحظة السريعة التي أوجهها لمن يقضون
أوقاتهم في النادى أو في القهوات تاركين زوجاتهم
وأطفالهم بعيدين عن رقابتهم محرومين من عنايتهم . هذه
الملاحظة توجه أنظارنا إلى ضرورة تعليم المرأة تعليما
يمكنها من — معاونة الزوج في أعماله ، ويعدها للقيام

بقسطها من شؤونه الاجتماعية فتد زوجها إلى حظيرتها
وحظيرة أولادها

بقيت أمور يلحها كل من يحيل نظره في مجتمعنا
المصرى سببها التمسك بعادات مستهجنة والأخذ بيدع
لا مبرر لها تظهرنا أمام الغير بمظهر لا يليق بنا كأمة
متمدنية مطالبة بأن يؤدي نصيبها في تقدم الحضارة والمدنية
وتلك العادات والبدع كثيرة يضيق الوقت عن
حصرها . فنكتفي هنا بذكر أمثلة منها :

الاول - هذا البكاء والعيول الذي يشيع به المجدد
عندما يقبل في الجهادية من أهله وذويه . فم يبكي القوم
وعلام ينوجون وقد أخذ فتاهم ليلبس نظيفاً ويعيش
عيشاً رغيداً ويقوى جسمه وعقله ويؤدي ما فرض
عليه نحو وطنه في غير خطر متوقع لبعده فكرة الحرب
عنا ؟ ولا أدري ماذا يفعل هؤلاء لو استدعت الحال
دفاعاً فعلياً عن البلاد . وطلب اليهم أن يعيشوا بأبنائهم
إلى ميادين الشرف والتضحية . أكانت تظل هفه الميادين
خالية والبلاد مستباحة إرضاء لعاطفة شفقة كاذبة ؟
لقد وجه إلينا أمر النقد بسبب هذه الظاهرة واتهمنا

أشدّ الاتهام في عاطفتنا الوطنية بسبب مسلك هؤلاء
الجهلاء . وقيل عنا من أجل ذلك إننا قوم لانفهم الواجب
الوطني الذي هو أول ما يقتضيه طلبنا الاستقلال . فعلياً
أن نبادر إلى كم هذه الأفواه الصاخبة وإفهام هؤلاء الناس
ما في الجندية من شرف وخير وفائدة

ولو اعتبرت الحكومة هذا الأمر مخالفة جنائية
لأجهزت على هذه العادة الضارة المستهجنة . ولو أردتم
استئصالها من النفوس والقضاء على أسبابها فعليكم أن
تبشوا بدعايتكم القوية روح الوطنية الحققة والتضحية والبذل
بين هذه الطبقات .

الثاني — التسول في الطرقات وما اعتاده بعض
الصبية والناس من طلب « البقشيش » ممن يظنونهم أجنبياً
فالتسول أمر غير معقول في بلاد ك مصر . حاط بنا .
مهيّن لكرامتنا . مؤذ لحياتنا . مع انه إذا جمع المتسولون
في مدينة كبيرة كالعاصمة وأخرج من بينهم من كان قادراً
على العمل لما تبقى بعد ذلك إلا نفر قليل في حاجة حقيقية
إلى التسول . فكيف يعقل أن أمة غنية كالأمة المصرية
عرف أهلها بالجود والكرم وأوقف الواقفون منهم من

قديم الزمن الكثير من أموالم على أعمال البر والخير .
كيف يعقل ان أمة هذا حالها تعجز عن العناية بمثل هذا
العدد القليل والانفاق عليه غير معرضة كرامتها إلى الأهانة
ولا أبناءها ولو كانوا من العجزة ، إلى الاستجداء على
قارعة الطريق .

أما ما تعود به بعض أطفال العامة ورجالها من المبادرة
إلى طلب البقشيش عند ما يقع نظرهم على أجنبي فعادة
قيحة ورذيلة ممقوتة لا دواء لها إلا بتربية العوام تربية
صحيحة وبث روح الأباء والفضيلة فيهم بالطرق التي
سبقت الإشارة إليها

الثالث — سلسلة من العادات تحدث عند الوفاة
هذا الصراخ الذي يشق جوف الليل منذرا بالوفاة
فيزعج النائمين ويقض المضاجع ويقلق راحة اناس لا صلة
لهم بالميت . ما الداعي اليه . انه لا يمكن أن يكون ترجمة
حقيقية عن العاطفة التي يصح أن يعبر عنها بكاء القلب
والعين من غير صوت

وما رأيكم في منظر جنازاتنا وهي تمر في الشوارع
لا يحوطها شيء من جلال الموت . حدود ملطخة بالسواد ،

وأصوات منكرة صاحبة ترتفع في الفضاء . ونسوة بين
راجلات ومحملات على العربات ، ورجال يرتلن أناشيد
لا تتصل بأصل من أصول الدين ، تذهب أصواتهم في
تضايعف الصراخ والعويل . أهذا هو جلال الموت تنحني
له الرؤوس وتحشع له القلوب وتنعقد لهولة الألسنة .
وما هذه الحشبة المحمولة على الأعناق من أقصى المدينة
إلى أقصاهادون شفقة بالمشيعين . وما التمسك بهذه الطريقة
في نقل الموتى وقد كانت مشروعة عند ما كان السعى من
طرف المدينة إلى طرفها الآخر في طاقة كل مشيع .

أيها السادة :

ان هذه أمور يجب العدول عنها وابتكار غيرها بما
يتناسب مع العصر ولا يتنافر مع الدين ويبرز جلال
الموت ويؤدي إلى الاتعاظ به

ماذا علينا لو جعلنا بكاءنا على الأموات بكاء صادقا
بالقلب والعين ، ونقلنا موتانا إلى مسجد الحى في عربة
من عربات الموتى حيث يجتمع المشيعون وآل الميت في
بيت الله فيصل على فيه في حضرتهم ويتقبل آل الميت تعازى
المشيعين ثم تنقل الجثة بنفس هذه الطريقة إلى المقبرة

قد يقال أننا قد سرنا في هذا الطريق ، والواقع أن بعض الموسرين يتبعون ما يقرب من هذا في دفن موتاهم ، ولكن متوسطى الحال والفقراء وهم الأغلبية العظمى لا يطبقون ما يقتضيه هذا النظام من نفقات . ومن رأي أنه يجب على وزارة الأوقاف والجمعيات الخيرية أن تخصص ما يلزم من العربات لنقل من مات من الفقراء بغير أجر

ذكرت لحضراتكم بعض ما عن لى من ملاحظات في سبيل الإصلاح الاجتماعى ، ولا يفوتنى أنؤكد لكم أن النظام الاجتماعى السليم هو النظام الذى يقوم على الوطنية الحققة ورعاية المصلحة العامة وتضافر الجميع وتضامنهم في سبيل إسعاد بلاد نبتنا فيها - أكرمنا ودرت علينا من الخيرات ما أسعدنا

والوطنية تتطلب من كل منكم أن يكون قوى الايمان بوطنه ، عظيم للفخر بماضيه ، جم الاخلاص بحاضره ، قوى الأمل في مستقبله ، معتزاً بنسبته اليه اعتزازاً يسمو به الى مرتبة المجاهدين في سبيله في مختلف ميادين الحياة سياسية كانت أو علمية أو اقتصادية ، كل فرد في دائرة

واجباته العامة وما تخصصر له من شؤون في الحياة .
ولا يمكن أن يكون الباعث على أداء هذه الواجبات قوياً
إلا إذ بلغ حب الوطن مرتبة التعصب له باعتباره وطناً
له حدود مرسومة وباعتبار ساكنيه أمة لها تاريخها
وتقاليدها وعاداتها ، تعصباً مظهره الاعتزاز بالقومية
والفخر بالجنس . هذه الوطنية التي ندعو إليها هي الوطنية
المستنيرة التي تقتضى الفرد أن يتمثل أمامه دائماً مفاخر
قومه وفضائل أمته فيجعل من نفسه صورة جامعة لما أثر
هذه الأمة ومفاخرها وأن يكون حريصاً على أن يجعل
من نفسه كفرد من أفراد هذه الأمة رجلاً قائماً بقسطه
من الواجبات على أكمل الوجوه وأنفعها . فعلينا جميعاً
أن نفخر بقوميتنا وأن نعتز بجنسنا فان ذلك يدعونا إلى
الوفاء لبلادنا فيما يفرض علينا من الواجبات

على ألا يكون أساس هذا التعصب القومى العدوان ،
و ألا يكون مشرباً بروح الكراهية للغير أو الرغبة في
انتقاص حقوقه ، بل يجب أن يكون أساسه الاعتزاز
بالقومية اعتزازاً يشعر النفس بكرامتها التاريخية ونبل
السلالة التي ينتسب إليها مع رعاية تقاليدنا القديمة من

أكرام النازلين بيننا من الأجانب وحسن وفادتهم
هذه الروح يجب غرسها في نفوس الناشئة منذ الطفولة
وترويضهم على آدابها ، ويجب أن يتجه التعليم في مصر
الحديثة هذه الوجهة القومية وأن يأخذ الرجال أنفسهم
بهذه التقاليد حتى تصبح المصرية عقيدة من العقائد
الاجتماعية التي يظهر أثرها في سلوك الفرد ومظاهر الجماعة
وهذه الروح التي ندعو إليها يجب أن تتمسك بها
كشعار من شعائر حياتنا الاستقلالية الجديدة ، فنطبع
أنفسنا بطابع مصرى أساسه المصرية في كل شيء . فنجعل
أنفسنا مصريين في سلوكنا ، على أن يكون سلوكنا
المصرى أكمل سلوك ، متفقاً مع تقاليد مجدتنا ، غير متناف
مع روح العصر الذي نعيش فيه . مصريين في تجارتنا ،
مصريين في صناعتنا ، مصريين في لغتنا وآدابنا وفنوننا ،
لنشعر الغير بما في مصر من قوة ، وما في شعبها من حياة .

1870

Received of the
Hon. Secy of the Navy
the sum of \$1000
for the purchase of
the land on which
the new building
for the Navy
is to be erected
at Annapolis
Md.

Wm. A. Rorer

الدكتور طه حسين بك

عميد كلية الآداب

واجبنا الاولى بعد الطعنة

١٩ ديسمبر سنة ١٩٣٦

الواقع أن الشباب عندما طلبوا إلينا هذه المحاضرات
انما أخضعونا لامتحان شاق، فهم لم يزدوا على أن يفرضوا
علينا موضوعات كموضوعات الانشاء التي نفرضها عليهم
في الجامعة أو المدارس، وكانهم أرادوا أن يثأروا لأنفسهم
ويتقموا من أساتذتهم (تصفيق) ولست أكره أن يكون
بيننا وبينهم هذه الخصومات التي تقوم على الدعابة والحب
معا، فنحن نمتحنهم طوال السنة فلهم أن يمتحنونا يوما من
حين إلى حين

غير أن الأجابة على هذا السؤال، أو الحديث عن هذا
الموضوع الذي فرض علينا ليس من السهولة بحيث يظن ،
وخيل إلى حينما طلبوا أن أتحدث عن الواجب الادبي
أنه يسير حقا ، وأى شيء أيسر من أن نتحدث عما يجب
علينا لأحياء الأدب العربى حديثه وقديمه ، ولكنى الآن
عندما وصلت إلى هذا المكان وأخذت أتحدث سألت
نفسى ماذا أقول فلم أجد شيئا ، لم أجد شيئا لأنى وجدت
أشياء كثيرة (تصفيق) والواقع أيها السادة أننا عند

ما مجد أكثر مما نريد فقد أخطأنا ما نريد . وبماذا تريدون
أن أحدثكم: عما يجب للأدب أو عما يجب على الأدب؟
فلا بد من أن أحدثكم عن الأمرين جميعا .

فالأدب مكلف بأشياء يجب أن يؤديها للجماعة وهو
في الواقع لأجل أن يؤدي هذه الأشياء له حقوق يجب
على الجماعة أن تؤديها له ، فبأى الموضوعين يحسن أن
أبدأ؟ أبحق الأدب على الجماعة من حيث إن هذا الحق
هو السبيل لأن يؤدي الأدب واجبه ، أم يحسن أن أبدأ
بواجب الأدب نحو الجماعة من حيث إن الموضوع
واجبنا الأدبي بعد المعاهدة . (تصفيق)

أما أنا فأعترف لكم بأنى عندما قبلت هذا الموضوع
قبلته على أن أكون محاميا عن الأدب، أى على أن أتحدث
إليكم بحقوقه لا بواجباته ، فالأدب مظلوم في البيئة المصرية
ظلمها شديدا ، وإذا كنا في عصر جديد ، وإذا كنا نستقبل
حياة جديدة قوامها النهضة والنشاط والحرية فلا أقل من
أن يتهم المظلوم الفرصة ليظهر ظلامته ، ولا أقل من
أن يعلن المظلومون انهم احتملوا المكروه ، فيجب أن
ترفع هذه الاتقال فيؤدوا بعض ما عليهم . وبالطبع

عندما أقول ان الأدب ظلم في هذه البيئة المصرية فقد يقع هذا الحديث موضع الدهشة من كثيرين من الذين يظنون أن الأدب لم يؤد واجبه للجماعة المصرية في هذا العصر، فالناس ينتظرون من الأدب أن يصور المثل العليا ويتظنون منه أن يعينهم على العمل والأتاج، ويتظنون منه أن يثير في نفوسهم الحياة القوية ، واللذة العقلية الخصبية ، ينتظرون هذا منه ويلتمسونه فيما يقرأون من آثار القدماء والمحدثين فلا يجدون ذلك فيسخطون على الأدب ، فاذا قلت إن الأدب مظلوم دهشوا وقالوا إنه ظالم ولكن لماذا؟ أقصر الأدب عن أداء واجبه للآن؟ لماذا يلتمسون عنده لذه العقل والقلب معا فلا يجدون شيئاً؟ لما يلتمسون مثلهم العليا عند الأدب العربي فلا يجدون، فيضطر الكثيرون إلى التماس هذه المثل في آداب أخرى؟ أهو الذي قصر عن الواجب، أم أنكم قصرتم عن أن تؤدوا واجبكم فخيّل بينه وبين الاتّاج والخصب ..

يعجبنى جدا عندما نعرض لمسائل الواجب والحق أن نلقى هذه الاسئلة على أنفسنا قبل الناس ، ونحاسب

أنفسنا قبل غيرنا . وإذا كنا كما أقول نستقبل حياة جديدة
فلنتتيز الفرصة لنحاسب أنفسنا على ما قدمنا في حياتنا
التي ندعها لمستقبل هذه الحياة الجديدة بشعور وإيمان
بالواجب الجديد . نريد أن نعرف ما الذي يجب على الأدب
للجماعة الحديثة في العصر الجديد . فما الأدب أولا ؟
الأدب له صورتان : إحداهما نجدها عند ما ننظر نحن إلى
الأدب بالقياس إلينا والآخرى عند ما ننظر نحن إلى
الأدب بالقياس إلى غيرنا ، فالأدب بالقياس إلينا يجب أن
يكون مرآة نرى فيها أنفسنا لا كما نحب أن نراها بل كما
هي بحيث لا نرى مزاياها ومحاسنها فحسب ، ولكن نرى
المزايا والمحاسن ونرى معها العيوب والنقائص أيضا .
فإذا نظرنا إلى محاسننا ومزايانا دفعنا هذا إلى الرضا بعض الشيء
عن أنفسنا ، وإذا نظرنا إلى العيوب دفعنا هذا إلى الإصلاح
والجد في سبيل المثل العليا ، والأدب عند ما ننظر إليه
بالقياس إلى غيرنا من الأمم والشعوب يجب أن يعطينا
صورة تظهر الناس علينا كما ينبغي أن يظهر علينا الأجانب
في شكل لا يؤذينا ولا يعيننا ولا يحمل غيرنا على أن
يزدرينا أو ينتقص أدبنا ، فهل إذا نظرنا إلى أدبنا العربي

من هاتين الناحيتين ننتهى الى هاتين الصورتين حقا ؟
أحقا أنه يصور أنفسنا بحيث نرى ما يميزنا وما يعيننا ؟
أحقا أن أحدا ما لو قرأ الكتب التى تنشر فى هذه الأيام
هل يرى فيها الصورة المصرية والحياة المصرية التى نراها
ونحياها ، ثم أحقا اذا نظر الأجنبى الى أدبنا المصرى
يكون لنفسه عن هذا الأدب وأصحابه فكرة تروقه وتروعه
ولا تستحق سخطا ولا ازدراء ؟ أما أنا فأعتقد ان الأدب
الحديث ربما مثل أشياء وربما صور أشياء ، ولكنه بعيد
عن أن يصورنا لأنفسنا .

وما أظن أنى محتاج لأن أقيم الدليل على أنكم لا تكادون
تجدون فى الكتب والمقالات والفصول أنفسكم وإنما
تجدون أشياء أخرى ، ليس بينها وبين أنفسكم صلة ، وعندما
تأخذون الكتب وتنظرون فيها لا تلبثون أن تضيقوا بها
أشد الضيق ، وإذا أتيح لكم أن تحتملوا قراءتها يوما ما
فلن تستطيعوا أن تجدوا فيها الصور الكافية وإنما تجدون
فيها الألفاظ والعبارات المخمقة والألوان الانشائية . فأما
حياتنا المصرية وأما آمالنا فى صدورنا ، وأما أحلامنا
ومثلنا العليا التى يتحدث بها الناس إذا خلا بعضهم الى

بعض ، والتي يتحدث بها كل فرد إذا خلا الى نفسه فلا نجد منها شيئاً في الأدب الذى يذاع . وقد يجد الأجانب بعض الجمال أو الحسن فيما نذيع من كتب ، وقد ينبغى الأجانب على بعض كتابنا وشعرائنا أحياناً ولكن الشيء الذى ليس من شك فيه هو أننا لانستطيع أن نطمع فى أن أدبنا يرضى الأجانب كما يرضون عن آداب الأمم الحية الأوروبية ، وإنما هم اذا أعجبوا بشيء فانما يعجبون بالكتاب النادر الذى يشذ بين الكتب ويعجبون بالأديب الفذ الذى يشذ بين الأدباء . فأما أن أدبنا فرض نفسه على الأمم الأجنبية والنقاد والمؤرخين وغيرهم من الأوروبيين على أن يجعلوا له مكانة ، فان ذلك لم يكن من المسئول عن تقصير الأدب فى ذاتنا ، وعن أن يصورنا لأنفسنا كما يجب أن نكون ، وأن يصورنا للأجانب كما ينبغى أن نصور . المسئول الأول نحن من غير شك ، فليس الأدب شيئاً عاقلاً مفكراً يستطيع أن يقدر واجباته وتبعاته ، وإنما هو إنتاج والمنتج هو المسئول قبل أن يسأل الشيء الذى أنتجه . فاذا قلت إنه مقصر فعناه أن المحدثين مقصرون ، واذا كانوا كذلك فعناه أن البيئة ليست من

القوة ولا من الامداد بحيث تمكن الأديب من أن ينتج
كما ينبغي ، فما الأسباب التي تحول بين البيئة المصرية وإلهام
الأدباء وحملهم على الانتاج وإكراههم على تصوير أنفسهم
وعلى تصوير المصريين للأجانب ؟ أظن أن أول ما ينقص
البيئة المصرية مما يحتاج اليه الأديب إنما هي الحرية ، فالأدباء
في مصر ليسوا أحراراً وحرمانهم الحرية يقص أجنتهم
ويحول بينهم وبين الانتاج الحق وهم قد حرّموا الحرية
من جهات كثيرة جداً فلا يستطيعون أن يفكروا كما
ينبغي أن يفكروا ، وقد يتاح لأحدهم أن يكون متمرداً
على الجماعة فيفكر برغمها ولكنه لا يستطيع أن يصور
ما يحول في نفسه من خواطر وآراء ، وقد يكون متمرداً
مسرفاً في التمرد ، مفكراً مسرفاً في التفكير ، فلا يكاد
يعلن آراءه وخواطره في شيء من الحرية حتى تقوم القيامة
حوله ويجد من المقاومة أشدها وأعنفها ، ويضطر الى كثير
من التواضع والهدوء والانزواء ، وينبغي أن يتقى شر
الناس ، ويكفى الناس شره في وقت واحد . أول ما يجب
أن يؤدي للأدب إنما هو حقه من الحرية في الظهور
والنمو والانتاج . هذا الحق لا ينبغي أن يقاوم أى مقاومة

من أى ناحية من نواحي المقاومة الفردية أو الاجتماعية
وإذا تحدثنا عن الحرية فلسنا أريد الحرية المألوفة
التي تطلب الى الحكومة وإلى النظام ، وإنما أريد حرية
أوسع منها مدى وأعسر تحقيقاً . أريد للأديب حريته
بالقياس إلى قرائه ، الى العرف العام ، الى العادات
والسنن والتقاليد التي اتفق الناس عليها ، فكثير جداً من
الأدباء يفكرون ويشعرون ويحسون أن آراءهم وشعورهم
وخواطيرهم في نفوسهم لو أذيعت لأعجبهم ودعهم الى
الانتاج ولكنهم لا يجترئون على أن يعلنوا خواطيرهم
لأنها لا تتفق مع العرف ، وليس ما أقول الآن بدعاً من
الأمر ، فالأدب الحي حقاً هو الذي لا يجد أمامه لا من
الفرد ولا من الجماعة ولا من سطوة الحكام ولا من
بأس السلطان ما يعوقه عن الظهور والنمو . ومالي أتمس
لكم الأدلة وأبعد في التماسها وإذا نظرتم الى الأدب العربي
القديم نفسه في العصور التي ازدهر فيها وآتى خير ثمراته
رأيتم أن هذا الأدب قد كان في عصوره رقيقاً جداً الى
أبعد حد في الحرية ، ويكفي أن تنظروا لشعرائنا في القرن
الأول الهجري وهو الذي عرف جلال الاسلام وقوته

وسلطانه على حياة الفرد والجماعة وسلطانه على خلاق
الناس وتكوينه لهذه الأخلاق، يكفي أن تنظروا الشعراء
القرن الأول الهجرى وإلى الحرية الهائلة التى كان يستمتع
بها الشعراء استمتاعاً لا يكاد يعرف حداً، يكفي أن تنظروا
إلى هؤلاء الشعراء فسترون أن كثيراً من أشعارهم كانت
تنشد فى المجالس والأندية وبين أيدي رجال الدين والزعماء
السياسيين لانستطيع نحن أن ننشدها جهره لأنها لا تلائم
عادتنا ولا تتفق مع السنن والتقاليد الموروثة .

فاذا تركتم العصر الأموى عصر الفرزدق وجريز
والأخطل ومن إليهم من الذين استباحوا لأنفسهم أشياء
وبلغوا أقصى ما كانوا يستطيعون أن يبلغوا . إذا تجاوزنا
هذا إلى العصر الذى يليه وجدنا عصر البطش السياسى
الذى تسلطت فيه الدولة على الفرد وتدخلت فى حرية
الدين والأخلاق فتبعت الزنادقة وقتلتهم وفرضت كثيراً
من الآراء فى الدين . إذا نظرتم رأيتم أن الأدب استمتع
بحرية لم يستمتع بها غيره من آثار العقل الإنسانى . فانظروا
إلى بشار وأبى نواس وأبى تمام وإلى الحرية التى استمتعوا
بها فيما يقولون فى أنواع الجد والهزل وقيسوا حرمتهم

إلى حرية كثير من المفكرين في ذلك العصر فسترون أن
الشعر استمتع بحرية لا حد لها وأنه أتيح له أن يطرق
موضوعات ما كان له أن يطرقها لو أن السلطان أثقل
الأدباء بالحدود والأغلال . فإذا تركنا هذا العصر إلى
عصور فرضت فيها القيود على التفكير والشعور فسترون
أن الأدب أخذ يخمد ويضعف وأخذت زهراته تذبل
حتى انتهت إلى الانحطاط الذي نشكو منه نحن ونحاول
الخلاص الآن ، فأول ما يجب لأدبنا العربي لكي
نطالبه بأداء واجبه نحو الجماعة هو أن نعترف له بالحرية .
أريد أن الأدب لا يكون حراً إذا لم نكون نحن
أحراراً ، ولا أبغى الحرية السياسية وحدها . ولا أذكر
حرية التفكير العلى وحدها ولا حرية التفكير من
حيث هي ، ولكن أريد الحرية التي تحملنا على أن نحترم
صاحب الأدب والشعور الذي يجده صاحبه . إذا وصلنا
إلى هذا وإلى معرفة كيف ينكر المصريون أن من حقهم
أن يحسوا ويشعروا ويفكروا ويعلنوا ما يجدون في
صراحة ، إذا وصلنا إلى هذا فأنا واثق بأننا سننتج أدباً
خصباً خليقاً بالعصر الحديث وبالمثل التي تتطلبها .

يوم تتاح لنا هذه الحرية نستطيع أن نطرق موضوعات كثيرة لا نطرقها الآن لأننا لسنا أحراراً ، وأريد أن أضرب لكم المثل : أهم شيء يحتاج إليه الأدب ليحيا إنما هو أن يستمد من الشعب الذى يظهر فيه وأن يشتق من هذه الحياة لا أن يستنزل من السماء ، فهبوا أديبا مصريا يريد أن يصور لونا من ألوان الحياة المصرية هو اللون الذى عرض له وفرض نفسه فرضا ، وليكن هذا اللون البؤس والفقر والضر الذى تعانيه طبقات كثيرة من المصريين ، هبوا أديبا ميريا اتصل بالبائسين والمعوزين وبهذه الطبقات التى لا تكاد تحصى والتى لا نكاد نتصل بها اتصالا صحيحا حتى تدمى قلوبنا حزنا وأسى ، هبوا أديبا اتصل بهذه الطبقات فامتلاّت نفسه بما يصوره من البؤس واليأس والقنوط ، وهبوا هذه الخواطر أو هذا البؤس المؤلم قد ملأ نفس الأديب وملسها ودفعها إلى أن تصور ما رأى وما أحس فأعلن الصيحة المنكرة صيحة البؤس الذى يشكو منه ويستغيث . هبوه أحس ما أقول وامتلاّت به نفسه فصاحت هذه الصيحة ، ما ذا تكون النتيجة ؟ أما الحرية الطبيعية التى ينبغى أن توجد

فى بلد حر ، فهى أن هذه الصيحة يسمعها الغنى فيتأثر ويجود
بمغونة الفقير ويسمعها من كان من أوساط الناس فيتأثر
ويجود بمغونة الفقير كذلك . ويسمعها الفقير البائس
فيتملىء قلبه عزاء وأملا ويشعر بأن الطبقات الأخرى
مستعدة لأن تمنحه الكثير من العطف والود وأنه لا
يعيش فى بلد يظلم فيه الناس وإنما يعيش فى بلد يشعر
بالتضامن الاجتماعى ، فيقضى هذا على اليأس الذى يجر
إلى الاجرام ، والقنوط الذى يدفع إلى ارتكاب الموبقات ،
ولكن يخيّل إلى أن هذا الاديّب لو أنه أحس ما يقول
وصاح هذه الصيحة القوية لوجد مقاومة عنيفة من نواح
كثيرة ، لماذا؟ لأنه يصور على أنه يدعو لاشياء لا يصح أن
يدعى إليها فى هذا البلد وهى الاشتراكية ، وهى غير مباحة .
ولست أريد أن أذكر شيئاً أشد من الاشتراكية
فانى حريص على أن نعود إلى بيوتنا لا إلى السجن !
يعاب أدبنا الحديث بأنه أدب أرستقراطى لا يصور
طبقات الشعب ، وإنما يصور الطبقات الممتازة فيه ، ويقال
إن هذا الأدب من هذه الناحية ليس شعبياً وليس مرآة
لشعب الذى يظهر فيه ، وقد يكون ذلك صحيحاً ولكن
من المسؤول ؟

كان أدبنا القديم أدب المترفين ، يحيا في ظل الملوك
والأمراء وأشباه الملوك ، وكان هذا ملائما لطبيعة الأشياء
في ذلك الوقت . أما الآن وقد اعترف بحقوق الناس
وبالمساواة بين الناس لأنهم ناس ، لآلأنهم من هذه الطبقة
أو تلك ، فأول شيء يجب ألا يكون الأدب ارستقراطياً ،
ولا أريد أن أظلم الأرستقراطية والطبقات الممتازة ،
وإنما أريد أن يكون لها أدبها والا تحرم الطبقات الأخرى
من أن يكون لها نصيبها من التصوير الأدبي . فليست
الحياة كلها نعيماً ورخاء ، وربما كان البؤس والشقاء أكثر
انتشاراً في حياتنا من النعيم واللذة والرخاء ، فإذا صور
الأدب ناحية وأهمل الأخرى فلا يؤدي واجبه نحو
الجماعة ، وإذا كانت مثلنا العليا السعى في سبيل المساواة
والتضامن الاجتماعي والرقى الذي لا يقتصر على طبقة
دون طبقة وبيئة دون بيئة وإنما يشمل المصريين جميعاً
لا فرق بين الاغنياء والفقراء والعاجزين والقادرين ،
والاقياء والضعفاء

إذا كنا نريد هذا هنا فيجب أن تزال الحدود والسدود
التي تمنع الادباء من تصوير الحياة . يجب إذن أن يتاح

للأديب أن يقول في كل شيء وأن يقول كما يحس ويشعر ويرى . وماذا يقصد ؟ هناك قوانين تحمي النظم الاجتماعية فيجب أن يفكر في أن تكون القوانين التي تحمي النظم الاجتماعية حرة تتيح للناس أن يفكروا وأن يشعروا كما ينبغي أن يفكر الانسان ويشعر . ليس من الخير بحال من الاحوال أن يكون أحدنا شخصين مختلفين أشد الاختلاف ، شخصاً يفكر تفكيراً حراً لا حد لحرية وآخر منافقاً يفكر كما تريد الجماعة أن يفكر ويشعر . لهم أن يحظروا على المصريين تغيير النظام الاجتماعي ، فاما أن يحظروا على المفكرين أن يفكروا وينكروا إسراف الفقير في الفقر وإسراف الغنى في الغنى ، واما أن يحظر على المفكرين أن ينكروا فساد الحياة بين الطبقات فهذا لأفهمه ولا أقره ولا أرى أنه يتفق مع العهد الديمقراطي الجديد الذي نسعى اليه

وأخرى ينبغي ألا نهملها عندما نريد أن نطالب الاديب بأن يؤدي واجبه للعهد الجديد ، فليس الادب في حقيقة الامر شيئاً يمكن أن يعيش في نفسه دائماً ، هو

خواطر وآراء وإحساسات وشعور ينتقل من بعضنا الى بعض بواسطة الكلام ، أى بواسطة اللغة ، فإذا أردنا أن يكون حراً ويؤدى واجبه حقاً ، فلا أقل من أن يؤدى اللغة واجبها ويتاح لها ما يبق من السعة والسهولة والمرونة ، فيستطيع أن يصور ما في نفوسنا من عواطف وما يضطرب في صدورنا من خواطر وآراء ، فمن أوجب الواجبات علينا للأدب أن نتيح له لغة حرة حية خصبة قادرة على أن تصور ما نريد وأن تكون أداة تخاطب وتفاهم يجب أن ينتقل بها شعور الاديب وحسه .

فهل أدينا للغة هذا الواجب ، هل بذلنا ما نملك وما لا نملك لنمكنا من هذه القوة والمرونة لنكون أدباء خصباً ؟

أما الجواب فما أظن أنى في حاجة اليه ، والشباب أقدر الناس على الجواب لأنهم يختلفون الى المدارس وكليات الجامعة ويستطيعون أن يقولوا لنا ولا أنفسهم : أحقاً بذلت الجهود رأتجت فأصبحت لغتنا خليقة بما نطالب به من رقى أدبي .

يجب أن تستقل اللغة أو تستقل مصر استقلالاً

لغوياً كما تستقل استقلالاً اقتصادياً وسياسياً . فإذا أردنا أن نستقل لغوياً فإذا يجب ؟ يجب أن تشعر اللغة العربية بأنها حرة في وطنها وانها لا تقاوم في مصر وانها لا تفرض عليها اللغات الاجنبية التي تأتيها من الخارج ، يجب ان تكون العربية اللغة الرسمية حقا لمصر . اذا ذهبت الى فرنسا او انجلترا أو غيرهما وتحدثت في مكتب من مكاتب البريد بالعربية لم يفهم عنى أحد وسخر منى من أتحدث اليه ، فإذا ألححت لم أظفر بشئ ، ولعله يضيق بى ويردنى عن أن أتحدث اليه والذي لاشك فيه هو أن حاجتى لن تقضى . واذا جاء الاجنبى الى مصر فيستطيع أن يمكث فيها سنة وسنين متصلة وأن ينفق حياته كلهادون أن يحتاج الى اللغة العربية ، لماذا ؟ لانها ليست مستقلة في مصر وانها ليست المصرية حقا ، وإنما المصرية هي العربية والانجليزية والفرنسية والايطالية

إذن فلا بد من أن تكون المصرية هي العربية ، وأنا بعيد كل البعد عن أن أكون خصما للغات الأجنبية ، بل أنا من أشد الناس إلحاحا فى أن تتعلم اللغات الأجنبية لأنى أرى ان تعلمها من أحسن أدوات الاستقلال الأدبى .

واللغوى عندنا . أريد أن تتعلم اللغة الأجنبية على أنها
أجنبية ، لا على أنها من اللغات الرسمية . أريد أن تتعلمها
على أنها وسيلة لا على أنها غاية . أريد أن تتعلمها لأننا في
حاجة إليها . وأريد أن يشعر الأجني في مصر بأنه في حاجة
إلى تعلم اللغة العربية .

وأخرى لا بد لي من الألامم بها قبل أن أترك هذا
المكان ، فنحن نريد أن يكون الأدب قادرا على أن يؤدي
واجبه نحو مصر الحديثة ، فها هو هذا الواجب الذي
نطالب الأدب به ؟ أما أنا فلا أرى ان هذا الواجب
صعب التحقيق ، وأعتقد ان الأدب يجب عليه أن يصور
ثلاثة أشياء ويصورها تصويرا قويا حقا ليكون أدبا خليقا
بهذا الاسم وتكون مصر خليفة بمصر الحديثة .

الأول أن يصور شخصية الأديب بحيث إذا قرأت
أثرا أدبيا لم أجد فيه الصورة الانجليزية أو الفرنسية التي
نقل عنها الأديب ، وإنما أجد الأديب الذي كتب اسمه
على الكتاب او الذي أمضى الفصل في الصحيفة . أريد
إذا قرأت فصلا أو كتابا أن أشعر بأن صاحبه يفكر هو
ويشعر هو ويكتب هو لا يقلد هذا أو ذاك ، ولا يحاكي

هذا الأديب أو ذاك من العرب أو الأجانب
ولا ينبغي أن أطلب الاستقلال الأدبي من أفراد
غير مستقلين ، فلا أجل أن يوجد الأدب المستقل يجب
أن يستقل الفرد لغويا ، فالجماعة المصرية لا تحقق استقلالها
السياسي ولا حريتها إذا لم يكن كل فرد في نفسه حرا
مستقلا ، فكذلك الحال في الأدب ، لن يكون المصريون
أدب إلا إذا كان لكل فرد من الأدباء شخصيته الممتازة
التي تشعر بنفسها وتشعر الناس بقوتها ، فإذا استطاع
الأديب أن يكون شخصه ويعرض على قارئه هذه الشخصية
فأطالبه بالثاني وهو ألا يفنى في نفسه وألا ينقطع عن
البيئة التي يعيش فيها ، وأن يكون إلى جانب شخصيته
القوية مصريا قويا فلا يصور شخصيته فحسب ، إنما
يصور شخصيته وبيئته ، حتى إذا قرأه الاجنبي لم يقل ان
هذا أدب لأنسان ما وإنما هو أدب لأنسان بعينه من
بلد بعينه ، وهذا البلد هو مصر ، بهذه الطريقة وبهذه الطريقة
وحدها نصل إلى أن يكون أدبنا قويا ونشعر غيرنا
بوجودنا وبأن لنا شخصية قوية حقاً تفرض نفسها فرضاً .
نحن في حاجة لأن يكون الأديب قوى الشخصية والوطنية ،

فاذا لم يكن قويا فلن يؤدى واجبه فى موطنه ، ولن يكون خليقا بوصف الأديب ، وإذا لم يكن وطنيا ممتلئا بوطنيته وقوميته ، ممتزجا بالشعب والاقليم الذى يستمتع فيه بالحياة أو يشقى فيه ، إذا لم يكن كذلك لم يحمل غيره على احترامه ولا احترام وطنه . فاذا استطاع أن يكون ذا شخصية قوية وقومية ووطنية فأطلب اليه الثالث والأخير وهو أن يكون انسانا شاعرا بالتضامن الانسانى ، لا بينه وبين أبناء وطنه فحسب ، بل بينه وبين الناس جميعا ، شاعرا بما ينبغى للانسان نحو الانسان من المودة والعطف والرحمة ، هذه التى تجعل الانسان إنسانا كائنا ممتازا عن غيره من الحيوان ، إذا استطاع أن يكون كذلك فهو الأديب وأتم توافقونى على أنا فى حاجة إلى هذا الذى إذا ألف ثم أذاع كتابته على الناس حملهم على أن يقدرُوا وطنيته وأن يجبروا على ان هذا الأديب خليف بالخلود حقا

بعد هذا تسألونى عن واجبنا الادبى بعد المعاهدة فأقول كلمة واحدة : واجبنا الأول وواجبنا الثانى وواجبنا الثالث والأخير هو أن نكون أحرارا ومكرمين لأنفسنا ليكرمنا الناس ؟

الدكتور علي مصطفى مشرفة بك

عميد كلية العلوم

واحبنا العلمي بعد المعاشرة

٢١ ديسمبر سنة ١٩٣٦

سبراني رسالتي

ليس العلم غريباً عن دياره ، فصر تعتبر بحق معهد العلم كما أنها آوته في عصور مختلفة ، والعلم لا يزال حياً بيننا اليوم ، نخلق بنا إذن أن نفكر في هذه الآونة ، آونة اضطلاعنا بمسؤولياتنا ، خالق بنا أن نفكر فيما يجب علينا نحو العلم . تعلمون أن تراثنا العلمي يمتد إلى أمد بعيد في ماضينا ، ففي بردي أحمر الذي يرجع إلى سنة ١٧٠٠ ق م نجد كتاباً علمياً في الحساب كان يدرس في ذلك الوقت في المدارس المصرية القديمة وكان ذلك منذ ٤٠٠٠ سنة تقريباً ، وفيه نجد دراسة لا للحساب فقط بل أيضاً لمبادئ علم الجبر ومعادلات الدرجة الثانية التي تدرس في مدارسنا . هذا البردي وأمثاله يدل دلالة واضحة على أن أجدادنا كانوا يدرسون حقاً في مصر في ذلك العهد السحيق . ومن الحرفات التي انتشرت قديماً في العالم الغربي أن دراسة المصريين القدماء للعلم لم تكن إلا دراسة أولية أوحث بها الرغبة للوصول إلى حل بعض مسائل علمية .

ولعل سبب انتشارها يرجع إلى ماورد في كتب هيرودوت
من أن النيل طغى في سنة من السنين فأغرق الأرض
المزروعة فكانت الحاجة داعية إلى وضع نظام توزيع
الأرض بين ملا كهافنشأ علم الهندسة، هذا الحديث الخرافى
يناقضه مناقضة صريحة كل ما عثرنا عليه من آثار القدماء،
والحق أن دراسة المصريين كانت ترمى لذات المعرفة،
وأن الروح التى أملتها كانت علمية بالمعنى الدقيق الذى
نفهمه حديثاً وإن كانت الحقائق أقل من مجموع الحقائق
التي وصلنا إليها أخيراً

وليست المدنية المصرية بالمدنية الوحيدة التى ترعرعت
على ضفاف النيل، فالأغريقية أو المنسوبة إلى الأغريق
تأثرت كثيراً بالمدنية المصرية فى عصر الأغريق الذهبى
وعاشت بعده فى الإسكندرية وغيرها، ومن الفخر لنا أن
أول قياس لمحيط الكرة الأرضية حدث فى مصر على يد
رجل إغريقى يدعى أرسطوستين ولد سنة ٢٧٥ ق م
فقد قاس محيط الكرة الأرضية بأن قاس المسافة بين
الإسكندرية وأسوان وقدر الفرق فى العرض وبني حساب
الكرة عليه، والنتيجة هى ٢٥ ألف استاديون، أى ما يقابل

٣٩٥٩٠ ك م أى أقل من الحقيقة ب ٤٨٠ ك م فى ٤٠ ألف
ك م وهى درجة يغط عليها أرسطوسين ومعاونوه
وإن كان لنا أن نفاخر بالمصرية القديمة وبعلمونا
المصرية فإن الفخر العظيم هو الأخذ بمدنيات المصرية
القديمة والعربية تلك التى تركت أثرها فى مصر ولا تزال
نفخر بانتسابنا إليها ، فى العصر العربى قمنا نحن فى مصر ،
وإننا قلت نحن فأقصد الأمة العربية الساكنة فى مصر فى
ذلك الوقت ، قمنا بأعمال علمية مفيدة وكتبت كتب فى
القاهرة كان لها أثرها فى تطور العلوم فى العالم ، كما أن
مجهوداتنا كانت جزءاً من مجهودات أعم وأوسع تشمل
الامبراطورية العربية . ومن هذه الأعمال الهامة نذكر
أن علم الضوء والبصريات أخذه العرب من الاغريق
ولا يصح أن يسمى علماً ، فكان الاعتقاد أن رؤية العين
تحدث بخروج شعاع من عين الرأى إلى الجسم المرئى ، على
هذا وجد العرب علم البصريات ، فلما أن درسوه وخدموه
وكتبوا فيه وصلوا إلى مؤلفات قيمة وكذلك فى انكسار
الضوء نجد ابن الهيثم يصف العين فى كتابه وصفاً
دقيقاً وخاصة عملية الابصار وهو وصف لا يختلف

في جوهره عما ندرسه الآن، كذلك ينسب إلى ابن الهيثم
ميزان الحكمة وبحث فيه علم الآلات كما بحث في علم
السوائل وتوازنها .

ومن الكتب التي تعتبر أساسا للدراسات العلمية في
العالم كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة وضعه في عصر
المأمون وأشار في مقدمته لذلك وترجم هذا الكتاب إلى
اللاتينية وكان أساسا للجبر في جامعات أوروبا في العصور
الوسطى بل إلى أمد قريب منذ نحو ٤٠٠ سنة وإلى اليوم
نجد بعض المسائل الواردة في الخوارزمي واردة في
الكتب التي تدرس عندنا الآن .

ونجد في الكتاب بعض حلول حسابية، وكان لي الشرف
بنقله عن النسخة المحفوظة في مكاتب لندن وقدمته
للجامعة، وأمل أن ننظر لمثل هذا العمل بأنه جزء من
واجبنا العلمي .

نجد حلولاً هندسية لبعض المسائل الجبرية وأرى
من المستحسن أن تدرس اليوم في مدارسنا المصرية .
كل هذا يدل على أن العلم بمعناه الحقيقي كان ولا يزال
موجوداً بيننا ليس فقط ، بل محترماً مبجلاً ، فاحترام العلم

في نظرنا فضيلة واحترام العلماء كان ولا يزال خاصة من
خواص تفكيرنا . ولا شك في أن الأزهر قد حمل شعلة
لعلم في مصر والبلاد الشرقية في وقت كانت فيه أوروبا
بعيدة عن طلب العلم ودراسته .

كل هذا إن لم يكن معروفا لكم في تفاصيله فهو إلى
حد ما مشهور متواتر ، فكلنا يعرف أن لنا تاريخاً
عليماً مجيداً

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن عصر محمد علي نجد أنه
يرسل البعث إلى أوروبا ونجد أنها تعود على دراسة
العلم في مصر بالخير الكثير . فإذا ما انتقلنا تدريجياً نجد
ظاهرة غريبة ، نجد أن الشعلة التي أوقدت في عصر محمد علي
لو أنها تركت لتلتهب في جو حر مطلق لوصلت بنا إلى
نور ونار ، ولكنها خبت وقتاً ما كما لو وضعت في قاعة
حرمت من عنصر الأوكسجين ، فنشأ نوع من الصعوبة
في التنفس .

أظن . أنه قد آن الأوان لأن تفكر مصر والشرق ،
ما هو واجبنا وهذا حال ماضينا .

إن أول واجب في نظري نحو العلم إنما هو وصل

ماضيها بحاضرنا، إنما هو إيجاد جو مصرى يعيش فيه العلم ويشعر فى نفس الوقت بأنه يعيش بين أهله . ولا أنكر على حضراتكم أن العلم وأقصد به على الخصوص العلوم المرتبطة بالطبيعة والكيمياء والرياضة وسائر العلوم التجريبية، هذه العلوم لسوء الحظ عليها مسحة أجنبية موجودة بيننا، فالعلوم ننقلها وندرسها ونسميها بأسماء غريبة غير مألوفة، كما أن طريقة التفكير تظهر غريبة كذلك لأول وهلة .

فهذه الحال أول مايجب علينا أن نهدمها ونجعل دراسة العلم مرتبطة بالماضى، فشجرة المعرفة يجب أن تتفرع عن بذور معروفة، شجرة العلم اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، فإذا استطعنا أن نربطها بماضيها وجعلناها تتغذى من تربتنا الخصبة فستؤتى أكلها باذن الله . ولكن ماهى الوسائل العلمية لربط الماضى بالحاضر ؟ تلوح لى اقتراحات على سبيل الفرض :

أهمها نشر الكتب العلمية التى ألفها مصريون أو عرب ككتاب ابن الهيثم فى البصريات والخوارزمى فى الجبر وغيرهما . نحن نسمع عن ماضيها وتراثنا العلى

كما لو تكلمنا عن أحاديث خرافية للأطفال
كل شاب فخور بماضينا، فاذا سئل: أرني أثرا من الماضي
عجز تمام العجز، لماذا؟ لأنها محفوظة في مكاتب إنجلترا
وفرنسا وألمانيا، وكلها بعيدة عنا، وإن كانت نشرت فبلغة
أجنبية اعجمية يدرسها الأفرنج كما يدرسون أخلاق الأمم
المتأخرة وعاداتهم ولغاتهم، هذا هو الحاصل أيها السادة،
فالواجب أن نقوم بنشر هذه الكتب بلغتنا العربية ونعلق
عليها بالعربية ونقدم لها بالعربية، ويطلع عليها كل متكلم
في الأقطار العربية.

ثانيا: يجب أن نكثر من عقد المؤتمرات العلمية، وأقصد
بذلك مؤتمرات علمية لبحث العلاقات العلمية بين الأفكار
الشرقية، ولنبحث ماضينا وحاضرنا العلمي. أذكر أنني
منذ خمس سنوات حضرت اجتماعا في لندن بمناسبة مرور
١٠٠ سنة على اكتشاف ميخائيل فردى لظاهرة كهربائية
مغناطيسية كان لها أثرها في العلوم الطبيعية والهندسية
اجتمع علماء ومهندسون من أقطار العالم لتمجيده. ولاشك
أن كل إنجليزي حضر هذا الاجتماع ورأى الناس يأتون
أفواجا ليجدوا عمل إنجليزي كان يشعر بفخر وابتهاج

وأقول ان بين علمائنا العرب أمثال ابن الهيثم
والخوارزمي وغيرهما ، لا شك في ان ماعمله هؤلاء
العلماء لخدمة العلم وتقدمه لا يقل عما عمله هذا العالم
الانجليزى لخدمة العلم .

وإذا كان الناس قد اجتمعوا من أقطار العالم لتمجيد
فردى ، فأحر بالناطقين بالضاد أن يجتمعوا لتمجيد
الخوارزمي وابن الهيثم

ثالثا : تشجيع التأليف العلمى بالعربية ، وتعلمون انه
وللأسف لا يكاد يوجد كتاب واحد بالعربية يصلح أن
يوصف بانه يمثل لحالة علم أو فرع من العلوم إلى يومنا
هذا . بل كثيرا ما يقال ان الصعوبات فى سبيل التعليم فى
الجامعة هو عدم وجود الكتب الصالحة كمراجع

هذا الحال قد يفهم لو أنه لم يوجد بيننا من يقدم
على تصنيف الكتب فى سائر العلوم بالعربية ، ولكن
الحال على العكس ، ففي مصر من يقدر على تصنيف الكتب
فى علومهم بالعربية لأنهم يعرفونها ، ولأنهم درسوا هذه
العلوم ، ومنهم من ابتكر فيها وأضاف إليها .

هؤلاء موجودون الآن ، ومع هذا لا يكتبون الكتب

وأول ما يعن للذهن انهم ملومون وأنا لأأعفيهم ، ولكن
فكروا ان الرجل يجب أن يكون مصنوعا من غير الطين
لكى يكرس سنتين أو ثلاثا من عمره فى كتاب مطول
فى علم من العلوم ثم ينفق عليه من ماله لينشره ، وهو
بعد ذلك لا يكاد يبيع منه أكثر من خمسين نسخة

من الواجب على العلماء أن يقوموا بهذا ، وإزاء
ذلك يجب على المجتمع والأمة والحكومة أن تشجع
العلماء على الكتابة ، وتدفع لهم المكافآت التى تتناسب
مع مجهودهم .

أما مسألة المصطلحات العلمية ووجود ألفاظ فى لغتنا
تعبر عن المعانى الحديثة التى من أجلها رموا العربية بالقصور
عن التعبير عنها . فالحق أن من يقول ذلك قاصر عن أن
يفهم العربية ويفهم العلم نفسه

والواقع أن الحال التى نحن عليها شبيهة بالحال التى
كانت عليها العربية فى بدء عصر حضارتها حين بدأت
العلوم تنقل إلى العربية من لغات الأمم المختلفة فوسعتها
اللغة . وأعتقد أن فى مميزات اللغة العربية ما يجعلها تفوق
اللغات الأجنبية من الناحية العلمية .

أقول ذلك لأنى اشتغلت بالتأليف، فكثيرا ما كنت أوفق إلى التعبير عن أى معنى أريده إذا فكرت بسليقتى العربية ..

بقيت مسألة أخرى أعتقد ان لها أهمية عظيمة وهى الاكثار من البحوث العلمية إلى الخارج . وهنا نقف أمام نظريتين :

الأولى : أن نرسل المصرى حيث يتزود بالمعلومات ثم يعود .

والثانية : تعارض فى ذلك وتقول يجب أن نستورد الأجنبى ليعلم فى مصر

وأقول أنا عن خبرة إن الوسيلة الناجحة هى الطريقة الأولى . فالمصرى إذا سافر فكث نحو خمس سنوات ، عاد مصرىا وأدى رسالته التى تطلب منه . أما استيراد الأجنبى فقد دلت التجارب على ان ذلك لا يعود عليه بالفائدة لبعده عن وسطه . وثانياً لأن هناك صعوبة فى وضع المصرى مكان الأجنبى

هذه مسائل أردت أن أصارحكم القول فيها وهى ترتبط بحاضرنا العلمى ، وترتبط بمصريتنا وقوميتنا وشعورنا .

ونحن وإن كنا سنقوم بعملنا في مصر والشرق إلا
أن علينا واجبا أهم ، فمصر ستكون قريبا في جامعة الأمم ،
وسواء حدث ذلك أم لم يحدث ، فمصر إحدى الأمم التي
ينظر إليها غيرها كعضو في أسرة الأمم . وإذن فوجودنا
في هذه الأسرة البشرية يوجب علينا أن نضطلع بمسؤوليتنا
ونقوم بقسطنا من الواجب علينا ، وليس هناك تعارض
بين أن نقوم بواجبنا العلمي وواجبنا العلمي الدولي ، بل
إن قيامنا بواجبنا العلمي القومي أساس قيامنا بواجبنا
العلمي الدولي . فاني أشبه مجهودات الأمم كما يجب أن
تكون بالاصوات في أنشودة موسيقية رائعة . إذا سمعتم
قطعة موسيقية فإن الصوت الذي تسمعه آذانكم هو اجتماع
جملة أصوات كل منها صادر عن آلة خاصة ، وله رنين
خاص يتميز من غيره . ووجود هذه الشخصية للصوت
لا يتعارض مع توافق الأصوات في أنشودة البشرية .
فأعتقد أن الواجب هو أن نساهم في العمل الدولي
وأن نكون في مساهمتنا شاعرين بقوميتنا وذوقنا الخاص
وانا مصريون قبل كل شيء . وهذا الواجب الأخير ربما
كان له الأثر الأكبر بعد

لهذا إذا اجتمعت أسرة مؤلفة من أمم مختلفة فانا
سنعرف بطابعنا الخاص ، كما اننا سنعرف بمساهمتنا
لمصلحة البشرية ، فاذا مثلنا في اجتماع دولي يجب أن
نجمع بين الناحية العلمية وبين المحافظة على الكرامة
القومية .

وإذا نظرنا إلى البرنامج الذي حاولنا تلخيصه فربما
وصفناه بأنه برنامج بعيد شيئاً عن التواضع . وهذه هي
الوسيلة التي بها نستطيع أن نرفع شأن العلم في مصر إلى
المستوى الذي نأمل أن نصل إليه ؟

حسين عفانه بك

سكرتير عام وزارة الزراعة

واحبنا الزراعي بعد المعاهدة

٢٤ ديسمبر سنة ١٩٣٦

أما وقد تم بحمد الله التصديق على المعاهدة ، فقد
أصبحت علينا واجبات كبيرة في مختلف شؤوننا اقتصادية
كانت أم زراعية ، والواجب الأول الذي يركز عليه
نجاحنا في حياتنا الجديدة ، حياة الحرية والاستقلال ،
هو التعاون والتضافر في كل الأمور حتى نصل ببلادنا
إلى المكان اللائق بها . وواجبنا أن نغني بشؤون الزراعة
أكبر عناية إذ هي ركن الثروة الأهلية ، لا أن نهملها
ونهمل شؤون المشتغلين بها كما جرى عليه العرف الخاطئ
في البلاد . وقبل أن أبدأ الكلام عن واجبنا الزراعي قد
عن لى أن أذكر لحضراتكم بعض واجبات عامة . واجبنا
الأول أيها السادة كما سبق ذكره الاخلاص في العمل
وللوطن ، حتى يشمر المجهود أحسن الثمرات فنثبت للعالم
أجمع ان مصر جديرة باستقلالها ، جديرة بالاحترام
والاجلال . واجبنا أيها السادة احترام الفلاح واحترام
مهنة الزراعة بدلا من التقليل من شأنها ، بمعنى ألا ننظر
للزراعة كآخر ما يلجأ إليه طالب العلم في هذه البلاد

فبلادنا زراعية ، وهى أحوج ما تكون إلى أكبر الكفاءات
وأميزها . والمصرى ذكى بفطرته ، ولقد خطا شوطا بعيدا
فى فنون الهندسة والطب والحقوق ، أما الزراعة فلا زالت
را كدة لا تعلو فى مستواها على مر السنين . واجبنا أيها
السادة تنظيم الجهود ووضع سياسة زراعية ثابتة يجرى
العمل على تنفيذها ، أما إذا تشعبت الآراء وتعددت
الأغراض دون ربط بعضها ببعض فإن شتات الجهود
لا أثر له ولا فلاح ينتظر منه . واجبنا أن يشترك الكل
فى وضع أصول تلك السياسة وما أنا بفاعل ذلك تفصيلا
فوقتكم لا يسمح بذلك ولكنى أبغى أن اضع نواة
عسى أن تكون بادئة صالحة نحو اعلاء شؤون الزراعة
والرفاهية فى البلاد

أيها السادة — ان الأمم لا تسود ولا يقوى سلطانها
بغير المال ، لذلك يجب أن يكون أهم ما تعنى به الحكومة
والشعب هو تنمية الثروة المصرية وتوفير مصلحة المصريين
وخاصة السواد الأعظم من الفلاحين والهيئات العاملة
التي يقوم على أكتافها صرح الانتاج والتي هى أحوج
ما تكون إلى المعونة العاجلة .

ولتنمية الثروة من الناحية الزراعية طرق: أولها زيادة المساحة المنزرعة، وثانيها العناية بخصوبة التربة والمحافظة عليها، وثالثها زيادة الانتاج بزيادة غلة الفدان والتوسع في الاعمال التي لها اتصال بالزراعة ودراسة الشؤون الاقتصادية على ضوء ميزاننا التجاري من صادر ووارد من المعلوم ان مصر الزراعية تبلغ نحو ٣٥٪ من مصر الجغرافية، ولما كانت المساحة الكلية للملكية المصرية هي مليون كيلومتر مربع فأن جملة الاراضى الزراعية تعادل ٥٣ الف كيلومتر مربع اى ٨ ملايين وربع مليون فدان، منها ١٥ مليون فدان اراض منزرعة فعلا والباقي الممكن استغلاله هو نحو ثلاثة ملايين فدان وهذا يتوقف اصلاحه على كمية المياه الممكن الحصول عليها. والمعلوم لدينا ان هذا الاصلاح سيتناول ٣٥ ألف فدان سنويا. وقد يتساءل البعض عن السبب في عدم مضاعفة المساحة الممكن اصلاحها كل عام، وردنا على ذلك ان استثمار الأراضى البور في مساحات واسعة، وخاصة في شمال الدلتا تعترضه صعوبات ليس من السهل التغلب عليها، منها قلة الأيدى العاملة. وللتدليل على ذلك أذكر لحضراتكم

أن عدد المشتغلين بالزراعة في بعض المناطق قد بلغ ٧٦٨ في كل كيلو متر مربع بينما يبلغ في مناطق أخرى ٩٥ نفساً ، لذلك وجب علينا أن نعمل بكل الوسائل المجدية على ترغيب الأهالي في المناطق المكتظة بالفلاحين بالهجرة إلى تلك المناطق الجديدة . وقد يقترح البعض تذليلاً لهذه الصعوبة تشجيع الاكتشاف من الآلات الزراعية وهو مالا يتفق مع نظام توزيع الملكية في المملكة المصرية علاوة على أنه سيؤدي إلى التقليل من تربية الماشية وهي سياسة لا يصح الأخذ بها بعد أن أدت في البلاد الأجنبية إلى زراعة أراضي المراعي بعد الاستغناء عن الماشية بزراعة الحبوب والمحاصيل وبالتبعية زيادة الانتاج مما كان له أثره الظاهر في الأزمة الزراعية العالمية

ويسوقى الكلام عن اصلاح الاراضى إلى تكاليف مشروعات الري وما يتحمله الفدان من تلك التكاليف فانه إذا قامت سياسة الري على قواعد من التصميم والادارة الصحية ، فهذه التكاليف تدفع لنا أوفر الارباح نتيجة لزيادة الانتاج الزراعي وتحسن الشؤون الاجتماعية والاقتصادية ، ولا شك ان هذه القواعد قد لوحظت

تماماً عند وضع تصميم مشاريع الري السابقة وستلاحظ أيضاً عند وضع تصميم المشاريع القادمة ، غير ان عاملاً واحداً لم يلاحظ كما يجب في مشاريع الري المصرية وهو البحث في التأثيرات التي ستأثر بها الأراضي الزراعية كتأثير ارتفاع مستوى الماء الأرضي وتشبعها بالماء إلى عمق كبير وتراكم الاملاح وما يؤدي إليه ذلك من تغييرات كيميائية قد تنتهي بانحطاط خواص الأرض الطبيعية مما يستحيل علاجه .

وطبعي في مصر ألا يلاحظ هذا الذي أشرنا إليه ، فان الزراعة في مصر وإن كانت من أقدم المهن إلا ان علاقتها بالمباحث العلمية حديثة العهد جداً إذا قورنت بنظام الري الذي بدأ منذ فجر القرن التاسع عشر ، ولم تنفرد مصر بالوقوع في هذا الخطأ الذي وقعت فيه الهند وبيرو واسبانيا والولايات المتحدة والسودان وغيرها لأن مشروعات الري حتى بداية القرن الحالى كان ينظر إليها باعتبارها مسائل هندسية بحتة ، أما الآن فلا يمكن الجدل في انها مشاريع هندسية واقتصادية وزراعية ، والواقع انه لا يكفي الاقتصار على تصميم وإنشاء الخزانات

وحفر الترعرع للرئ بالراحة فى كل وقت يطلبه الفلاح دون نظر إلى ما يترتب عليها مما أشرنا إليه لأن زيادة الاتاج عاجلا وبالتالى زيادة الربح بسبب سهولة الرئ المستديم إذا قابلها نقص فى رأس المال كانت سياسة غير ناجحة . . .

وقد بدت مظاهر ضعف التربة فى كثير من الأراضى المصرية ، وقد بذل مجهود صادق لإنشاء وتعميم المصارف العمومية وأقيم ذلك المشروع العظيم مشروع طلبات صرف أراضى طلبات الدلتا ، وأول ما عملت مشروعات الوجه القبلى جعل عمق المصرف العمومى متر ونصف متر ، وبعد البحث جعل عمق المصرف العمومى ٣ و ٥ متر ، وقد غنى كثير من حضرات كبار مهندسينا بدراسة هذه المسائل ولهم آراء قيمة فى ضرورة بحث هذه الشؤون دراسة مشتركة وذلك بتأليف إدارة خاصة لوضع قواعد المباحث الزراعية والمائية على أساس منظم وتوثيق الرابطة بين إدارات الزراعة والرئ وهما يعملان الآن مستقلتين استقلالاً تاماً الواحدة عن الأخرى سادى : لقد ألممت بأهم ناحية من نواحي الخطر على

خصب التربة المصرية ولا أريد أن يفهم من كلامي ان ما أشرت اليه هو كل شيء في الموضوع ، بل الواقع ان عدم إجادة الفلاحة وضرورة تصديق الابحاث العلمية عليها من تسميد وتشميس واتساع دورات منتظمة كل هذه أسباب تؤدي حتما إلى ضعف التربة ، والأكثر من ذلك أن فلاحنا لا يزال غير مقدر لأهمية الصرف تماما إذ المشاهد ان كثيرا منهم لا يعنى بشق المصارف الفرعية وتوصيلها بالمصارف الرئيسية ، ومثل هذا الإهمال المغيب يجب أن يعالج بالتشريع الذى يحتم على الفلاح اجراؤه متى وجد مصرف متصل بأرضه

والآن : أريد أن أنتقل بحضراتكم للكلام عن الانتاج الزراعى والقاعدة التى أجاهر بها من مكانى هذا هى ان الاصلاح الزراعى لا يمكن أن يكون عملا حكومياً فقط بل أهلياً تتضافر فيه الحكومة والأفراد .

نعم إن الزراعة فى مصر من أقدم المهن بل هى أقدم مهنة ، ولكن علاقتها بالعلوم الحديثة من ربيع قرن فقط ، وليس من شك فى ضرورة مساهمة الزراعة للابحاث العلمية إذا أريد زيادة الانتاج . والعقبة الكبيرة ان مصر

الزراعية من قديم يعز عليها التسليم إلى رجال الابحاث الزراعية من جهة ، يضاف إلى ذلك عدم الارتياح إلى زيادة الاعتمادات الخاصة بالأبحاث الزراعية من الناحية الأخرى ، وهذه العوامل وإن كانت ستعترض التقدم الزراعى المنشود لكنها ليست غريبة عن أخلاق الشعوب وطباعها ، وإلى عهد قريب كنا نعد تعليم البنت من الكبائر ، وكنا نخاف الطبيب والمستشفيات لأنها الطريق الموصل للأبدية ، وحين بدىء باستعمال السماد الكيمايى وكان ذلك حوالى سنة ١٩٠٠ بلغ المستهلك منه نحو ٣٠٠٠ طن زاد إلى ١٢٠٠٠٠ طن فى سنة ١٩٢٠ ووصل إلى ٥٦٢ ألف طن فى سنة ١٩٣٥ أى مايقرب من ثلثائة ضعف عما بدىء باستعماله

ان زيادة الانتاج تتوقف على عدة عوامل تملك الحكومة جانباً منها ، وهو وجوب تغذية الجمهور بنتائج الابحاث فى كل باب من أبواب التربة والعناية بها وخدمتها وتسميدها وما يتفرع منه ، وتربية النباتات المتنوعة والطرق الواجب اتباعها فى معاملتها ومقاومة الآفات التى تسطو عليها . أما الناحية التنفيذية فهذه من

شؤون أصحاب المزرعة إذ ليس في مقدورنا أن نلزم كل
مزارع باجادة الحرث و اتمام الزراعة في الوقت المناسب
والقيام على خدمة محصوله طبقا لما تستلزمه الاصول ،
وليس من الميسور لوزارة الزراعة أن تقيم من موظفيها
مراقبين على الملاك والزراع بعد بيان مواضع الخطأ لهم
وما يجب الأخذ به مما يؤدي إلى منفعتهم

ومن دواعي الارتياح وعدمه في وقت واحد أن نرى
حقولا كثيرة لا تخلو منها قريتان متجاورتان قد وصل
فيها الانتاج إلى حد يوجب الإعجاب ويدل دلالة قاطعة
على ان الاخطاء التي يقع فيها معظم الزراع قد درست
دراسة وافية كان من نتيجتها ما نشاهده من دلائل النجاح
في هذه الحقول التي يصح أن تكون حقولا نموذجية
لباقى الزراع حتى إذا نهجوا نهج أصحابها كان في ذلك
أكبر مشجع للانتقال بالابحاث إلى نواح أخرى وهكذا
ترقى الزراعة علما وعملا

إن فلاحنا المصرى بطيء في مسيرته للابحاث العلمية،
وكثيراً ما يقف منها موقف المحارب مع انها في حاجة
إلى خبرته العملية لتتم الفائدة المطلوبة منها ، وهناك من

التأنيج ما يعتبر في حكم البديهيّات . ولكن الفلاح لا يقبل عليها الاقبال الكافي . ويكفي أن أضرب لكم مثلاً بأهمية السباد البلدي وضرورة حفظه بحالة يؤمن معها عدم فقد العناصر المهمة فيه . فان فلاحنا يستعمله كوقود ولا يعمل قط على حفظ الباقي منه طبقاً للأصول المطلوبة

وقد عمدت مصلحة الأملاك الأميرية في جنى القطن إلى طريقة حسنة . وقد أدت هذه العملية البسيطة إلى ارتفاع نسبة الدرجات العليا . فبعد أن كانت نسبة القطن الاكسترا أقل من ١٠ ٪ قبل اتباع الطريقة الجديدة ، بلغت هذه الرتبة نحو ٦٠ ٪ . وبلغت زيادة الأرباح الصافية الناتجة من ارتفاع الدرجات مايساوي ٥ و٣ ريال تقريباً للقنطار الواحد

ان اتباع هذا النظام البسيط إذا عممه الزراع في مزارعهم فان الدخل منه لا يقل عن مليونين من الجنيهات ، وكذلك طريقة زراعة القطن بالمضرب وهي التي دعت اليها وزارة الزراعة منذ ثلاثة أعوام هي طريقة تؤدي حتماً إلى زيادة نصف قنطار من القطن وإلى وفر أكثر من نصف التقاوى . ولما استعملها نصف زراع القطن

فقط لجاءت بمليونين آخرين من الجنهات . وقس على ذلك الكثير من النصائح التي حوتها المطبوعات والتي ننادى بها فلا يسرى نداؤنا إلا لفئة قليلة نرجو أن تزيد بزيادة نشر التعليم والثقافة .

والواقع ان الأقسام الفنية لازالت قائمة بنصيبها في النواحي العملية والعلمية كأثناء البزور واستنباط الانواع المحسنة من القطن وتنقية الأصناف الشائعة وإقامة كثير من أنواع الفاكهة وإدخال الجديد من الخضر والعناية التامة بمقاومة الآفات قدر ما وصل اليه العلم في أنحاء العالم إلى غير ذلك من الاهتمام بالماشية وتربية الطيور والعناية بالصناعات الزراعية ودراسة كل أمر من الأمور الزراعية الاقتصادية على ضوء الاحصائيات الزراعية الوافية . وليس هذا كل شيء يمكن عمله ولكنه مجهود يزيد كثيراً عن مقدار المال المخصص لهذه الابحاث

أيها السادة : ان قلة انتشار التعليم بين طبقات الزراعة تلقى علينا واجبات هي من شؤون الزراعة شخصياً في ممالك أخرى . خذوا اعداد التقاوى مثلاً ضمن البديهيات ، ان التقاوى الجيدة ضمان مهم لوفرة المحصول ، ومع ذلك

فإن الفلاح لا يزال يستعمل من التقاوى أسوأ الاصناف
إذا استثنينا القطن ، ففي القمح مثلاً نحتاج لنحو ٧٠٠ ألف
أردب من التقاوى ، ومع ذلك فالكمية المعدة منها اعداداً
حسناً لا تتجاوز ٤٪ فانظروا إلى هذا الرقم ووازنوا
بينه وبين حالة التقاوى الأخرى المستعملة وهو ما يمكن
الاستدلال عليه بنتائج فحص محطة اختبار البزور بوزارة
الزراعة سنة ١٩٣٥ للقمح الذى عرض على بنك التسليف
الزراعى لشرائه كستقاو ، فقد بلغ ما رفض لعدم صلاحيته
للتقاوى ٧٤٪ من القمح الهندى و ٩٧٪ من القمح
البلدى . و ٧٨٪ من الفول . ومثل هذه التقاوى بل أردأ
منها هى التى يستعملها الزراع حتى الآن

ولو وزارة الزراعة عشرون عاماً وهى تقوم بتبخير
الأشجار الحمضية لمقاومة بعض الآفات ، وأصبح معروفاً
تماماً أن الحداثق التى لا تبخر فى مناطق الإصابة لا تعطى
محصولاً يذكر ، ومع ذلك فإن عدد لجان التبخير ١٤٣
لجنة ، منها ٣٩ لجنة أهلية فقط ، مع العلم بأن الحكومة
تدفع ١٤ ألف جنيه إعانة لها

وخبرونى لم هم أصحاب الحداثق الذين يحتفظون

بآلات بسيطة لرش اشجارهم ضد بعض الأمراض مع ان
الوزارة قامت بمعالجة نحو ٢٥ و ٤ مليون شجرة بهذه
الطريقة خلال عام واحد

اننا نرجو في مطلع هذا العهد السعيد عهد الاستقلال
والانفراد بتصرف الشؤون ، نرجو ونرحب بتعميم التعليم
الاجبارى بأسرع وقت ونرجو أن تتسع دائرة التعليم
الزراعى وأن تدرس قواعده دراسة وافية تشترك فيها
كافة الهيئات التى تستطيع أن تقوم بنصيب مفيد في
إعداد هذه البرامج والاستعانة بما هو موجود منها في كثير
من الممالك الأوروبية .

إن المجهود الفنى وطرق الزراعة الحديثة لا يمكن
أن تهبط من تلقاء نفسها على المزارع ، بل هى معلومات
وإرشادات وقواعد تلقن اليه يجب عليه أن يرحب بها
وأن يستبدلها بما ورثه أبا عن جد . ومحال أن يتم ذلك
لمن يجهل كيف يكتب اسمه . إن الحقل فى الواقع لا يختلف
عن أحد المعامل الصناعية فهو فى حاجة إلى حسن إدارة
ودقة ملاحظة وصحة تصرف ودوام انتباه واستفادة
من الاخطاء السابقة والانتفاع بالمعلومات الحديثة ،

نخبروني كيف يتأتى ذلك من فلاحنا اذا لم يتعلم شيئا من مبادئ الزراعة الحديثة .

ان فلاح مصر في الطبقة الاولى بين فلاحى العالم من حيث الجلد والمثابرة والرضا بشظف العيش والاكتفاء بما دون القليل وهى صفات غاية فى الاهمية ، فاذا قرنت بالمؤهلات التى اشرنا اليها كانت ضمانا مؤكدا على زيادة الانتاج .

وحيث تكلمنا عن التعليم وجب أيضا أن نجاهر بما نود أن يصل الى آذان كل مصرى وهو أن انتشار التعليم الالزامى بين طبقات الفلاحين سيؤدى الى مشاكل لا يستهان بها اذا لم يصبغ بصبغة زراعية قروية ، فلا ملابس خاصة ولا الزام بالانتعال والتحلى بالطربوش الاحمر ولا تنفير له من غرفة نومه ولا انتقاد لحياة ابيه وامه . علموه القراءة والكتابة ومبادئ الصحة وما الى ذلك من المعلومات الدقيقة وهى كفيلة بتوجيهه الى الطريق المطلوب . ثم ليسكن هذا التعليم فى الحقول وتحت ظلال الاشجار ، وليكن حيث يشاهد ويشترك فى كل عملية زراعية ، فاذا جاء ميعاد الزراعة اشترك تلاميذ الفصل فى

القيام بها في أحد الحقول، وهنا يرشد هم المعلم الى الاصول
 التي يجب أن تراعى ، واذا شرع في التسميد تحدث اليهم عن
 السماد وفوائده وخواصه وأحاطهم علما بنتائج التجارب
 وما يجب وما لا يجب في هذا الباب . فاذا نما النبات دلهم
 على الاصناف الغريبة ليقوموا باعدامها بعد أن يشرح لهم
 ضررها والفائدة التي تعود من اقتلاعها ، فاذا جاء أوان
 مقاومة دودة القطن مثلاً قام كل منهم بتربيتها في صندوق
 صغير وتعرف من تلقاء نفسه اطوارها التي مرت فيها من
 بيضة الى يرقة الى شرقة ثم الى فراشة ، ومتى حل ميعاد
 الجنى شرعوا فيه بالطريقة المحسنة وقارنوا بين عملهم
 وعمل غيرهم ، وقس على ذلك كافة المعلومات الزراعية في
 نواحيها الزراعية المتعددة من تربية الماشية والطيور
 وصناعة الالبان والجبن وأعمال البساتين وما يتبعها .
 وبديهي أن كل هذا لا يتم ما لم يكن مدرس القرية
 ذا مؤهلات زراعية والمأم كاف بمختلف ضروبها .
 واسمعوا أقص عليكم نبأ التعليم الزراعي في بعض
 الممالك ، ففي يوغو سلافيا وعدد سكانها ١٤ مليون نفس
 بدأت حركة التعليم الزراعي عندهم بعد أن تكونت

المملكة، أى بعد الحرب العالمية ، فأصبح لديهم أولاً ٣ كليات
للزراعة والطب البيطرى و٣ مدارس زراعية عالية و ٣٥
مدرسة أولية (كالمدارس المتوسطة عندنا) وأشبه عالية
للنساء و ٤ أولية للبعثات لتعليم الاقتصاديات المنزلية .

ثانياً — دراسات شتوية وصيفية تستمر موسمين شتاء
للرجال وصيفاً للنساء والغرض منها تعميم التعليم الزراعى
للشعب .

ثالثاً — دراسات قصيرة للنساء فى الاقتصاديات
المنزلية تقوم بها الحكومة وكثير من المؤسسات النسائية .

رابعاً — اندية للأولاد والبنات يتعلم فيها الاطفال
الذين يعوقهم عائق عن الاستمرار فى التعليم بعد تكميل
التعليم الاولى .

خامساً — العديد من الجمعيات التعاونية التى كرس
عملها للتعليم الزراعى فقط بالقاء المحاضرات والدراسات
العملية ونشر الكتب والجرائد واقامة المعارض وعمل
التجارب الزراعية .

كل هذا وتنص التقارير الرسمية للحكومة بأن هذه
المؤسسات لا تفي بحاجة البلد وبالأخص المدارس العالية

والأولية ، ولذا فان حركة إنشاء المدارس مستمرة كل عام .
ولا يفوتني أن أخبركم بأن هذا الإحصاء عن سنة ١٩٣٠
أى انه مجهود الحكومة اليوغوسلافية بين سنتي ١٩٣٠ و ٢٠٠٠ .
وفي بولندا وعدد سكانها ٣٣ مليون نفس منهم ٦٠٪ .
فقط يشتغلون بالزراعة يوجد بها ١٣٩ مدرسة أولية و ٦
متوسطة و ١٠ متقلة و ٢٠ مدرسة خاصة لتعليم الجنائن
والغابات والألبان وذلك خلاف ٥ جامعات وعدة
مدارس فى صف الكليات .

وفى رومانيا وعدد سكانها ١٨ مليون نفس يوجد بها
٦٧ مدرسة مخصصة لتعليم الطلاب ذوى المؤهلات الفنية
الزراعية ، ويوجد احد عشر نموذجا من التعليم موزعة
كالآتي : ٣ كليات للزراعة والجنائن والطب البيطرى .
٢٣ مدرسة ثانوية للزراعة و ٢ ثانوية للكروم و ٣ للبساتين
و ١ للزراعة والتجارة الزراعية و ٦ مدارس شتوية
للاولاد والبنات ليكونوا مزارعين وزوجات متعلقات
و ٩ مدارس شتوية درجة ثانية و ١٨ مدرسة للعلوم
المنزلية ، وذلك خلاف دراسات راقية فى الاكاديمية فى
بوخارست وكليج وجاس

تلك هي نهضة التعليم الزراعى فى كثير من الممالك
الزراعية أردت أن أضعها أمامكم لتقدروا كم نحن فى حاجة
إلى انتشار التعليم الزراعى لا إلى مخصصته كما هو حادث الآن
واسمحوا لى بعد ذلك أن أزيد موضوع الاعتمادات
المالية لوزارة الزراعة بيانا ، فإن صافى ما تصرفه على
الابحاث الزراعية بكافة أنواعها لا يتجاوز الربع مليون
من الجنيهات ، أى بمعدل أربعة قروش ونصف على الفدان
الواحد . فهل يوجد فى مصر من يكابر فيقول ان النتيجة
العملية للابحاث لا توازى هذا المبلغ ؟ خذوا مثلا باب
مقاومة الآفات الزراعية وهو الذى توجه إليه دواماً
أشد الانتقادات فانكم تجدون أيها السادة ان المقاومة
المنظمة الدائمة لدودة اللوز القرنفلية على القطن والحشرة
القشرية السوداء على أشجار الفاكهة فاستئصال الطاعون
البقرى وإقامة الحجر الزراعى الجمركى لمنع تسرب
الأمراض من الخارج ، ان هذه الأعمال دون غيرها
جديرة بأن يصرف عليها أضعاف الاعتماد جميعه
لقد انتجت الوزارة قطن الجيزة « ٧ » وفى خلال
ست سنوات من زراعته بلغت مساحته نحو نصف مليون

فدان حلت محل السكلاريديس فجادت بزيادة قطارين في
الفدان الواحد أى بزيادة مليون قنطار إذا قدرنا ان
مساحته لن تزيد عما هي عليه ، فهل تنكر الفائدة المادية
لهذا المجهود . إن الأعمال الفنية فى حاجة إلى المال وهى
عمل مالى مريح ، ادفعوا لها ضعف ما تدفعوه الآن وهى
ترده عليكم أضعافا مضاعفة . إننا لا نقوم الآن بمعالجة
كافة الأشجار المحتاجة إلى العلاج ، ولا نعد التقاوى
النقية اللازمة لكل محصول . ولا ننشئ العدد الكافى من
محطات التجارب ، ولا نستطيع التوسع فى أبحاثنا بالمعامل
المختلفة ، ولست أشك فى أن هذه الأمور ستعالج فى هذا
العهد السعيد بما يعود علينا بالخير والبركة إن شاء الله .
إن من الأمور المنطقية أن نطالب باعلاء مركز
وزارة الزراعة فى مصر الزراعية ، وأن ندعو فى سبيل
ذلك إلى ضم المصالح الحكومية الزراعية لها ضمنا لتكاتفها
حتى يتوحد المجهود وتتوفر الأيدى والكفاءات وتضم
الاعتمادات لبعضها فيتسع المجال لتحسين كثير من النواحي
وتنظيم الأعمال تنظيما يضاعف من إنتاجها ، ويقلل من
مصاريفها . .

ومن الغريب حقا ألا تكون في مصر الزراعية نهضة أهلية تقوم بجانب الهيئات الحكومية عاملة على تقدم الزراعة في كل ناحية — ولكي ندافع عن حقوق الزراع ونمهد لهم سبل الانتفاع بمجهودهم الى أقصى حد ونحول بينهم وبين من يحاول مشاركتهم فيما هو من حقهم ، انه تأخر ملحوظ ألا تكون في مصر التي يشتغل ٨٠٪ من أهلها بالزراعة سوى الجمعية الزراعية الملكية والنقابة الزراعية العامة مع أن الحاجة ماسة الى عشرات من امثال هذه الجمعيات . نحن في حاجة الى اتحادات يكون أساس عملها تقدم الزراعة ، في حاجة الى انضمام طبقات الزراع المشابهة لبعضها أى الطبقات التي تكون وحدة اقتصادية ، وبهذا التضافر يسهل تطبيق أحدث الطرق الزراعية وانجعبا .

وفي الكلام عن الانتاج الزراعي لا يمدن اغفال الكلام عن مركز مصر الممتاز وما تستطيع أن تصله لتكون مصدرا كبيرا لتصدير الكثير من أنواع الخضرا الى ممالك اوروبا في معظم أشهر العام — والمسألة كما يبدو لي لم تنل حظاً من العناية يتناسب مع أهميتها — ثم إن اسواق هذه

الممالك واحتياجاتها لم تبحث البحث الكافي ولم نشرع حتى الآن في تعميم الملحقين النابهين الذين يعول عليهم في مثل هذه المشاريع ، وهؤلاء يجب أن يكونوا من أحسن الشبان استعدادا ودراية ، وأن يعطى لهم من المرتبات والاعتمادات ما يمكنهم من أداء عملهم على الوجه المطلوب .

اننى أرجو أن تدرس هذه المسائل عاجلا بما هي جديرة به من عناية كلية ، فان غزو الاسواق التجارية في عصرنا الحاضر من الاعمال التي تحتاج الى مهارة وكياسة وخبرة واسعة واستعداد تجارى يتناسب مع من يريد أن نعاملهم .

علينا أيها السادة أن نفحص وارداتنا الزراعية جيدا ، وأن نعمل على منع استيراد ما يمكن توفيره هنا — وهذا الاتجاه أسهل كثيرا من التفكير في زيادة الصادرات . ولقد قيل في هذا الباب كثيرا ، واستشهد القائلون بالاحصائيات وكرروا وأعادوا في وجوب زيادة العناية بترية الماشية وتحويل الفائض من محاصيلنا الى لحوم والبان وجبن وزبدة ، وأخيرا وجوب العمل على انشاء

المعامل التي تسد مطالبنا من الخضروات والفواكه المحفوظة ، وجميع هذه المشروعات في غاية البساطة وهي لا تقاس بما اقدمت عليه مصر من مشاريع ضخمة كمشروع الغزل والنسيج ومعاصر الزيوت وصناعة الصابون — ومع بساطتها وسهولة القيام بها فانها تدر ربحا يزيد كثيرا عما ألفناه من الزراعة والمشاريع الصناعية القائمة وهي سبيلنا الوحيد المأمون اذا أردنا أن نتحرر من الاعتماد على محصول واحد .

* * *

ابرها السادة

إن واجبنا الزراعي بعد المعاهدة هو واجب أمة تريد أن تنهض بأبنائها الى مستوى الأمم الراقية وأن تستخدم كل القوى الكامنة فيها وأن تنتفع بمجهود أبنائها كل في الناحية المكلف بها . وليس في استطاعتى أن أحاضركم عن كل هذا وقد تناول كلامى بعض النواحي دون البعض ، ولكن ناحية بارزة لا يمكن اغفالها وهي العزم على مضاعفة مجهودنا نحو الزراعيين الفنيين . حقيقة إن الخطوات التي خطوناها والأبحاث التي قننا بها بلغت

اقصى ما يمكن القيام به خلال ربع القرن الماضى وهو
مستهل العهد لربط الزراعة العلمية بالزراعة العملية، غير أنه
كان لبعض العوامل ما اعترض هذا التقدم ومنها
الامتيازات الأجنبية التى لم تطلق يدنا فى تشريع ما نريد.
ويكفى أن أذكر لكم أن الحكومة المصرية حاولت منذ
سنة ١٩٢٤ سن قانون منع خلط القطن وجعله ساريا على
موانى التصدير وأن محاولتها هذه لم تتم الا فى سنة ١٩٣٤،
وقد صرفتنا هذه الصعوبات عن الانتفاع بالتشريع
الزراعى فى كثير من النواحي التى تحتاج إلى تشريع
هذا من جهة—ومن جهة أخرى فانى آمل أن السياسة
التي ترمى الى احلال المصريين الاكفاء محل الاجانب
ستهب بشبابنا إلى تقدير المسؤوليات التي تلقى على عواتقهم
وتدكي بينهم روح النشاط والتقدم فى كافة النواحي لاسيما
وأن عدالة الحكم فى العهد الحديث ستشعرهم بما للمخلصين
من التقدير وحسن الجزاء .

وفقنا الله حكومة وشعبا الى خير مصر وإسعاد سكانها .

محمد طاهر باشا

رئيس اللجنة الأهلية للرياضة البدنية
ورئيس نادى الطيران والسيارات الملكى

واجبنا الرياضى بعد المعاهدة

٢٨ ديسمبر سنة ١٩٣٦

ابتدأت المحاضرة بتمهيد طريف من المحاضر أشار فيه إلى إدراك الشباب أهمية الحركة الرياضية والوطنية ثم قال : إن صحيفة جديدة من تاريخ وطننا العزيز تفتح أمامنا . إن رجال الأمس جاهدوا ليتمكنوا رجال اليوم من القيام بواجبهم ، ورجال اليوم يعملون لكم أنتم يا رجال الغد لتؤدوا أنتم الواجب بدوركم . فالتاريخ دورة دائمة وحركة لا وقوف فيها ، والحياة نفسها حركة مستمرة فالوقوف معناه الموت ..

إلى أن قال :

ظاهر من موضوع المحاضرة ان علينا واجبا بل واجبات .. والواجب كلمة رهيبة ومقدسة ، وأنا لا أطلب منكم وحدكم أن تشعروا برهبة هذه الكلمة وقداستها ، بل أطلب ذلك من سائر أبناء الوطن .. والشعور برهبة الكلمة وقداستها نصف العمل . والنصف الباقي يسهل علينا ما دمنا مدركين ماهية واجبنا الرياضي وانتقل بعد ذلك إلى الكلام في موضوع المحاضرة .

فذكر ان البلاد الشرقية لا تشعر إلى الآن بأهمية الرياضة
في التربية الوطنية، مع ان الشرق لم يكن هكذا في عصوره
المجيدة ..

فصر الفرعونية كانت رياضة بمعنى الكلمة - والنقوش
على جدران بعض المعابد في الوجه القبلي تثبت ان
المصريين القدماء مارسوا جميع أنواع الرياضة المعروفة
الآن - وحتى لعب السلاح أى الشيش الذى اشتهر بانه
لعبة لاتينية هو فى الأصل مصرى فرعونى
والعرب كانوا رياضيين - كانوا أبناء الهواء الطلق ،
والصيد والقنص والفروسية والجري ولعب السلاح ،
وحياتهم كلها كانت حياة مغامرة ومخاطرة ، وهذه الحياة
الرياضية هى التى دفعتهم فى صدر الاسلام إلى الفتح
فدانت لهم الأرض بسرعة أدهشت التاريخ .

ثم أهمل الشرق الرياضة فأهملته فضائلها فاضمحل ،
وأنا على يقين أن إهمال الرياضة كان من أهم العوامل إن
لم يكن العامل الا كبر فى نزول الشرق من عليائه
ولقد ساهمت مصر فى هذا الأهمال ، فكان المصريون
إلى أواخر القرن الماضى وربما لا يزال أغلبهم للآن

ينظرون إلى الرياضة كأنها لعب ولهو ، وهذا خطأ كبير .
نعم ان الرياضة لعب ولهو ولكن من الظاهر . أما في
الباطن فهي غذاء الجسم والروح تغذيهما بالنشاط المتجدد .
وإذا كانت هناك أمم مارست الرياضة بقصد اللعب
والتسلية ، فان طبيعة أرضها جعلتها في أمان وسمحت لها
بذلك ، ولكن حتى هذه الأمم مع تقدم الفنون والمخترعات
الحديثة التي جعلت بلادها معرضة كالبلاد الأخرى بدأت
تنظر إلى الرياضة الآن نظرة جدية .

وقد أسهب المحاضر في وصف الطريق الذي اختار
الشعب أن يسلكه ، وهو طريق الاستقلال والشرف .
ثم استطرد إلى الكلام عن أثر الرياضة في حياة الأمم
والأفراد ..

وبعد أن ضرب الأمثلة لذلك قال .

إن الرياضي كالعبقري يقوم بجلائل الأعمال فتحسبه
ملهما ، وما هو بملهم ، وكما أن العبقرية لا تتأتى عفواً
كما قال نابليون الأول بل بعد الجهد والمثابرة ، فكذلك
الرياضي .. وكما أن العبقري تواتيه الفكرة الفذة عند
الاقضاء ، فكذلك الرياضي العامل لا تقوم في سبيله

عقبة مهما تكن مفاجئة حتى يقوم بالحركة التي يجب أن يقوم بها ، وهذه الحركة التي تأتى عفوا - وقد تنقذ حياته من خطر داهم - هي فى الواقع نتيجة حياة رياضية مستمرة مرنت جميع أعضاء جسمه ونظمتها لتقوم بعمل اللازم أمام أية مفاجأة بسرعة البرق
وقد ختم المحاضرة بقوله :

أريد أن أتمثل بحادثة من التاريخ القديم وهو تاريخ الفرس فى إبان نهضتها .. كان سيروس شابا فى مقتبل العمر ، وفى أوائل حكمه أراد أن يعطى لرجاله مثلاً حسيّاً للامورية الشاقة والسامية فى آن واحد التى يتطلبها منهم . فجمعهم فى أرض جديدة واشتغل معهم يوماً وليلة كاملين إلى أن أرهاقوا ، ثم دعاهم إلى مائدة فخمة فأكلوا وشربوا واستردوا كل قواهم ، وفى النهاية قام فيهم خطيباً قائلاً :
— إنى أطلب منكم فى خدمتى وخدمة البلاد أعمالاً شاقة وغاية مرهقة ، ولكنها تؤدى إلى الرخاء والشرف كما أدى تعبكم إلى المائدة الفخمة والراحة الممتعة وأنا أيضاً لا أريد أن أخفى عليكم صعوبة الطريق الذى أدعوكم إليه ، ولكن هذا الطريق الوعر الشائك

هو وحده الذى يؤدى إلى الغاية التى نطلبها وهى
الشرف والمجد ..

واعلموا ان مستقبل هذا البلد باهر باذن الله، فليقيم
كل بواجبه، ولتقم الجماعة بالواجب الاجماعى ويد الله
مع الجماعة ..
والسلام عليكم ورحمة الله .

المكتور عمير الزاوي السمرهري بك

عميد كلية الحقوق

واجبنا القانوني بعد المعاهدة

٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٦

سادى :

عهد إلى أن أتحدث اليكم الليلة عن واجبنا القانونى بعد المعاهدة، والحديث عن القانون قديكون جافا، ولكنه حديث يتصل بالصميم من حياة الأمة . ونحن « رجال القانون » رجال صناعة لا تلذ للجمهور ، ولكنها صناعة تتغلغل فى الحياة الاجتماعية لتنظم روابطها وتجمع أطرافها .

وواجبنا القانونى أيها السادة واجب متشعب النواحي . وكان من الأولى أن يحاضركم فى هذا الواجب أكثر من محاضر واحد . فأنتم فى حاجة إلى أن تسمعوا قاضياً يبسط لكم واجبنا فى تأدية العدالة ، ومحامياً يدلى اليكم بآرائه فى تنظيم صناعة المحاماة ، وفقهياً يحاضركم فى صناعة الفقه وكيف ترقى فى مصر لتقوم بما عليها من واجبات ، ومتشرعاً يحدثكم عن التشريع وكيف ينبغى أن يكون فى هذا الدور الدقيق الذى تجتازه مصر فى حياتها التشريعية . أنتم فى حاجة « أيها السادة » إلى أن تسمعوا

حديث هؤلاء الاربعة وغيرهم من رجال القانون . ولكن
القائمين بتنظيم هذه المحاضرات اشفقوا عليكم من كل
ذلك ، وطلبوا الى ان اختصر هذه العملية الشاقة في
محاضرة واحدة ، فانا اذن اتكلم عن القاضى وعن المحامى
وعن الفقيه وعن المشرع ، غير آمن من غضب رجال
القانون ، يقولون فضولى يتكلم فى غير اختصاصه ، والفضالة
يعرفها رجال القانون .

١ - واجبنا نحو القضاء

اما واجبنا نحو القضاء فواضح . يجب ان يكون القضاء
فى مصر المستقلة كما هو فى سائر بلاد العالم المتمدين قضاء
موحداً متمتعاً بضماناته .

النظام القضائى فى مصر ايها السادة يعانى كما تعلمون
من امرين . اختلاف الجنسية واختلاف الدين . فبينما
نجد فى البلاد الراقية محكمة واحدة يتقاضى امامها الجميع
لا فرق فى ذلك بين وطنى واجنبى ، ولا بين دين وآخر ،
نجد المحاكم فى مصر متشعبة متنوعة . فالمصرى فى معاملاته
يتقاضى أمام المحكمة الأهلية ، والأجنبى أمام المحكمة
المختلطة . ثم ان المصرى فى أحواله الشخصية يتقاضى

في بعض المسائل امام المجلس الحسبي وفي المسائل الاخرى
أمام المحكمة الشرعية اذا كان مسددا او أمام مجلس ملي اذا
كان غير مسلم . والاجنبي بدوره لا يقف أمام المحكمة
المختلطة الا في بعض معاملاته المالية . أما في البعض الآخر
وفي الاحوال الشخصية وفي الجرائم المهمة فهو يتقاضى
أمام طائفة من المحاكم القنصلية لكل دولة محكمتها ، وهذه
محاكم اجنبية تحكم في ارض مصر بقوانين غير القوانين
المصرية وباسم ملك أجنبي لا باسم مالك البلاد .

هذه حالة من الفوضى في النظام القضائي لا يمكن
الصبر عليها بعد الآن . وإذا كانت مصر اضطرت في
الماضي بحكم الظروف القاسية أن تسلم بها كارهة مرغمة ،
فمصر المستقلة في عهدها الجديد تأبى إلا أن تنال استقلالها
القضائي كما نالت استقلالها السياسي ، وتأبى إلا أن تسمع
من صحيفة حاضرها ومستقبلها كل ضرب من ضروب
الامتيازات . الامتيازات الأجنبية والامتيازات الدينية
أما الامتيازات الأجنبية فقد كانت محل عناية المفاوض
المصري في معاهدة الصداقة والتحالف ما بين مصر وانجلترا .
وكان كسب مصر في هذه المعاهدة كسباً جدياً يفوق

ما كسبته في جميع المفاوضات السابقة ، وسينعقد قريباً مؤتمر للامتيازات الأجنبية تجلس فيه مصر إلى الدول ذوات الأمتياز وتطالب باسترداد حقوقها كاملة في التشريع حتى يصبح التشريع المصرى سارياً على الأجنب ، وحتى تصبح مصر المستقلة قادرة على تنويع الضرائب التي تجبها من جميع السكان فيوزع العبء المالى توزيعاً عادلاً بين الجميع . وإن أيها السادة لا أستطيع أن أتصور وجود منصف ينكر على مصر في المؤتمر القادم حقها الطبيعي في التشريع لجميع قطان البلاد والتشريع من أهم مظاهر السيادة للدولة .

وسنطلب أيضاً إلى المؤتمر القادم أن يعترف بأن المحكمة الوحيدة التي لها حق الوجود في مصر هي المحكمة المصرية ، ولا يجوز أن يوجد إلى جانب المحكمة المصرية محكمة أجنبية سواء كانت الصفة الأجنبية لهذه المحكمة صريحة كالمحكمة القنصلية أو مقنعة كالمحكمة المختلطة . إن سلطان المحاكم الأجنبية يجب أن يتقلص ظله في مصر المستقلة ولا يجوز أن تستقل مصر ويبقى القضاء فيها أجنبياً . والمحاكم القنصلية يجب أن يطوى سجلها

طيا لا نشر بعده ، والمحاكم المختلطة ينبغي أن يكون مفهوما أن مصيرها القريب إلى الزوال .

وإن تفاؤلي عظيم بالتأرجح التي سيصل إليها هذا المؤتمر في القريب العاجل . وسنمر قبل إلغاء الامتيازات الأجنبية الغاء تاما بمرحلة انتقال أرجو ألا تكون طويلة . وتبقى المحاكم المختلطة في مرحلة الانتقال هذه ويتسع اختصاصها . على انه ينبغي أن تمصر هذه المحاكم في الفترة التي ستبقى فيها تمصيراً فعلياً . وسبيلنا الى ذلك أمران : أولهما تحديد اختصاص المحاكم المختلطة في الفترة القادمة ، فهذه المحاكم اذا كان سيتسع اختصاصها على حساب المحاكم القنصلية فانه ينبغي أن يضيق هذا الاختصاص لحساب المحاكم الاهلية وذلك من عدة وجوه .

الوجه الأول تحديد معنى الأجنبي الذي يخضع للمحاكم المختلطة ، فالأجنبي الذي يخضع لهذه المحاكم في هذا الدور الجديد لا يكون الا اجنيا تابعا لدولة من الدول التي بقيت لها امتيازاتها بعد الحرب الكبرى . أما الاجانب الآخرون فيدخلون في اختصاص المحاكم الاهلية .

الوجه الثاني : تحديد الدعاوى التي تنظر فيها المحاكم

المختلطة ، وهذه يجب أن تكون مقصورة على الدعاوى التجارية والدعاوى المدنية المنقولة عدا ما سيضاف إليها من اختصاص المحاكم القنصلية ، أما الدعاوى العقارية حتى ولو كانت ما بين أجناب فتنتقل إلى اختصاص المحاكم الأهلية لأن العقار في مصر كان خاصا لا اختصاص المحاكم المصرية بمقتضى أصل الامتيازات ، ودخوله في اختصاص المحاكم المختلطة كان محض اقتئات على اختصاص المحاكم العامة للبلاد ، فيجب أن نسترد هذا الحق المغتصب

والوجه الثالث أن نقضى بنصر صريح على نظرية الصالح المختلط التي صاغتها المحاكم المختلطة لتعدى اختصاصها إلى قضايا كل المتقاضين فيها مصريون بدعوى ان هناك صالحا لأجنبي ولو من بعيد

والوجه الرابع أن نختاط فيجعل المحاكم الأهلية هي المختصة في قضية جنائية يكون المتهم فيها مصريا حتى لو كان معه متهمون غير مصريين

وهناك الأمر الثاني لتمصير المحاكم المختلطة وهو أمر يرجع لتشكيل هذه المحاكم . وهذه مسألة على جانب عظيم من الخطر . فان المحاكم المختلطة في وضعها الحاضر

محاكم مصرية اسما أجنبية فعلا . وليس لها من المصرية
إلا بعض أوضاع شكلية ، والقلة من القضاة المصريين
يجلسون إلى جانب كثرة من القضاة الأجانب لتكون
القلة ازاء الكثرة مخفوضة الجناح مهضومة الحقوق ،
فرئيس كل محكمة ابتدائية أجنبي ووكيلها أجنبي ورئيس
محكمة الاستئناف أجنبي ووكيلها أجنبي ورئيس كل دائرة
في أية محكمة أجنبي ولا يجلس قاض منفرداً إلا إذا كان
أجنبياً ولم يبق للقاضي المصري إلا أن يكمل عدد أعضاء
الدائرة ثلاثة أو خمسة حسب الأحوال ، ولغة التقاضي
هي اللغة الفرنسية ، ويجوز أن تكون هذه اللغة هي الانجليزية
أو الإيطالية ، أما أن تكون العربية فهذا جائز قانوناً محرم
في الواقع . وكل الاجراءات التي تقوم بها هذه المحاكم
تدور بلغة أجنبية ، مع أن المصالح التي تبت فيها هي في
أكثرها مصالح مصرية ، ومع أن معظم المتقاضين أمام
هذه المحاكم من المصريين . ينبغي أن يوضع حد لكل هذا ،
وينبغي أن تكون المحاكم المختلطة في فترة الانتقال محاكم
مصرية اسما وفعلا . ولا يكون ذلك إلا إذا كان عدد
القضاة المصريين في كل محكمة مساوياً على الأقل لعدد

القضاة الأجانب وإلا إذا كانت نصف الدوائر غالبيتها
من القضاة المصريين ولغتها العربية ورئيسها مصرى .
هذا هو الحل الوحيد الذى يتفق مع الكرامة ومع
المصلحة فانه إذا كان يراد حقيقة أن تكون المرحلة
القادمة مرحلة انتقال مؤقتة فيجب إذن أن نعد العدة من
الآن لما بعد هذا الانتقال ولا يكون ذلك إلا بتمصير
المحاكم المختلطة على النحو الذى قدمناه حتى يسهل بعد ذلك
أن تنتقل من هذا النظام المختلط الممصر إلى نظام مصرى
محض فى مستقبل قريب .

يبقى أمامنا بعد تسوية الامتيازات الأجنبية تسوية
الامتيازات الطائفية . وهذه مسألة فى أيدينا نستطيع
معالجتها بتشريع داخلى دون حاجة إلى مفاوضة دول
أجنبية . ولا يحتاج الأمر إلا إلى شجاعة لمواجهة الحقائق
وارادة صادقة فى اصلاح قضائى شامل . وقد لاح لحسن
الخط من التبشير ما يدل على أن وزارة الحقانية سائرة فى
هذا الطريق . وأول ما يجب المبادرة اليه لتوحيد المحكمة
المصرية هو ادماج المجالس الحسنية فى المحاكم الاهلية
اما مسائل الاحوال الشخصية التى لا تزال باقية فى

ختصاص المحاكم الشرعية والمجالس المالية فينبغي بعد ان
نضع لها قانونا موضوعيا شاملا يكون جزءا من قانوننا
المدني ان ننظر في ادماجها هي ايضا في المحاكم الاهلية
ولو تدريجيا ومن طريق انشاء دائرة متميزة للاحوال
الشخصية الى جانب الدائرة المدنية والدائرة الجنائية ،
وبذلك تصبح هناك محكمة واحدة هي المحكمة المصرية .
ولا فرق عندي بين ان تندمج المحاكم الأخرى في المحاكم
الاهلية أو أن تندمج المحكمة الأهلية في المحاكم الأخرى
فالمرم هو ان تتوحد كل هذه المحاكم وتصبح محكمة
مصرية واحدة ونقضى على هذه النظم الرثة البالية التي
تخلقت عندنا من القرون الوسطى ، والتي فرضت علينا
تعدد المحاكم ، تبعا لتعدد الجنسية والدين .

بقي أن أشير إلى أمر في تنظيم القضاء ، بدال فيه رأى
غير الرأى المعمول به في الوقت الحاضر ، فالطريقة التي
اتبعتها في تنظيم قضائنا حتى الآن هي الطريقة اللاتينية
وهي تقضى بتعدد القضاة في الدائرة الواحدة ولا يقل
أعضاء الدائرة عن ثلاثة ، وكل من مارس القضاء أو اتصل
به يعلم أن واحداً من هؤلاء الثلاثة هو الذى يستقل غالبا

بالفصل في القضايا ، فتعدد القضاة في المحاكم الابتدائية على الأقل لا تتحقق منه الفائدة المقصودة من جعل الأمر شورى بين قضاة متعددين ، وأولى بذلك أن نرجع إلى نظام وحدة القاضي ويعاد النظر في تقسيم البلاد إلى مناطق قضائية تكون كل منطقة منها أوسع من دائرة المحكمة الجزئية وأضيق من دائرة المحكمة الكلية ، وينصب قاض واحد في كل منطقة يكون هو المسؤول عن القضاء في دائرتها ويكون له اختصاص كل من المحكمة الجزئية والكلية في منطقته ويساعده في تأدية العدالة قاض مساعد أو قضاة مساعدون حسب الحاجة فيقوم هو بتوزيع العمل فيما بينهم ويكون مسؤولاً عنهم ويبقى لنفسه النظر في القضايا الهامة وفي التظلم الذي يرفع إليه في الأحكام التي يحكم فيها القضاة المساعدون طبقاً لأجراءات موضوعية ثم تتوزع مناطق القضاة على محاكم استئنافية أكثر عدداً من المحكمتين الموجودتين في الوقت الحاضر، وفي الأخذ بهذه الطريقة مزيتان : أولاهما أن مسؤولية القضاء في كل منطقة تتركز في قاض واحد بدلاً من أن تتوزع على جملة أعضاء فتضيع المسؤولية فيما بينهم . والمزية الثانية

أن تنظيم القضاء على هذا النحو يقربه من المتقاضين ،
فقاضي المنطقة ومساعدوه أقرب إلى المتقاضى من المحكمة
الجزئية في الوضع الحاضر ، ومحاكم الاستئناف المتعددة
في المشروع المقترح أقرب إلى المتقاضين من محكمتي
الاستئناف الحاليتين في مصر وفي أسيوط

قدمت أيها السادة أن القضاء في مصر المستقلة يجب
أن يكون قضاء موحداً متمتعاً بضماناته ، وقد فرغت من
الكلام في توحيد القضاء ، وبقى أن أتكلم في ضمانات
القضاة ، ولا أشك في أن قضائنا قد أظهرنا منذ تنظيم
القضاء على النحو الحالي كفاية ونزاهة واستقلالاً ، وهم أول
من يدرك أن القضاء عليه واجبات وله حقوق ، فقضائنا
مستعدون أن يؤخذوا بالكفاية والنزاهة فلا يبقى منهم إلا
الآ كفاء النزاهة ، وهم من ذلك يحق لهم أن يطلبوا ضماناً
لأنفسهم كما قدموا هذا الضمان على أنفسهم . يحق للقضاة
أن يطلبوا ضمانات كافية في تعيينهم ونقلهم وترقيتهم
وعزلهم . أما تعيين القضاة فينبغي أن يكون مرده الوحيد
هو الكفاية والنزاهة ، ولا يجوز أن يدخل أى اعتبار غير
هذين الاعتبارين في تعيين القضاة ، ولا يكفي أن توضع

القاعدة بل الواجب أن توضع طريقة محددة تكفل حسن تطبيق القاعدة ويكون من شأنها ألا يدخل في زمرة القضاة إلا من كان أهلاً للقضاء، وكذلك الحال في نقل القضاة وترقيتهم، فالنقل لا يكون إلا لمصلحة العمل وبطريقة تكفل المساواة فيما بين القضاة، والترقية لا تكون إلا للكفاية والمران وبطريقة تجعل القاضى فى مأمن من التأثير بسخط السلطة التنفيذية أو برضاها، ويجب أخيراً أن يتمتع القاضى باستقلال كامل فى تأدية واجباته الدقيقة، ولا يتم له استقلال إلا إذا كان أمر عزله غير منوط بالسلطة التنفيذية وهذا هو شأن القضاء الراقى فى العالم المتمدنين

٢ - راصينا نحو المحاماة

ونترك القضاء بعد ما قدمناه فى شأنه لننتقل إلى المحاماة، وقضية المحاماة أيها السادة قضية مستعصية الحل، فالمحامون قبل غيرهم يشكون من تضخم عدد المشتغلين بالمحاماة ونزول مستواهم، وقد اهتم كثيرون بالبحث عن علاج لهذا الداء، وآخر علاج اقترح هو إغلاق جدول المحامين. ولا أعتقد أن هذا العلاج شاف بل هو من قبيل عمليات البتر الجراحية التى يلجأ إليها الطبيب عند مآتيه الحيل،

وليس من العدل ولا من المصلحة أن يغلق باب المحاماة في وجوه الأكفاء سنين عدة والمحاماة صناعة حرة قوامها المنافسة والنضال، وخير من إغلاق باب المحاماة تنظيم هذه الصناعة على أسس جديدة تقتضيها الضرورات القائمة فأن أشد ما يشكوا منه المحامون أمور ثلاثة .

أولاً — كثرة عدد المشتغلين بالمحاماة وتوقع ازدياد عددهم زيادة كبيرة في كل عام .

ثانياً — عدم تنظيم الأعمال في المحاماة تنظيمًا يتلاءم مع طبيعتها مع تشعب هذه الأعمال المتنوعة المتباينة .

ثالثاً — المشقة التي يقاسيها المبتدئون في المحاماة عند التمرين، إذ يترك كل مبتدئ يعاني صعاب المحاماة دون مرشد إلى أن يصل به الأمر غالباً إلى أحد شيئين : إما أن تضعف عزيمته فيهجر المحاماة بعد أن ييأس من النجاح فيها ، وإما أن يسلك للنجاح طرقاً ملتوية لا تتفق مع كرامة المحاماة . وأقدم لكم ماعن لى في كل أمر من هذه الأمور الثلاثة ، أما ازدياد عدد المشتغلين بالمحاماة وتوقع اطراد هذه الزيادة في كل عام ، فخطر حقيقى يجب النظر في تلافيه، ولا بد من أن تعالج المسألة من أساسها، وعندى

أن السبيل إلى ذلك هو أن يحدد لكل دائرة قضائية عدد
 من المحامين يكفي للقيام بأعمال المحاماة في هذه الدائرة دون
 أن يقاسى المحامى من كثرة العدد إلا المنافسة المشروعة
 وما يترتب عليها من بقاء الأصلح ، وسيلنا في تحديد هذا
 العدد هو الأحصاء ، فنحصى قضايا الدائرة لعدة سنوات
 خلت ونبني تحديد العدد اللازم على هذا الحساب ونجيز
 مراجعة هذا العدد في فترات دورية لرفع أو خفضه
 حسب مقتضيات العمل ، ومتى تم تحديد عدد المحامين في
 كل دائرة قضائية ألزمت كل محام أن يسجل اسمه في دائرة
 واحدة فيتوزع المحامون على هذه الدوائر المختلفة توزيعاً
 أقرب إلى مقتضيات العمل وحاجاته من التوزيع الحاضر ،
 ويرحل كثير من محامى المدن إلى الأرياف حيث لا يزال
 ميدان العمل متسعاً وأعتقد أنه متى عدل توزيع المحامين
 على المناطق القضائية على النحو المتقدم نجد أن كثيراً من
 المناطق لا يزال غير كامل العدد ، فهذه الأمكنة الحالية التي
 لم تملأ مضافاً إليها الأمكنة التي تخلو من المحامين الذين
 يعتزلون العمل (وعندى أن من الواجب تنظيم طريقة
 لأحوالة المحامى إلى المعاش) هي الأمكنة التي تعرض على من أتم

تمرينه من المحامين الناشئين يشغلونها بعد مسابقة تجرى فيما بينهم ، ويشغلونها بالدور حسب ترتيبهم في هذه المسابقة . هذه الطريقة نكفل وقوف المحامين عند العدد الذى تقتضيه حاجة العمل مع فتح الباب للكفاية ، وقصر المحاماة على الأصلح .

أما تنظيم أعمال المحاماة المتشعبة فأمر ضرورى . والمحامى فى مصر يجمع بين وظائف ثلاث . هو محام مترافع ، وهو محامى إجراءات ، وهو موثق للعقود . وهذه الوظائف الثلاث منفصلة فى البلاد الأخرى بعضها عن البعض الآخر ، وفى فرنسا المحامى المترافع Avocat غير محامى الإجراءات Avoué غير موثق العقود Notaire وأرى الخير أن يفصل عندنا ما بين هذه الوظائف الثلاث فيتسع مجال العمل أمام المحامين ويتخصص كل فى العمل الذى أعدته له كفايته الطبيعية . وعندى أنه ينبغى أن تراعى هذا التخصص فى الدراسة القانونية ، وأن تنشأ فى كلية الحقوق أقسام مختلفة لتخريج المشتغلين بكل وظيفة بهذه الوظائف .

بقى تنظيم التمرين للمحامين الناشئين . وأحب أن تدركوا

جميعاً ما يساور المحامي الناشئ من القلق . وما يكتنفه من
المصاعب ، وهو يحتاز أول دور من أدوار المحاماة ، وهو
التمرين ، يتقدم إلى ميدان لا يعرفه ، وليس لديه من سلاح
يناضل به في هذا الميدان . تنقصه الخبرة العملية ، وهو
لم يتلق في دراسته ، ولا يستطيع أن يتلقى إلا أساساً نظرية
لا نفيده كثيراً في هذا الدور الأول ، ويترك إلى رحمة
المحاميين الذين سبقوه إلى المحاماة يستغل ولا يؤثر .
وعندى أن تنظم التمرين ضروري لصناعة المحاماة ، لا سيما
إذا حدد عدد المحامين على الوجه الذي قدمناه وأرى أن
يفرض على كل محام قديم أن يأخذ عدداً من الناشئين يقضون
فترة التمرين في مكتبه ، بشروط يلزم بها الطرفان ، وأن
ينشأ مكتب عام للتمرين ، ينتدب لإدارته العدد الكافي
من المحامين ، وتغذيه قضايا المعافاة والانتداب ، فتتاح
الفرصة لكثير ممن لا يجدون مكاناً للتمرين في أحد
المكاتب أن يقضوا فترة التمرين في هذا المكتب بشروط
معقولة وبطريقة منظمة تكفل لهم التوفر على المراتب
اللازم والاستعداد الكافي للتقدم إلى المسابقة التي
ينخرطون بعدها في سلك المحامين .

هذه هي الآراء التي عننت لى لتنظيم المحاماة على أسس جديدة ، أبسطها بسطاً سريعاً فإن المقام لا يتسع للافاضة والأسباب ، على أن تكون هذه المسألة الخطرة موضوع دراسة عميقة فى وقت قريب فإن المحاماة فى حاجة الى إصلاح شامل عاجل
وأننتقل من المحاماة إلى الفقه ودراسة القانون .

٣ - واجبنا نحو الفقه ودراسة القانون

وهنا يبدو معهد الحقوق نقطة الارتكاز فى هذا البحث ، ويحسن أن نشير هنا إلى مسألتين : أولاهما واجب كلية الحقوق نحو تدريس القانون ، وعلى أى أساس يرتكز هذا التدريس . المسألة الثانية واجب الفقهاء عامة نحو الفقه القانونى

أما تدريس القانون فى مصر فنواجه فيه مسألة دقيقة . هل نعتبر هذا التدريس تدريسياً فنياً عملياً يعد لاحتراف مهنة ، أو نعتبره تدريسياً علمياً فقهما يزود الطالب بثقافة قانونية عامة ؟ وعندى أن تدريس القانون يجب أن يكون علمياً فى مرحلته الأولى ، عملياً فى مرحلته الثانية . ويمكن

اعتبار كلية الحقوق كلية للثقافة من ناحية ، وكلية لتعليم
الحرفة من ناحية أخرى . وإذا كان الغالب أن يدرس
الطالب القانون ليتخذه حرفة له إذ أن هذا لا يمنع من أنه
يدرسه أيضا ليتتقّف فان الثقافة القانونية أصبحت ضرورية
في المدينة التي نعيش فيها ، لاسيما بعد أن تقدمت
الديموقراطية في مصر ، وأصبح كل مصرى مطالبا بأن
يعنى بشؤون بلاده العامة في عهد الاستقلال . أما الحاجة
العلمية فأول ما يقع فيها من الواجبات على الكلية هو أن
تعد أساتذة للقانون ، فان المكانة العلمية للكلية تقدر
بهمة أساتذتها . واسمحوا لي أن أشير في هذا المقام إلى
الجهود القيمة التي يبذلها أساتذة القانون في خدمة العلم ،
وإلى الشجاعة العظيمة التي يلقون بها ما يلحق بهم من
التضحيات المادية ليتوفروا على القيام بواجباتهم . على أن
الكلية في عهد الاستقلال تدرك ما ألقى على عاتقها من
تبعات . وهي في سبيل تكوين طائفة من خيرة الشباب
المتخرجين ليسكونوا أساتذة للقانون في المستقبل . ولا
ينبغي أن تقتصر كلية الحقوق في جهودها العلمية على دائرة
المناهج الرسمية فان أمامها واجبات خطيرة في ميادين

النشاط العلمى . عليها أن تنشئ إلى جانب الفصول الرسمية
معاهد ذات صبغة علمية محضة ، وأن تنظم محاضرات عامة
للثقافة القانونية ، وأن تساهم فى المؤتمرات العلمية العالمية ،
وأن تتبادل الأساتذة والطلاب مع الجامعات الكبرى .
وعليها بعد كل هذا وفوق كل هذا أن تقف جانبا من
نشاطها العلمى على البلاد العربية الشقيقة ، فإن هذه البلاد
تتطلع إلى مصر فى نهضتها العلمية ، ولمصر عندها مكانة كبيرة
يعرفها كل من اختلط بأهل هذه البلاد . فكلية الحقوق
وهى أكبر معهد قانونى فى البلاد العربية تحمل بحكم هذا
المركز تبعات جسيمة نحو هذه البلاد . ويسرنى أن أقرر
أن كليتنا قد سارت بعض خطوات فى هذا الطريق فتعاونت
منذ العام الماضى مع معهد قانونى من أكبر المعاهد العربية
هو كلية الحقوق ببغداد ، وإنى أحى من فوق هذا المنبر
هؤلاء الأساتذة المصريين الذين أوفدوا فى العام الماضى
وفى هذا العام ليتعاونوا مع أساتذة القانون فى العراق
لتدريس العلوم القانونية والاقتصادية فى معهد الحقوق
ببغداد ، كما أحى الطلبة العراقيين أعضاء البعثة الحقوقية
الذين أوفدتهم الحكومة العراقية هذا العام إلى كلية

الحقوق بمصر ليدرسوا القانون فيها وليكونوا في المستقبل
أساتذة القانون في العراق . وإني موقن أن من أهم
واجبات كلية الحقوق بمصر أن تتعاون مع المعاهد القانونية
في البلاد العربية الأخرى تعاونها مع معهد القانون في العراق .
هذا هو الجانب العلمي من دراسة القانون . أما الجانب
العملي فمتشعب تشعب الحياة العملية ، وكلية الحقوق تعنى
بهذه الناحية عنايتها بالناحية العلمية ، ففيها معاهد عملية
يتخصص فيها الطالب لدراسة العلوم الجنائية والعلوم
الاقتصادية والعلوم المالية وسيكون بها قريباً معاهد
للتخصص في العلوم السياسية والعلوم الادارية ، وأود بهذه
المناسبة لو تباح الفرصة لأساتذة القانون أن يتصلوا عن
قرب بالحياة العملية بطريقة أو بأخرى فان الناحية العملية
لا يجوز اغفالها في تكوين أستاذ القانون .

بقيت واجباتنا نحو الفقه القانوني وأول واجباتنا في
هذا الميدان هو تمصير الفقه . لا أشك في أن مصر تقدمت
في الفقه تقدماً كبيراً بفضل جهود الأعلام من فقهاءها .
وقد بدت تبشير النهضة الفقهية في مصر منذ أصبحت
دراسة القانون باللغة العربية ، فتناول الفقهاء المصريون كل

فرع من فروع القانون وشرحوه إيجازاً وتطويلاً، وساهم رجال القضاء في هذه النهضة الفقهية بتصميمهم على أن نهضتنا الفقهية يشوبها عيب جوهرى، فنحن في جهودنا الفقهية مقلدون ولم نجاوز التقليد الى الاجتهاد، وفي الحق ليس هذا عيباً إنما هو دور طبعى من أدوار النهضة الفقهية، بل هو أول أدوارها فقد كان طبعياً وقوانيننا مأخوذة بجملة من القوانين الفرنسية والفقه الفرنسى فى الاوج من نهضته وازدهاره أن يتجه فقهاؤنا الى هذا الفقه فنقلوه كما هو أو ينقلوه بعد تحوير قليل، أما فى هذا العهد الجديد عهد الاستقلال فالواجب أن نستقل بفقهنا فلا نبقى عيالاً على الفقه الفرنسى، ولست أريد بذلك أن نباعد ما بيننا وبين الفقه العربى فنحن لانزال فى أشد الحاجة الى هذا الفقه إنما أريد أن ننظر الى هذا الفقه بعقولنا وأن نستوعبه ونقف على أسرارهِ حتى تتمكن من أن نضيف اليه شيئاً جديداً مبتكراً من عندنا فيرى العالم فقهاً مصرياً كما رأى فقهاً فرنسياً وفقهاً ألمانياً، ونساهم بذلك فى حركة الفقه العالمية. وأرى أن خير الوسائل للوصول الى هذه الدرجة من الاجتهاد هو أن نعلم الى مخلفات أجدادنا الأقدمين وتراث

أسلافنا الزاهر بالقوى الصلب من المبادئ الفقهية ، فنحن
أيها السادة أمة فقه قديم ، وقد أظلت سماء هذه البلاد مدى
قرون طويلة شرعة من أقوى الشرائع نظاماً وأصلبها عوداً
هي الشريعة الإسلامية ، فما بالناتنكر لها اليوم وقد وسعت
في الماضي امبراطورية من أكبر وأضخم الامبراطوريات
التي يعرفها العالم ، الشريعة الإسلامية بشهادة فقهاء الغرب
أنفسهم من أكبر الشرائع العالمية ولم يعرف العالم شريعة
أوسع انتشاراً وأرسخ أساساً الى جانب الشريعتين الرومانية
والانجليزية مثل الشريعة الإسلامية ، فما بال الغريب يعرف
هذا الفضل ونحن ننكره ، وما بال هذه الكنوز تبقى مغمورة
في بطون الكتب الصفراء ونحن في غفلة عنها نتطفل على
موائد الغير وتنسقط فضلات الطعام . فمهمتنا في الفقه
أيها السادة ليست إذن عسيرة وليس علينا أن نخلق في
هذه المرحلة التي نجتازها فقهاً جديداً ، ففقهنا القديم موجود ،
وعلينا أن نأخذ في دراسة الشريعة الإسلامية طبقاً
للأساليب الجديدة وأن نقارن بينها وبين شرائع الغرب
وإني زعيم لكم بأن تجدوا في ذخائر الشريعة الإسلامية
من المبادئ والنظريات ما لا يقل في رقي الصياغة وفي

إحكام الصنعة عن أحدث المبادئ والنظريات وأكثرها تقدما في الفقه الغربي، ومتى تمت لنا دراسة الشريعة الإسلامية ومقارنتها بالشرائع الغربية على هذا الأسلوب الجديد أمكننا أن نطالع العالم بفقه مصرى له طابعه الخاص وله مقوماته الذاتية، فإن الشريعة الإسلامية هي شريعة الشرق ووحى إلهامه ومتى ألفنا بينها وبين الشرائع الغربية فروح من الشرق وقبس من نوره يضيء طريقنا للمساهمة في نهضة الفقه العالمية.

٤ - واجبنا نحو التشريع

وواجبنا نحو الفقه يوحى إلينا بواجبنا نحو التشريع وهذه هي المسألة الأخيرة التي أتناولها في هذه المحاضرة، وأقول هنا أيضا أنه كما يجب أن نستقل بفقهنا يجب كذلك أن نستقل بتشريعنا. نحن مقبلون على دور خطير من أدوار التشريع في تاريخ مصر، فها هي ذى اللجان المختلفة قد شكلتها وزارة الحقانية لمراجعة شتى القوانين المصرية، ونحن نستقبل عصرا في التشريع يقرب في النشاط من العصر الذى أنشئت فيه المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية ونظمت فيه المحاكم الشرعية، فقد كان ذلك العصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر مظهر نشاط عظيم

في التقنين، فوضعت فيه التقنيات المصرية من مختلطة
وشرعية وأهلية . واليوم نشعر ان الوقت قد حان لمراجعة
ما وضعناه من تقنيات منذ أكثر من نصف قرن، فهل
نسير اليوم كما سرنا بالأمس نستعير قوانيننا مشوهة محرقة
من بعض القوانين الغربية فتجيء على هذا القدر الفاضح
من القصور والغموض والنقص ؟

إن مصر المستقلة أيها السادة في حاجة إلى قانون
مستقل لا يكون مجرد صورة مشوهة من القوانين الغربية
والقانون المدني بنوع خاص يجب أن يكون قانونا موحدا
كاملا . موحدا يطبق على المصريين والأجانب وكاملا
يشمل الأحكام الخاصة بالمعاملات والأحكام الخاصة
بالأحوال الشخصية إذا قضى علينا أن نستمر حقة من
الزمن خاضعين لنظام يفرض علينا تعدد المحكمة فلا أقل
من أن نصل منذ الآن إلى نظام يكفل لنا وحدة القانون
ونحن في مراجعتنا للقانون المدني مراجعة شاملة عامة
نستطيع أن نستهدى بتجاربنا الخاصة نتلمسها في قضاء
محاكمنا وهو قضاء تكون وتدعم في أكثر من نصف
قرن، ونستطيع أن نهتدي بنماذج من التشريع الحديث

دون أن تقتيد بتشريع معين بل نختار من التشريعات
اللاتينية والتشريعات الجرمانية وغيرها من التشريعات
الغربية الأخرى ما يتفق مع تقاليدنا القانونية، وما
يتمشى مع مزاج الأمة وما يسد حاجتها المتنوعة

والأمر الجوهري هو ألا نكرر الخطأ الذي وقعنا
فيه في القرن الماضي، فنقصى الشريعة الإسلامية من بين
المصادر التي نكثر من الرجوع إليها، فالشريعة الإسلامية
كما رأيت مصدر خصب لتشريع يوضع لبلاد شرقية
عربية، وليس في اتخاذها مصدرا ما يتنافر مع صلتنا
الوثيقة بالتشريعات الغربية. ومن اليسير التوفيق بين
مبادئ هذه التشريعات ومبادئ الشريعة الإسلامية،
فلا يجوز أن يعترض علينا ونحن في سبيل إلغاء الامتيازات
الأجنبية بأننا سنأتي للاجانب بتشريع يتنافر مع تشريعاتهم
التي ألفوها، بل ان هناك من مبادئ الشريعة الإسلامية
مالو أدخل في القانون المصري لعدم تقدمها من هذه الناحية
على الشرائع الغربية.

والذي يدعوني إلى التشديد في وجوب الرجوع إلى
الشريعة الإسلامية عند مراجعة تشريعنا المصري اعتباران:

اعتبار على قى ، واعتبار وطنى قومى . فالاعتبار العلى
الفنى قد نستمدده من خلال ما تقدمت به اليكم من رقى
الشريعة الإسلامية وصلاحياتها لأن تكون أساسا لنهضة
عالية فى الفقه والتشريع . أما الاعتبار الوطنى القومى
فأقف عنده قليلا .

تعلمون أيها السادة ان مصر الآن فى مفترق الطرق
فهى بين الشرق والغرب يتنازعها الجانبان وهى بعد أن
استقلت ينبغى أن ترسم لنفسها خطة تسير عليها . هل هى
تريد أن تميل إلى جانب الغرب وأن تستعير المدنية الغربية
فتلبس ثوبا غير ثوبها ، وتقلد مدنية غير مدنيها فتبقى
متخلقة عن تقلده وتقتنع من كل ذلك بالانتماء إلى المدنية
الغربية ذات الصولة والبأس . أم هى تريد أن ترجع إلى
أحضان الشرق دون أن تحا فى المدنية الغربية وتحتل مكانها
بين البلاد العربية فترفع لواء الشرق العربى بين اسم الغرب
فاذا مصر المستقلة وحولها أمم يغضبون إذا غضبت
ويرضون إذا رضيت ؟

إذا كنتم تؤثرون الأمر الثانى وأتم لا شك تؤثرونه
فلنرجع فى ثقافتنا القانونية إلى الفقه الإسلامى ولنجعل

من هذا الفقه صلة بيننا وبين سائر الأمم العربية، ولنوثق
روابطنا بهذه الأمم، فنحن أمة شرقية ولنا ماض مجيد في
زعامة الشرق، فمن الخير أن نصل حاضرنا بماضينا وأن
تتعاون مع جيراننا الأقربين ونحن اخوانهم في اللغة والدم
أيها السادة. اننا نحمل تبعات جسيمة في هذا العهد
الجديد، فالاستقلال مسؤولية قبل أن يكون حرية، وله
تكاليف يجب أن نضطلع بأعبائها، ولا شك في اننا أمة
أثبتت انها تصلح للبقاء ولها أن تطمح إلى مكان الزعامة،
فليكن شعارنا في هذا العهد الجديد هو الاستقلال لنكسب
استقلالنا في كل شيء. لقد كسبناه في السياسة، فلنكسبه
أيضاً في القضاء وفي الفقه وفي التشريع.

الاديب فريد زعلوك

واجب الطلبة بعمر القاهرة

٧ يناير سنة ١٩٣٧

سيداتي . مادي . زميلتي وزميلتي الطيبة :

إن لكل مقام مقالا ، فخير بمن يطمع في أن يبدي رأيا في مقامكم وأمركم أن يتدبر مقامه فلا يخرج عن حكمه .

لهذا أبادر ، وأنا في مستهل حديثي ، إلى التنبيه بأنني لست في مقام نصيح وإرشاد إنما في مقام شعور ووجدان ، فلا بد للقلم إذا كتب أن يلحظ في طريقه حرمة هذا الشعور وخشوع ذلك الوجدان وهما الطريق إلى الخير عند أصحاب القلوب الفتية العامرة بالآيمان كقلوبكم .. على أني إذ أحاول أن أعالج موضوع الليلة أرجو أن أوفق في التعبير عن فيض قلوبكم فأنا منكم وإذا لم تكن نفسي عامرة بما تكنه نفوسكم فمن العبث أن أرجع فيه إلى تدوينات من كتب ...

*

* *

سيداتي . مادي :

واجب الطلبة بعد المعاهدة هو واجب الشباب ،

الذى يتلقى العلم ، بعد المعاهدة والشباب عنوان الحياة
فهو صفوة أيامها بل هو زهرة العمر . ترى فيه الشاب
عزيزاً بصولة الفتوة جميلاً بنضرة الصبا غنياً بثروة
العواطف والآمال .

فهو مطالب من هذه الناحية بأن يملأ تلك الحياة
بكل شريف من الأفكار ونيل من الأقوال ومجيد من
الأعمال .

هذا واجب الشباب على وجه عام أما في مصر حيث
يزهو الطلبة ، وهم الشباب المثقف ، بالدور المجيد الذى
اضطلعوا به منذ بدء الحركة الوطنية وحيث يفخرون
بالضحايا الغالية التى قدموها قربانا مقدساً لقضية بلادهم
منذ فجر نهضتها لم يثنهم فى خلال هذه المدة على طولها
وشدتها ترغيب ولا تهيب .

أما فى مصر وقد أوشكت أن توتى نهضتها أكلها فأن
كل طالب يجاهر بأنه كان ، ولا يزال . فى جميع حركاته
خادماً لأُمته أميناً فى خدمته لأنه قد قطع على نفسه عهداً
بالأمانة فلم يخن عهده ولا ينوى أن يخونه .

لقد أبرمت المعاهدة بين المصريين والإنجليز ومضى

بحمد الله ذلك الزمان الذى كنا فيه بحاجة إلى إقامة الدليل على حقنا فى الحرية والاستقلال وأصبح لكل مصرى أن يتطلع إلى المستقبل ليضطلع بمسؤولياته الجسام على قاعدة جديدة أوسع من ذى قبل .

فلا غرو إذن إذا صاح العصر الذى نعيش فيه والعالم الذى يحوطننا من كل جانب هل من جديد ؟ ولا عجب كذلك إذا ردد هذا الشباب المصرى ، الأمين على عهده صدى هذا الصوت فأراد أن يفكر تفكيراً جديداً وأن يعمل عملاً جديداً فى السياسة والأخلاق والتحصيل والمجتمع لأنه لم يعد يطبق التقيد بالتقاليد البالية بل هو ينشد الحرية فى كل مكان .

أولاً — واجبنا السياسى

١ — الجنسية

يغالط نفسه من يعتقد أن الوثيقة التى سطرت عليها نصوص المعاهدة المصرية الانجليزية هى فى ذاتها الاستقلال المحقق الذى لا ريب فيه والدليل القاطع على الكفاءة له . لأن الاستقلال شىء واكتساب الكفاءة للاستقلال شىء آخر .

أما الاستقلال فقد ضمنتته نصوص المحالفة وأما
الكفاءة للاستقلال فهذا ما يجب أن نضمنه لأنفسنا...
ولاسبيل إلى ذلك إلا بأمور هي من جلالة الحظر وعظم
الشأن بحيث لا يصح أن يحول دون تحقيقها أى اعتبار .
فها نحن نعيش في هذا الزمن تحت سلطان القوة التي
وضعت يدها على كل شيء في الوجود فاذا لم يحسن التفاهم
بيننا وبينها استحال علينا أن نعيش في زمانها ولا واسطة
لهذا التفاهم إلا الجندية والميدان

اضواني :

إنه ليس من قصدى أن أخجل ولا أن أخجلكم
عند ما أطلب اليكم أن تقارنوا بين جيش مصر الحالى
وجيش أقل الدول شأنًا . أو بينه وبين جيشها في عهد
محمد على حيث بلغ عدده الثلاثمائة ألف جندي .

كذلك ليس من شأنى أن أحول انظاركم إلى ألمانيا
وايطاليا فكلكم أعرف منى بما يجرى على أرض هذين
البلدين حيث أصبح الشاب بل حيث أصبح الطفل ولوعا
بمناظر الحرب والنزال وحيث بعث الشباب من السكينة
عزما ومن السكون همة واقداما فأدرك كل من هتلر

وموسوليني بوسع عقليهما أن في هذا الشباب كنوزاً
دقيقة من الشهامة والشجاعة فكشفا عنها الغطاء وأظهرها
للعالمين بهية ساطعة تخطف الأبصار !

أضروني :

أرجو أن يزدد الطرف إلى هذين البلدين وغيرهما
ليذكر ذلك في قلوبنا جذوة الحماسة المتوقدة الجذيرة
لشباب مصر الحرة المستقلة ولنعرف حقيقة موقفنا
ومكانتنا بين شباب الأمم !

إنها لحالة خطيرة محزنة تألم لها نفس كل مصري محب
لبلاده عند ما يعلم أن العالم قد أنفق في سنة ١٩٣٥ حسب
إحصاء عصبة الأمم ثمانمائة وخمس وخمسين مليوناً من
الجنيئات على التسليح والتحضير للقتال . وعند ما يعتقد
أن أقل خلاف يسوق العالم كله كرها إلى حرب لا تعد
لها في الهول والشناعة حرب سابقة في تاريخ بني الانسان
ولا يمكن أن تنحصر في نطاق محدود .

فلنفق ولتكن التربية الوطنية نعم المذهب لعقولنا
وأرواحنا وأجسامنا وإلى التجنيد في العطلة الصيفية من
كل عام حتى يعد وطننا في مقدمة الأوطان ومصرنا في
الصف الأول من مصاف الأمصار والبلدان ، . .

واجبنا في هذه الناحية أن نكون جميعاً مرتبطين
أشد ارتباط برباط الوطنية وأن نرى مصلحة الوطن قبل
كل شيء وفوق كل اعتبار وأن تمحى الفروق الدينية من
الاعتبارات السياسية . فلقد عاش آباؤنا وأجدادنا
المصريون مسلمين وأقباطاً منذ ثلاثة عشر قرناً جيراناً
متآلفين وإخواناً متعاضدين يتقاسمون حظ المعيشة في
هذه الديار سعادة وشقاء ولم نسمع بأن فريقاً منهم اتخذ
مسألة الدين سهما يضرب به في كبد الوحدة الوطنية .

فلتقابل إذن كل محاولة للتفريق من هذا السبيل
بالازدراء والاحتقار خصوصاً وأن حب المصرى لأخيه
المصرى لم يكن طوال سنوات الجهاد مجرد عاطفة وطنية
بل حب المؤمن لأخيه المؤمن وحب الجندى لأخيه فهو
إذن حب قوى تجمعهم فكرة واحدة وجيش واحد وقائد
واحد وخطر واحد .

فلتكن هذه خطتنا في المستقبل كما كانت خطتنا
وخطه من سبقونا في الماضى . وليتأبط إخواننا الأزهريون
من أصحاب التيجان البيضاء ذرعة إخواننا المطربشين من طلبة

الجامعة المصرية والمدارس الأخرى على اختلاف أديانهم
ومشاربهم في مجال العمل لأعلاء مكانة مصر ورفع رايها .
نحن معشر الطلاب نطلب العلم ومن الحقائق
الأساسية لهذا العلم أن الإنسان ليس مجرد عقل يفكر
بل هو نفس تشعر ، وإن الحاجة الأولى لكل نفس هي
إيمان ثابت وأنه ليس أقتل للنفس من أن يشك الإنسان
في غيره فينحدر إلى أن يشك في نفسه .

فليكن شعارنا جميعا أن نعمل ما استطعنا على تقليل
أسباب الخصومات الفردية وتناسي الهفوات التي فرطت
من بعضنا في حق البعض الآخر لتصفو القلوب وتنقى
السرائر ويكون كل منا لأخيه مساعدا ومعينا وليكن
رائدنا جميعا الاتفاق والوئام لأنه لا مطمع لأحدنا
يختلف عن مطمع الآخر بل كلنا متفقون على غرض
واحد يجمع بيننا وجودا وعملا وغاية ذلك هو العمل
لخير مصر .

٣ - النظام والسوم

قرأنا هذا الأسبوع في الصحف المصرية نقلا عن
مراسليها في لندن أن جريدة المورننج بوست نشرت

رسالة لمكاتبها في القاهرة زعم فيها أن الطلبة قد تركوا
وشأنهم لينهجوا سبيلا غير قويم لأن الوفد جرأهم على
الاشتراك في المظاهرات السياسية الضارة بهم وسادت
الفوضى المدارس وبات برنامج التعليم كثير العيوب !
فأى كلام هذا؟ الطلبة الذين اشتركوا بمجهودهم المناوئة
في تأسيس مجد الوطن يشتركون الآن بعد أن استردت
بلادهم جريتها في جعل هذا العصر الجديد عصر اختباط
واختلاط !

لقد كان بودى أيها السادة أن تلقى بهذا الكلام الفارغ
في زوايا الترك والاهمال لأنه لا يستحق أن نحفل به
نؤلا أن كاتبه قد رمى به إلى غاية أخرى هي التغيرير
ببعض العقول وتشويه جمال حركاتنا .

فليكن ردنا عليه أننا عاقدون العزائم على أن نجعل
عهدنا الجديد عهد نظام وصفاء ، عهد جد وعمل وأتنا
سنحذر كل ما في شأنه أن يوجب اضطرابا أو اختلالا
وذلك أولا لفائدتنا وثانيا لنجرد خصومنا من كل سلاح
ضدنا مهما كان ضعيفا .

كذلك قد يحاول بعض ذوى المآرب أن يدخلوا في

روع نزلنا الأجنب ، لاسيما في هذه الفترة التي تتأهب فيها حكومتنا لالغاء الامتيازات الأجنبية ، أن الشباب سيكون حربا عليهم وسلاحا ضدهم .

وسيلنا إلى دحض هذه الترهات أن نستمر على معاملة نزلنا بما عرف عنا من حسن المعاشرة والمجاملة وأن نعيش معهم عيشة هدوء وسلام وتعاون مادام ذلك لا يمس كرامتنا ولا يخط من قدرنا أو يضع علينا شيئا من حقوقنا .

ثانيا - واجبنا العلمى

وهو الواجب الأول المفروض علينا أداؤه ولا أحسبني في حاجة إلى بيان ضرورة التحصيل لنا ولوطننا خاصة في هذا الزمن الذى وضع فيه العلم يده على الزراعة والصناعة والتجارة والأخلاق والروابط الاجتماعية أو بعبارة أوضح على كل شئ فى الحياة . كما أحسبني غير محتاج إلى التذكير بأن نسبة المتعلمين فى مصر ما تزال قليلة أمام مطالبنا الكبيرة من التخول الاجتماعى الذى نسعى له .

لقد جرت كل الدول المتمدنية على طريقة امتحان
الطفل متى بلغ سنّاً معلوما لمعرفة قدرته على القراءة
والكتابة فاذا اتضح عجزه ولم يبد والده عذراً مقبولا
تفرض على الوالد غرامة ، تحصل من كده اذا اقتضى
الأمر ويرسل الطفل إلى المدرسة على نفقته ثم يتوالى
امتحانه عاما بعد عام على أن يوسع نطاق مواد الامتحان
بالتدريج حتى يصبح فرضا محتوما تحصيل مقدار معين
من المعلومات العامة وصياتها من النسيان .

فأين مصر من هذه الدول ؟

لقد قال الزعيم الخالد سعد زغلول أننا في حاجة إلى
العلم والعلماء . والطريق إلى هذا هو ما نواضع الناس عليه
من وجوب الدرس والتحصيل والاستذكار .

وإذا ذكرت الدرس والتحصيل والاستذكار وما
إلى ذلك من الألفاظ التي نسمعها كل يوم في معاهدنا فأنا
أذكر معها كل ما يحول بخاطركم ، خاصا بشخصي ، من
الأسئلة والتأويلات بما أعتقد أنه لا يغيب عن فطنتكم
أيضا ... وأرى أن الأفضل قفل هذا الباب الذي تأتى
منه الريح ...

ثالثا - واجبنا الخلق

١ - اللهو

كثيرا ما يجد بعض آبائنا واخوتنا الكبار ما لا يرضيهم في سلوكنا ولهونا فينسبون ذلك للعلم وقد يضعف إيمان الآمين منهم بضرورة التعليم . إلا أنه لا ذنب للعلم ولا للتعليم لأن الشباب المصرى كسائر شباب العالم يريد أن يلهمو ولا يجد أسباب اللهو البرىء فينصرف مضطراً الى اللهو القاتل الذى يهدم أخلاقه ودينه وشخصيته .

لاتظنوا أيها الاخوان أنى ألقى القول على عواهنه بل اسألوا معى أين نواذى الشبان فى مصر ؟ ناديان أو ثلاثة .

وأين الهيئات التى تعنى بتنظيم أوقات فراغ الشباب ؟
وأين المصلحون الذين يكرسون حياتهم لتقديم كل ما تحتاج اليه نفوس الشباب من لهو ومرح ؟

سادق

أن تحقيق أسباب اللهو البرىء انما هو منوط فى الحقيقة بأبائنا وأساتذتنا ، غير أن هذا لا يعطينا بحال

من تبعة ما يتورط فيه بعضنا من إفراط في التدخين والخمر
والميسر والتهتك وما إلى ذلك من الملاهي الفاسدة التماسا
للذة مخترمة لا نطفر منها إلا بالخسران والألم في أشنع
صوره وأشكاله .

فلنترك كل هذا ولنتعلم رياضة النفس والجسد
فبالرياضة البدنية والفنون الجميلة تنشيط أبداننا ونفوسنا
وتسمو عواطفنا وأذواقنا وتعتدل أمزجتنا وتنضج
رجولتنا وثبت للذين يقولون أن فينا شبابا مخشاً أننا
نؤثر الفناء محتفظين برجولتنا على الخلود مجردين عنها .

كذلك بالغناء والموسيقى والتصوير والتمثيل نلص
ما في الحياة من جمال هو غايتها القصوى ولا نكون قد
خرجنا على أدياننا التي تنكر علينا الخجل والانكماش
وضعف المنة وإهاضة الجانب وخفض الجناح . . .

٢ - احترام الغير .

من العيوب التي تؤخذ على بعضنا المبالغة في الاعتداد
بالنفس إلى حد الصلف والاستهانة بالغير ونحن محتاجون
في التخلص من هذا النقص إلى الاعتبار بأمرين أولهما

أن الشباب إذا عرف كيف يحترم غيره ويقدر مزاياه عرف كيف يحترم نفسه ويعتز بها . وثانيهما أنه لا يقصد بالاحترام تلك الحركات السخيفة التي يعالجها كثير من الذين يدعون الحضارة والاجتهاد كالهبوط باليدين ثم رفعهما كأنهما يحشو صاحبهما التراب على رأسه !

كذلك ليس من أصول الاحترام التهيّب أو الوجل عند الدخول على من يريد المرء احترامه . كما أنه ليس مما يشرف الشاب في شيء أن يكون اكباره لشخص ما بقدر ما يرجوه من نفعه كالطالب الذي يبجل أستاذاً لأنه سيؤدى أمامه امتحاناً في نفس الوقت الذي لا يكثرث فيه لأستاذ آخر لمجرد أنه لا يشترك في امتحانه . . .

٣ - الفتاة .

كانت نظرة الرجال إلى الفتاة المصرية ، في الماضي ، كنظراتهم إلى أداة من أدوات لهوهم ومتعهم وكانت هى لا تغنى بشيء سوى زيتها وبهرجها ولا يشغلها عمل غير الزار والقفاريت والعين والحسد . . .

فلما قامت مصر بحركتها الاستقلالية الأخيرة ساهمت

المرأة المصرية فيها بدور كان عظيماً ونافعاً وعاونت في العمل السياسى والفكرى المفروض على الجميع فاستحقت بهذا أن تسير مع الرجل جنباً إلى جنب .

وهكذا إلى أن كانت الأعوام الأخيرة فرأينا الفتاة لم تعد تطيق البقاء بين جدران المنزل محتبئة وراء الأبواب والنوافذ فى انتظار تشريف العريس الذى يتنازل بطلب يدها ! ! بل تخرج إلى ميادين العلم والعمل وتجرب عقلها فى الدراسة فتحقق أنها تستطيع أن تفهم ما يفهمه الفتى ان لم تتفوق عليه . كما تجرب حظها فى ميادين الكسب فتطمئن إلى أن لها قيمة اقتصادية تكفل لها الحياة .

والآن لقد أصبح لها من ثقافتها وقدرتها على النضال فى ميادين التعليم والترريض والطب والآداب والتمثيل والموسيقى ما يجعلها ترفض من يتقدم لخطبتها إذا لم يحقق لها مثلاً الأعلى فى الرجولة مؤثرة التمتع بحريتها المعقولة فى حدود اللياقة وظلال العفاف على أن تنزل عنها لرجل يستعبد لها ولا يفهمها .

ولقد اعتدنا أن نراها سافرة فى الجامعة ذات نظرة مستقرة قوية ترد عنها نظرات السوء . وفى الطريق تسير

قدما إلى الأمام في نشاط باد وخطى متزنة غير مترخية
ولا متثنية ولا مضطربة .

هذه هي الفتاة العصرية التي تعودنا على احترامها فلتستميز
رجولة هذا الجيل من الشباب باحترام الفتاة المصرية
الجديرة بالاحترام فهي أختنا وأم لابنائنا في المستقبل .

رابعاً - واحبنا الاجتماعى

١ - المادية .

كان المثل الذى يجرى على السنة أجدادنا أن أكرمنا
عند الله أتقانا فتطور مع الزمن حتى صار عند الكثيرين
أن أكرمنا أغنانا وأوجهنا .. فلم هذا؟

لأن الناس قد قصرُوا اهتمامهم على الماديات ونظروا
إلى العلم كوسيلة من وسائل التجميل الذاتى والمنفعة المادية
أما الدين والوطنية والمثل العليا فقد ضعف إيمانهم بها
وأماها فى قلوبهم عامل الترف المادى .

انظروا اليهم وقد فضلوا الرجل الذى يركب سيارة
على الذى يسير فى الطريق على قدميه وان كان يفضلهُ علماً
وخلقاً وديناً !

انظروا اليهم وقد أكبروا الطبيب الذى يقتنى ثروة.
طائلة واهملوا الذى يعمل للفن وللإنسانية !
انظروا اليهم فاذا قالوا أو عملوا أو سكتوا فانما هم
فى كل أقوالهم وأعمالهم وحركاتهم لا تدفعهم قوة نفوسهم
بل غيرتهم من ظهور غيرهم بالمظهر الذى يعجب الأنظار
ويطن فى الاسماع !

ثم انظروا إلى الشباب وقد طغت المادة على حواسه
فاعتبر العبقرية نوعاً من الجنون والعظمة ضرباً من الانانية.
والحب شهوة حيوانية والدين خرافة تاريخية والزوجة
يجب أن تكون غنية ...

مع أن المادة يا اخوانى ليست أهم ما فى الحياة لأن
فى الحياة قيماً أخرى معنوية هى التى يجدر بنا أن نتمسك
بأهدأها كالعدالة الاجتماعية والاحسان والأخاء والوفاء
والحرية والمساواة والصداقة والحب وما إلى ذلك من
الاعتبارات الأدبية السامية .

٢ - المحرمات العامة

ليست ميادين السياسة هى وحدها التى تستحق أن
يضرَب فيها شبابنا بسهم وافر بل هنالك ميادين أخرى.

جديرة بطبيعة الكفاح المركوزة في أعماق نفسه . فهاهي
نهضة ترويج صناعات البلاد وتشجيعها تتطلب منه جهداً
عظيماً . وهاهي المشروعات التي ترمى إلى إذاعة الثقافة
ونشر الدعوة الصحية وإرشاد الفلاحين والأخذ بناصر
الطبقات الفقيرة والمظلومة تستلزم الكثير من وقته وقوته
ولسوف يضطلع الشباب بكل هذا عن طريق الجمعيات
الاختيارية التي تقوم على سواعد أفراد من قتيان وفتيات
والتي ترشحهم ترشيحاً فعلياً لتولى الواجبات العامة كما تمرنهم
عملياً على العناية بالمصالح المشتركة وتخرجهم من تلك
الدائرة الضيقة دائرة الأنانية والأسرة العائلية . على أنه
نما يجدر ذكره في هذا المقام أن الطلبة لم يروا ، في الفترة
الآخيرة ، قصر جهودهم على ما ألفناه في المشروعات
الاقتصادية والاجتماعية بل تخطوها إلى مشروعات جليلة
وطنية كمشروع الدفاع الوطني ومشروع الطائرة ومشروع
سلاح الطيران الحربى .

وهذه ولا شك روح نبيلة تبشر بأن الشباب
المصرى قد آمن بالمثل الأعلى الذى ينادى بأن السعادة
الذاتية لا تأتى الا من طريق السعى لا سعاد المجموع

وأن السعيد حقاً من سعد به الناس .

بيد أن واجب التشجيع والاستحسان لهذا الاتجاه الجديد لم يمنع بعض قادتنا من التصريح بأنه ليس من الحكمة أن تشمل كواهلنا ونحملها فوق طاقتها بالمشروعات لأن الخير كل الخير في أن ترك الآن ما لا نستطيع إلى ما نستطيع ولأنه لا ضرر على رقينا المنشود من هذا النمط لأن في المشروع الواحد إذا تم أكبر مساعد لتمام غيره .

فلتدبر هذه النصيحة ولنقدرها حق قدرها .

أخيراً أيها الاخوان .

إن واجبنا في هذه الفترة من حياتنا أن نعلن على عوامل الشر في المجتمع المصرى حرباً لا هوادة فيها ولا تها دن .

وأن نعمل لخير الوطن والانسانية يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وعاماً بعد عام لنثبت للناس أن في مصر شباباً يستعد في كل لحظة للموت في سبيلها كما يستفيد كل يوم للحياة من أجلها

أنظرونه الجليل بك

عضو مجلس الشيوخ ورئيس تحرير الاهرام

واحبنا الصغرى بعد المعاهدة

١١ يناير سنة ١٩٣٧

سيد الى رسالى

مامن حق إلا ويقالبه واجب

لقد استرجعنا بالمعاهدة كثيرا من حقوقنا، فكان
محتما أن يقابل هذه الحقوق واجبات نطالب بها أنفسنا
وما أكثر واجباتنا بعد المعاهدة !

إن كثرتها هالت فريقاً من المفكرين والمسؤولين
بيننا ، فراحوا يتساءلون فى شى من القلق : وهل نقوى
على النهوض بها وأدائها حق الأداء .. ؟

سؤال خطير انبرى شباب مصر للرد عليه . فكان
ردهم الرد البليغ العملى العاجل

برزوا إلى الميدان ، والبلاذ فى نشوة فرحها . فلم يقولوا
بين مظاهر الغبطة والابتهاج « اليوم خمر ، وغداً أمر .
اليوم قحاف وغداً نقاف ^(١) » بل نادوا من صدور تعمرها
الوطنية : العمل اليوم قبل الغد . والسعى معجل لأمؤجل

(١) القحاف جمع قحف وهو إناء يشرب فيه . والنقاف المناقفة أى اليوم
شرب بالقحاف ، وغدا تضرب هامة العدو

ولا تؤجل فعل اليوم عن كسل

إلى غد ، إن يوم العاجزين غد

ولما كانت المرحلة الأولى من القيام بالواجب معرفة
هذا الواجب ، فقد سارعوا الى تنظيم هذه السلسلة من
المحاضرات لبحث واجبات الأمة في مختلف نواحي حياتها
الجديدة . فكان في تنظيمهم هذه البحوث وفي إقبالكم ،
أيها الأفاضل ، على استماعها بداءة قيامنا بواجبنا .

وهذه مآثرة جديدة نسجلها لشبابنا المثقف اليقظ .
وكم لشبابنا في أيام الجهاد من مآثر غير دوائر تسدل ستراً
من التسامح على هفوات البعض منهم . فان للشبان من نبيل
الأغراض وبراءة المقاصد أكبر عذير ، كما أن لهم من
شفاعة الشباب وجاه الصبا خير نصير
أمعنى في الوجد قلت له : اتد

الوجد وجدى والحنين حنيني

ما نفعي ، إن كان ليس بنفعي

جاه الصبا وشفاعة العشرين

أيها السادة : « واجبنا الصحفي بعد المعاهدة » موضوع
حديثنا في هذا المساء .

وهو واجب مثلث النواحي : يتناول واجب الصحافة
نفسها وواجب الحكومة ، وواجب الجمهور .

- ١ -

أما واجب الصحافة بعد المعاهدة فهل هو غير واجبها
قبل المعاهدة ؟ : صدق في رواية الحوادث والأبناء ،
وإخلاص في بسط الأفكار والآراء ، نقد حيث ينبغي
النقد ، وثناء حيث يجب الثناء . ومن وراء كل هذا ، العمل
على تنوير الأذهان ، وثقيف العقول ، وتقويم العقول
ومقاومة الأهواء لارشاد الرأي العام ، وتوجيهه إلى
الغرض الأسمى ، والمثل الأعلى .

لكل زمان مضي آية

وآية هذا الزمان الصحف

لسان البلاد ونبض العبا

دوكهف الحقوق وحرب الجنف^(١)

تسير مسير الضحى في البلا

دإذا العلم مزق فيها السدف^(٢)

(١) الجنف : الحيف

(٢) السدف . الظلام

وتمشى تعلم فى أمة

كثيرة من لا يخط الألف (١)

هذا ما كان واجب الصحافة قبل المعاهدة ، وهذا
مالا يزال واجبها بعد المعاهدة . غير أن هذا الواجب قد
استطال اليوم مداه فى التطبيق ، واتسع نطاقه فى التنفيذ :
كان مجهود الأمة وصحافتها بالأمس موجها بنوع خاص
إلى خصم خارجى لاستخلاص حقوقنا من يده القاسية ،
فأصبح هذا المجهود بعد اليوم محولا إلى تنظيم هذه الحقوق
التي استرجعناها وقد كدنا ننسى ممارستها بعد أكثر من
نصف قرن مضى على ضياعها .

فكم لدينا من المشاكل الاجتماعية والعمرانية ،
والمسائل المالية والاقتصادية ، والشؤون الاشتراكية
والادارية ، ينبغى للصحافة أن تعالجها وتقتلها بحثاً
وتمحيصاً لتحيتها نشرأ وتنفيذاً

إن أماننا أمة أضربها النظام الماضى ، يجب أن نتعلم ،
فتعرف أن لها عقلا يجب تثقيفه ، وصحة يجب تديرها ،
وثروة دفينية يجب استغلالها ، وأدباً عالياً يجب احياؤه ،

(١) الآيات لشوقي

وتراثنا مجيداً يجب انماؤه ، حتى تدرك الأمة في نهاية الأمر أنها هي الأمة مصدر السلطات حقاً .
فمن لهذه الواجبات المقدسة غير الصحافة الوطنية وهي بعد السلطة الاشتراعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية ، رابعة السلطات .

إن لنا وطناً هيض جناحه وشتت قواه ، واستيحت حياضه واعتدى على حماه . فيجب الذود عن حقوقه والدفاع عن مصالحه وشؤونه ، وإعلاء كلمته بين الأوطان ليظل زعيم جيرانه ، ويصبح قرناً محترماً بين أقرانه .
فمن لهذا الواجب غير الصحف ، والصحف كما تعرفون قلاع منيعة من الورق لا تؤثر فيها قنابل المدافع ، والأقلام التي تكتب بها مصنوعة من الفولاذ الذي تصنع منه السيوف

إن لنا دستوراً . وقد حلفنا يمين الأمانة له ، وعلى أساسه قام الحكم النيابي بيننا . فلا بد من الدفاع عنه لتصان حرياتنا الدستورية . وكيف تصان هذه الحريات إذا فقدت صحافتنا حريتها . إن كلمة شاتوبريان أشد انطباقاً على تاريخنا الدستوري منها على تاريخ سوانا ، قال :

(إذا فقدت البلاد دستورها فإن الصحافة كفيلة بأن تجده.
وترده إلى البلاد) فلقد ضاع دستورنا أولاً وثانياً، فكانت
صحافتنا في طليعة من جدوراءه وورده إلى مصر سليماً .
فواجب الصحافة ألا تتخلي عن هذا الواجب

إن على رأس الأمة حكومة يجب أن تعاون في
مشروعاتها الإصلاحية ، مادية كانت أم أدبية . أما معاونة
الصحف للحكومة فتقوم على مناصرتها وتأييدها ، كما تقوم
كذلك على نقدها ومؤاخذتها في مواطن النقد والمؤاخذة .
فكلتا الصحافتين ، المؤيدة والمعارضة ، تقوم بواجبها
الصحفي الحق مادام الاخلاص رائدها والصدق نبراسها
فلا تميل مع الهوى ، ولا تذهب مذهب الأغراض
الملتوية . ومن المسلم به أن لكل كاتب أسلوبه ولكل
صحيفة خطتها : فهذه تأخذ باللين والهوادة ، وهذه تعتمد
إلى الشدة والعنف . وأمراضنا الاجتماعية كأمرضنا
الجسمية : هذه تحتاج إلى الكدات والمراهم ، وهذه لا بد
لها من المبضع يعمل فيها عمله ، والحكومة الرشيدة
ترحب بالنقد العادل ترحيبها بالثناء الحق . وإذا كانت
الحكومات تجزع أحياناً مما تقوله الصحف فإنها أحياناً

قد تستهدف للتهلكة بما لا تقوله الصحف .

أعنى بذلك أن حرية الكتابة يجب أن تكون مكفولة
وذلك لمصلحة الحكومة نفسها ، فإن حرية القول هي
الوسيلة الوحيدة لوضع حد لاستباحة التمادى في حرية
الفعل ، ولا أعنى بذلك حرية الافتراء والتضليل ، كما
لا أعنى أن تنشر الصحف كل ما تعلم ، فللقول ساعات
يضر فيها الخطأ ولا ينفع الصواب .

وزملائي الصحفيون يعرفون كم نحن نقف عند
حوادث نعرفها فنطويها ، لأن نشرها ليس في المصلحة
العامة . ويكفيني دليلاً على ذلك موقف صحافتنا في أثناء
المحادثات التي مهدت للمعاهدة .

ولقد أجمل الشاعر خلاصة واجبات الكتاب عامة
في بيتين من الشعر . قال :

وما من كاتب إلا سيفنى

ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء

يسرك في القيامة أن تراه

رأيتم أيها السادة ، مما تقدم أن واجبات الصحافة

كثيرة متعددة ، وهاهى ذى صحفنا اليومية والأسبوعية
تطالعونها صباحا ومساء ، فتلمسون بأيديكم ما تبسذه من
الجهود الأدبية والمادية لتأدية هذه الواجبات على الوجه
الأصلح . وتعرفون وكلكم من قراء الصحف ، ما تحمته
وتتحمله صحفكم من توضيحات لتقوم بالمفروض عليها .
فتاريخ صحافتنا وتاريخ نهضتنا متلازمان غير منفصلين : فمن
كتب تاريخ هذه كتب تاريخ تلك : أى حادث وقع فى
مصر ، وأى إصلاح تم فى مصر ، ولم يكن الدور الأول
فيه لصحف مصر ؟ وأى اعتداء وقع على الدستور أو
على الحرية ، ولم تصب شظيته الأولى صحف مصر ؟
لذلك لا تستطيع الصحافة أن تقوم بواجباتها الكثيرة
نحو الحكومة ونحو الأمة ، إلا إذا قامت الأمة والحكومة
بواجبهما نحو الصحافة .

— ٢ —

أما أول واجبات الحكومة نحو الصحافة فهو كما
قدمنا أن تكفل لها حريتها .
وترجع حرية الصحافة إلى الثورة الفرنسية الكبرى ،
فقد نصت المادة الحادية عشرة من « حقوق الإنسان » على

« ان حرية إبداء الآراء ونشر الأفكار حق من أئمن
حقوق الإنسان ، لذلك يحق لكل وطنى أن يتكلم وأن
يكتب وأن ينشر بملء الحرية ، على أن يكون مسؤولاً
عن استعمال هذه الحرية فى الأحوال التى يحددها القانون »
وقال « ميرابو » خطيب الثورة : « إن حرية الصحافة
الميزة نفسها التى لسائر الحريات ، فهى حق طبيعى يحميه
القانون ولا يمنحه »

وكل من حاول النيل من الصحافة والحد من حريتها
عاد فى نهاية أمره خائباً ، لأن الصحافة هى القوة التى
لا تغلب فهى كقناة ابن كلشوم التغلبى .

إذا عض الثقاف بها اشمازت

وولته عشوزنة زبونا

عشوزنة إذا انقلبت أرنت

تشج قفا المثقف والجينا

فالحكومة التى تقيد حرية الصحافة هى حكومة تخاف
أن تكون أعمالها موضوع بحث ومناقشة ، فهى من ثم
موضوع شكوك وشبهات . وكم من حكومات ضربت
الرقابة على الصحف فعاملتها معاملة المحال الضارة والمقلقة

للراحة. ولا حد لتعسف الرقابة، فإن الأمر ينتهي بالرقب إلى وقوفه من الصحفي موقف الوصي من القاصر، بل هو يريد أن يبرى قلم الكاتب بنفسه فلا يكتب إلا ما يشاء الآمرون، ولكن الفكر ليس سلعة يجوز احتكارها كسائر السلع، والاستعباد الفكري يفضى سريعاً إلى الاستعباد السياسي، والرجل المحروم من الحرية لا يلبث أن يصبح جباناً ثم شريعراً (١)

(١) ومن الأمثلة على ما قد آصل إليه الرقابة على الصحف من التعسف ما وصل إليه تعنت الرقيب، أو ما كانوا يسمونه «المكتوبجي» في تركيا على عهد السلطان عبد الحميد. فإن الرقابة تجاوزت الأفكار إلى الإلفاظ. فكانت هناك كلمات كثيرة مقصية من الصحف (كحرية ودستور، وشورى الخ) لدلالاتها على «أشياء محظورة تغدش الأذهان». وكانت هناك طائفة من المفردات والجل لا يجوز للصحفي أن يوردها في صحيفته لأسباب تضحك — وشر البلية ما يضحك — نذكر منها.

«جمهور» ومشتقاتها. لم يكن لها أثر في المطبوعات لأنها شديدة الاتصال بالجمهورية. فلا يقال كانت الجماهير... بل كانت الجوع

«خليفة» اسم أسرة كبيرة في سوريا. فكان المكتوبجي يشوه هذا الاسم، فيجعل تارة «حليفة» بالحاء المهملة، وتارة خليفة، وكذلك كان شأن أسرة «سلطان»

«مراد» اسم أخى السلطان، وهو اسم كماله، مغضوب عليه كل الغضب. فلا يقال «المراد بذلك» بل «المقصود من ذلك» ولا يقال «بلغ المراد» بل «بلغ المرام»

ومادمنّا فى مجال الكلام عن واجب الحكومات
نحو الصحافة فانه يسرنا أن نردّد هنا ما جاء فى خطاب
العرش الأخير فى حفلة افتتاح الدورة الحالية لبرلماننا من
أسباب الحرية والكرامة للصحافة ، وأنها لن تألّو جهداً
فى العمل على رفع مستواها .

ولكن الحرية يجب أن تكون لمن يستحق الحرية
والكرامة لمن هو جدير بالكرامة . فلا ترسال فى
الاعتداء على سمعة الناس واعراضهم ومعتقداتهم ليس
من الحرية فى شىء . بل ان من يستخدم قلبه أو صحيفته
فيما يآباه الشرف والمروءة لا يستحق أن يسمى صحفياً
وقد قال لنا صاحب المقام الرفيع رئيس الوزارة فى
حديث مستفيض عن شؤوننا الصحفية : « ساعدونى على
تطهير الصحافة من الأدران وأنا مستعد لكل مساعدة
تعاون الصحافة على تأدية مهمتها الشريفة »

وهنا يقوم إلى جانب الواجب الأدبى واجب مادى
على الحكومة نحو الصحف فتساعدّها بما لديها من شتى
الوسائل فى النقل والمواصلات والاعفاء من بعض
الرسوم ، وما إلى ذلك بما يعاون الصحافة على تأدية

رسالتها السامية . ويجب أن تكون هذه المساعدة عامة شاملة حرة بريئة لوجه صاحبة الجلالة ، فلا تتحول هذه المساعدة من حيث ندرى ولا ندرى ، إلى قيود ثقيلة أو تفريق غير عادل في المعاملة .

وقد يسركم أيها السادة أن تعلموا أن صحافتكم التي تحبونها جادة الآن في تأليف جمعية لها تدافع عن حقوقها ، وتذود عن كرامتها ، وتساعد على القيام بواجبها

— ٣ —

بقي على أن أقول كلمة عن واجب الجمهور نحو الصحافة
أيها السادة :

يجب عليكم أن تعضدوا صحافتكم وتوازروها بالاقبال عليها ، فالصحافة مرآة الشعب . وقد تكون أصدق مقياس لرقبه ونضجه . وصحفكم بحمد الله كثيرة متنوعة — متنوعة في مواعيدها : فمنها الصباحية والمسائية ، ومنها الأسبوعية والشهرية . متنوعة في موضوعاتها : فمنها الاخبارية السياسية ومنها الأدبية العلمية ، ومنها المصورة والفكاهية . متنوعة في أسلوبها : فمنها الرزينة المعتدلة ، ومنها المتحمسة المندفعة ، ومنها المتقدمة اللاذعة . فيستطيع كل قارئ أن يجد في

صحيفة من صحفنا الكثيرة غذاء لفكره وفائدة لنفسه ،
وترويحاً لحاظره . فليس من عذر لمن يعرف القراءة ولا
يتخذ له صحيفة من الصحف جليسا له في ساعة من ساعات
يومه . وهكذا كل ما زدتم صحافتكم إقبالا زادتم خدمة .

أيها السادة :

بسط لكم من تقدمنى من المحاضرين الأعلام في
اجتماعاتكم السابقة ما علينا من الواجبات بعد المعاهدة في
مختلف نواحي الحياة . فاذا أغضينا عن الواجب علينا
فهيئات أن تجدينا نفعا أحسن المعاهدات . أما إذا قام كل
منا بالواجب عليه فإن هذه المعاهدة تكون ، كما نريد أن
تكون ، بردا وسلاما علينا ، ومجداً ونفرا للوطن العزيز
وإنا باذن الله لفاعلون ؟

الآنسة ابنة الشاطئ

رامينا نحو الفلاح بعد المعاهدة

١١ يناير سنة ١٩٣٧

١ - قضية الفلاح

سادتى :

هذه فرصة طيبة أيها السادة أنتهزها لأعرض أمامكم قضية الفلاح المصرى ، مطمئنة إلى أنكم ستؤمنون مثلى بعدالة قضيته ، لأنها تعتمد على حقه الشرعى فى بعض ما ينتجه ، وعلى ما يجب له فى مصر الزراعية التى تعتمد فى ثروتها على الزراعة ، وترى فيها الحرفة الرئيسية لأربعة ملايين من أبنائها .

ولعلكم تغفرون لى الاطالة فى الحديث ، وتتحملون ما قد تشعرون به من ضيق أو ملل ، فعذرى فى هذه الاطالة أن قضية الفلاح هى قضية الأمة بأسرها ، فمن غير المعقول أن تنهض مصر الزراعية وفى جسمها هذه هذه الأعضاء المريضة المهدمة ، وأن تسير القافلة وفيها بضعة ملايين من القرويين ، يحيون حياة مظلمة ، أخشى أن نصبح ونمسى فإذا بها تحمل العوامل الهدامة فى مجد مصر الذى قام على أسنة الفؤوس

إننا نهتم أيها السادة بدودة القطن أكثر مما نهتم بجراثيم
الأمراض التي تفتك بزراع القطن ، ونفق ملايين
الجنهات على إقامة القناطر والسدود بينما نبخل بالمئات
منها على الآلات الآدمية التي نخدمنا في صمت أليم .
ولقد شهدت مصر الكثير من البرامج الإصلاحية
الزراعية منذ أقدم العصور ، ولكن كل ما تم منها كان
يقصد به زيادة الانتاج لا بطريقة معقولة وإنما على حساب
الفلاح المسكين ، فاعجبوا السياسة أمة زراعية ، تحمي
الانتاج فتجحد الفئة الغالبة بعددها وحرقتها ونصيبها في
الثروة العامة .

يقتلهم الجوع وهم ينتجون أشهى الطعام وأجل الثمر ،
ثم لا تستشيرنا حالتهم ، نحن الذين تتكلف الأسى والحزن
حين نردد قول الشاعر :

والعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول
بل قد نرى الفلاح يسوق الجمار ناقلا « السباخ »
تحت لهب الشمس المحرقة وفي قسوة البرد العاتق ، فشور
للجمار أثقله الحمل ولا ثور للفلاح أرهقه الفقر والمرض
حتى لقد أنشأنا جمعيات للرفق بالحيوان قبل أن نفكر

في إنشاء جمعية للرفق بهذا المخلوق الشقي ، فما أعجب شعورنا ! الحمار أكرم لدينا من الفلاح ؟ والحيوان ينال من رحمتنا ما لا يناله أخونا الانسان ؟ !

ألا إن الذي يؤلمني حقا أيها السادة ، أن يكون شعوري بشقاء الفلاح أقوى من كلماتي ، وأن يملأ هذا الشعور قلبي ويستبد به ، ثم لا أملك للفلاح إلا هذه الكلمات المضطربة المتباعدة أنفثها من حين إلى حين !

لقد جاد الكثيرون — وأنا منهم — على الفلاح بهذا الجهاد الضئيل ، وتبرع الكثيرون قديما بالوعود لانقاذه واشتملت برامج الإصلاح على مشروعات براءة للنهوض به من الحال الشقية التي يتخبط في ظلامها . ولكن هل كتب على المسكين أن يعيش على السراب ، وأن يكون كل نصيبه منا ومن الحياة عطفاً ورثاء ، ومحال أن يثمر الرثاء اللفظي خبزاً وجبناً ؟ !

إن الفلاح يريد بعد المعاهدة شيئاً غير هذا ! يريد شيئاً أكثر من أن نسلم بأنه يشقى إلى حد لا طاقة لأحد به ، ويحترق ليضئ لنا طريق الحياة ، ويعطي فوق الكثير ليظفر بما دون القليل !

إنه يريد أن يعيش ، وأن تمنحه حقه من حياة إنسانية
تسمو به عن المعيشة الشقية المظلمة التي يعيشها على هامش
الحياة ، رازحاً تحت أعباء ثقال من المرض والذلة والفقر ،
فليس يكفي أن نعترف بشقائه ، وإنما الواجب أن نهتم
باصلاحه وفق سياسة منظمة ، لا يعينى منها طول المدة
التي يستلزمها الاصلاح وضالة الاعتمادات المخصصة له ،
بقدر ما يعينى استقرار هذه السياسة ووضوحها ، وإلا
فانى أخشى أن تنكشف فورة الاصلاح إلى أن تفتى مع
مع الأيام ، وأن تفتقر وتتضاءل إلى أن تتمخض عن نتائج
ضئيلة مضطربة لا تتناسب مع فداحة شقاء الفلاح المنكود !
لم يكن سوء حال الفلاح خافياً على الحكام والمصلحين
من قبل ، ولم يعدم الفلاح فى العهود السابقة من يهتم
باصلاحه ويتقرب إلى الشعب عن طريقه ، ولم تخل هذه
الفترات من مصلحين يعقدون اللجان ويضعون التقارير
المسببة ويمدون الحكومات بمقترحات لها قيمتها ، غير أن
هذه الحركات القليلة كان ينقصها أن تدعم بالثبات
والاستقرار لشمر شيئاً من النتائج .
وفات القائمين بها أن الاصلاح غير المستقر يستنفد

جهوداً وأموالاً ليثمر لاشيء ، ومن داخله الشك في ذلك فليحدثني عن الفائدة العملية التي اكتسبها الفلاح من اللجان ومشروعات الإصلاح ، هل ارتقى مستوى معيشته فأصبح يحيا كأنسان ؟ هل خف هجوم الأمراض المستوطنة التي تسكن له في كل شبر من أرض القرية وفي كل قطرة من مياهها الملوثة وفي كل ذرة من الهواء الذي يستنشقه ؟ هل صار يشعر بانسانيته ويهتم بنظافة جسمه ومسكنه وثيابه ؟ هل زاد إنتاجه أو احتفظ بمستوى إنتاجه العادي ؟ وإن كان فبأي ثمن ؟ هل تيسر له الغذاء الكافي المتواضع والحياة العزيزة الآمنة التي تحبب إليه العمل وتعينه على الجهاد ؟ اذهبوا إلى القرية لتعرفوا الجواب !

٢ - بعد المعاهدة

سادتي :

مصر تقف اليوم بين عهدين : عهد مضى وكله جهاد ، وعهد مقبل نرجو أن يكون هو الآخر حافلا بالجهاد انتهى دور المطالبة ، وجاء دور الاختبار والانتقال

وهو أصعب الأدوار في تاريخ الأمم المتطلعة الى المجد !
نحن أيها السادة في حاجة إلى عيون نفاذة بصيرة
تخترق ستار الرياء الذي يلف الشقاء المنحط الكامن في
ريف مصر ، وتتخطى المدن الكبيرة المزوقة إلى القرى
التي أصبحت وكأنها تحمل العوامل الهدامة في مجد مصر
هذه المباني التي تملأ المدن والتي شيد أكثرها أغنياء
فروا بأموالهم من سكنى الريف القذر ، وتلك الطرق
النظيفة الممهدة والمستشفيات التي تسهر على صحة السكان
وهذه المدارس المنبثة في كل حي من أحياء المدن ، هذه
الأشياء وأمثالها ما كان أصدقها في الدلالة على نهضتنا لولا
أن وراءها قرى لا يشرق فيها شعاع واحد من أشعة
الإصلاح والاهتمام ، حياة شقية أليمة مريضة ما أشك في
أنها ستبث سمومها في المدن كما يقتل الجسم عضو واحد
مريض ! هذه المشروعات الإصلاحية ، ما كان أجدرها
باسم النهضة لولا أنها طلاء مزوق لبیت خرب مهدم !

٣ - وإمينا نمر الفروع

مصر أمة زراعية أيها السادة ، وستظل هكذا ما عبد
الله في الأرض ، سواء رضينا أو كرهنا ، فجددنا المستقبل

يجب أن يأتي عن طريق الفلاح بمنحه حقه من العزة
والكرامة والحياة الانسانية ، وكل تفكير بغير هذا
الوضع خاطيء مردودا

فما هو واجبنا نحو هذا المجاهد الذى حمل مجد مصر
على أكتافه ، وجاهد مع التربة والمياه والجو . ومع
الأمراض والآفات والفقر ، ليحمى ثروتنا ، وليمهد لنا
العيش الآمن المستقر ؟ .

ما هو واجبنا نحو هذا الشقى الذى لبث الأحقاب
الطويلة يدفع لنا كل شئ ثم لا يظفر بشئ ، وكأنا لند
كل الحقوق وعليه كل الواجبات .

لا تنتظروا منى أن أحدثكم عن حق الفلاح فى
جرعة من الماء النقي والمسكن الصالح والرعاية الصحية ،
ووجوب انقاذه من المياه الملوثة التى يشرب منها كما تشرب
الأرض وكما تشرب البهم والدواب ، والمسكن المظلمة
التي يأوى إليها هو وأولاده ودوابه جميعاً ، ولحوم المواشى
المختصرة والمسممة التى تباع للفلاحين البائسين والتى أعرف
يقينا أن ضحاياها كثيرون ، وأكثر منهم من قاوموا السم فلم
يموتوا ولكن بقيت لهم العلة تسلبهم قواهم وتهلكهم هذا

أجل لا تنتظروا مني أن أحدثكم عن حق الفلاح في هذا كله فأنتم تساون به جميعاً ، وقد تحدثت عنه عاماً ونصف عام حتى لا أخشى أن أبعث فيكم الملل ، ولست أخجل من الاعتراف لكم بأن الإصلاح الصحي والهندسي يقتضى خبرة فنية لا أدعى العلم بها ولا أتحل معرفتها ؛ فأكتفى بالإشارة إليها تاركة لذوى الخبرة الفنية الاهتمام ببحثها ودراستها .

والجديد عندي في هذا الصدد أن أنادى باعفاء الفلاح من زيف المدنية ، فأنا أشد الناس إعجاباً ببساطة الريف وسداجة الريفيين ؛ وأحب أن يبقى لجمال الريف بساطته ولنفس الريفيين سداجتهم وإيمانهم وقناعتهم ، فإما الإصلاح الجديد فيجب أن يتجه إلى تخليص هذا الجمال من قذارته ، وتحرير حياة الفلاح من ظلامها وانحطاطها . وفيم أحدثكم إذن ؟ جئت أبرئ نفسي من تهمة الطمع في مثل عليا لا تكفي موارد الدولة لتحقيقها ، جئت أدافع عن قضية الفلاح ضد أعداء إصلاحه الذين يعلنون ثورتهم على ملايين الجنهيات التي يراد انفاقها لا يقاظ المخلوق البائس واغرائه عن طريق غير مباشر

بالتمرد على الحياة القاسية التي نريده لها والجهاد الشاق
الذي نريده منه .

جئت أدافع عن حقه في الاصلاح العملى ضد من
يجودون عليه بعطف لفظى ، ويعترفون بأنه أهل للاهتمام
ولكنهم ينكرون منه أن يطمع فى شىء من مال الدولة ،
وينكرون عليه اصلاحا يقتضى أموالا وله بعد ذلك
ما يشاء من كلمات عطف ينطق بها اللسان ويضحك منها
الجنان .

جئت أحدثكم عن واجبنا نحو الناحية العقلية والنفسية
للفلاح ، فهى لا تزال مهمة إلى حد عجيب ، وبغير هذا
الاعداد النفسى والعقلى نفقد التوازن فى الاصلاح الرينى
ويتحقق الخطر الذى يخشاه من يرون أن النهوض بالفلاح
يغريه بالثورة علينا .

فأول الواجبات التى أراها ، هى اعداد الفلاح
للاصلاح المنتظر حتى يطمئن اليه ويستفيد منه ، وأبادر
فأؤكد لكم أن هذا الاعداد لن يرهقنا بالمال الذى يسمونه
عقبة الاصلاح ، فهو لا يحتاج إلا إلى صدق الشعور
بشقاء الفلاح ، ثم صدق الاهتمام باصلاحه ، وسترون

أنا نضن عليه حتى بهذا الاصلاح التافه الثمر .
الجليل الأثر .

هذا الاعداد النفسى ذو شعب ثلاث :
أولاً : اشعار الفلاح بانسانيته عن طريق توفير المال له
وحماية الحد الأدنى لمعيشته .
ثانياً : اصلاح نظام الحكم فى الريف .
ثالثاً : نشر الثقافة الزراعية فى القرية عن طريق الاذاعة
المنتجة والتعليم الزراعى التوجيهى .

فاما عن إشعار الفلاح بانسانيته فلستم تجهلون أن
الفلاح يخضع اليوم لتجربة قاسية لازمته منذ أكثر من
خمسة آلاف سنة ، أى قبل عهد الأسر ، فقد اصطلح
المؤرخون على أن الفلاحين فى الأدوار الأولى من
التاريخ المصرى الفرعونى ، كانوا يمارسون الحياة الذليلة
التي يحيونها الآن ، ومعنى هذا أن الفلاح قد انحدر من
أصلا ب أجداد لم يكن حظهم من نور الحياة بأوفر من
حظه ، حتى لقد توهم الكثيرون أنه مخلوق من طينة أخرى
غير الطينة التى خلق منها غيره ؛ فهو يرضى بالظلم ويصبر

على الضيم ويشور على التجديد ، ولست أنكر أنه قد يكون
كذلك ، ولكن الذى أنكره أن تتوهم أن ذلك التبذل
طبيعة فيه ، وأحب أن تتعرف أسباب هذه الحالة الأليمة
حتى ننقذه منها ، ولنا أن نطمئن إلى مستقبلنا إذا استطعنا
أن نبعت الشعور بالعزة القومية والكرامة الانسانية في
نفوس ملايين الفلاحين الذين هم عدة مصر وجيشها
العامل القنوع !

أندرون لم يرضى الفلاح بالظلم ويصبر على الضيم ؟
لقد نشأ في أرض بطلت الغيرة فيها على المظلومين لطول
ماشغل المصريون المتعلمون فيها بمصائبهم عن مصائب
الآخرين ؛ ولطول ماشغل الزعماء الأبرار بمحاربة
الغاصب المحتل عن الالتفات إلى فئة الفلاحين وهى
تنحدر إلى هاوية سحيقة من الذل والخنوع

وكانت النتيجة المنطقية لهذا الإهمال ، أن ظل الفلاح
بعيداً عن العالم ، لا ينبثق في قلبه شعور بانسانيته ، ولا تدور
بذهنه فكرة الغضب لكرامته أو تغيير حياته ، ثم دأب
الموظفون والأغنياء والمتعلمون على إهماله والتحقير من
شأنه علاوة على ما طبع في نفسه بالوراثة من الذلة ، فهان

أمره عند نفسه كما هان عند غيره ! فقد المسكين نعمة
الآلم والاحساس وأصبح في حالة شاذة يجب أن ننقذه منها
أما كيف نشعره بانسانيته فيأتى ذلك بحماية الحد
الأدنى لمعيشة كل فلاح في مصر . فالمادة الأولى من
قانون رقم ٤ سنة ١٩٣١ تنص على أنه « لا يجوز توقيع
الحجز على الأملاك الزراعية التي يملكها الزراع الذين
ليس لهم إلا خمسة أفدنة أو أقل » إلا في حالات الدين
الممتاز وغرامات المحاكم والنفقات الشرعية ، وهذا
القانون قد أنقذ كثيراً من الأسر الريفية الفقيرة ، ولكننا
ننسى أن كل الزراع في حاجة إلى مثل تلك الحماية ؛ وأن
نزع ملكية من يملكون أكثر من خمسة أفدنة يعرض
أسرا لا عدد لها لذل الفقر وعار الافلاس والتشريد ، كما
أنه قد يكون سببا في نقل الملكية العقارية المصرية إلى
الأجانب أو تركيزها في أيدي طائفة من الأغنياء مع
أننا لانزال نئن من فقد التوازن في ملكية الأراضي بمصر
حيث يتضخم عدد كبار الملاك تضخما لا يعادله إلا تضخم
عدد صغار المزارعين الذين يملكون فداناً أو أقل
إن في هذا القانون اعترافاً ضمياً بأن خمسة أفدنة هي

الحد الأدنى لمعيشة الزراع واستكمال أسباب الحياة لهم ،
وإذن فمن الواجب أن يتكفل القانون بحماية خمسة أفدنة
لكل مزارع في مصر ، وإلا فستظل طائفة كبيرة من
المزارعين الذين يملكون أكثر من خمسة أفدنة (وعددهم
١٥٦.٠٤٧ مزارعا) أقول وسيظل هؤلاء مهددون
بالخراب إلى أن توفر لهم الأمن والطمأنينة

وعلينا أن نوفر للفلاح شيئاً من المال ، وستحرر مصر
بعد المعاهدة من قيود الامتيازات التي أذلتها حيناً من
الدهر ، وسيكون في استطاعتها أن تنال كسباً مالياً جديداً
من وراء ما ستفرضه على الأجانب من ضرائب ، وإذا كان
الفلاح قد ظل حتى اليوم الضحية الأولى للمأساة الامتيازات
فقد آن له أن يضع عن كتفه هذا العبء المرهق .

لقد كان الفقر الإجبارى الذى نفرضه عليه بقوة
الضرائب وتعدد ما يزيد فى إذلاله ويقذف به وراء
إنسانيته وإنسانية الناس جميعاً ، وكان عذر الحكومات
فى هذا الأرهاق أن يدها مشلولة عن الأموال الأجنبية
المكدسة فى مصر ، فكان على الفلاح أن يدفع كل شيء
ولا يأخذ شيئاً ، وهو مطمئن اليوم إلى أن حكومة الشعب

ستعمل على توفير شيء من المال له بتخفيض الضرائب
وتخصيص جزء من مال الفلاح لأصلاح الفلاح ، وبالعمل
على زيادة إنتاجه عن طريق النهوض بصحته ، وتشجيع
الصناعات القومية القائمة على الزراعة بحمايتها من المنافسة
الأجنبية ، حتى يزداد الطلب على المحاصيل الزراعية ،
وتخفيض أجور النقل وإيجاد أسواق خارجية لها وتعميم
الجمعيات التعاونية وتشجيعها ومساعدتها بالقروض الطويلة
الأجل المعتدلة الفائدة !

* * *

أما عن إصلاح نظام الحكم في القرية ، فلعلكم ترون
معى أنه لا يليق بعصر يسمونه عصر الحرية والنور ،
وأقرر هنا أن من دواعى انحطاط القرية ، تمتع العمدة
بمبدأ الديمومة في الحكم ، وهو مبدأ لا يتمتع به رؤساء
الجمهوريات والوزراء وأعضاء البرلمان ، كأن نزاهة
العمدة فوق كل شك وعدالته تسمو على الظنون .

والعجيب فى هذا النظام أننا نعى ذلك الحاكم المطلق
الدائم من أى شرط أو قيد ، حسبنا منه أن يملك عشرة
أفدنة ثم لا يهمننا شيء آخر

وأول ما أقرره هنا ، أنه ليس من مصلحة الفلاح أن
تنزع من يد العمدة كل السلطة رجاء أن يتحرر الفلاح
من سلطانه المستبد ، إننا حين نفعل ذلك ، كما تتجه النية
الآن ، نترك القرية لحكم الفوضى ، لأن الفلاح إن تحرر
من سيادة العمدة فسوف يخضع لسيادة أشد استبداداً
يمثلها الأشرار والمجرمون الذين يعتزون بفتوتهم ويحيون
حياة إجرامية متشردة !

نظام الحكم في القرية يجب أن يعتمد على المبدأ الآتي :
« أحسنوا اختيار العمدة أولاً ثم لا يضيركم أن توسعوا
دائرة مسؤوليته على أن تحيطوا مركزه بالضمانات الكافية
لحماية حقوق الفلاح .

فأما عن حسن اختيار العمدة ، فأساسه وجوب
مراعاة ما يلزم توفره في الحاكم من شروط تؤيد هيئته
لدى المحكومين وتعينه على ممارسة الحكم الصالح ، فلا بد
أن يعرف المرشح للعمدية القراءة والكتابة أولاً وقبل
كل شيء ، وألا يكون قد حكم عليه في جريمة مخلة بالشرف
وأن يملك عشرين فدانا على الأقل ليكون له من ثروته
الخاصة مورد كاف يغنيه عن استغلال صغار المزارعين

ويعنى من هذا الشرط من كان حائزاً لشهادة دراسة عليا
أو إذا لم يكن فى القرية من يملك هذا النصاب
ومتى أحسنا اختيار العمدة ، وجب علينا أن نحمله
مسئولية كبيرة فى إصلاح القرية واستقرار الأمن بها ،
لأن العمدة يمثل الحكومة فى القرية وهو الحاكم المباشر
لأغلبية السكان وفى إمكانه أن يقدم مساعدة جدية فى
الإصلاح الذى نرتجيه . فلنستغل نفوذه الكبير لأنقاذ
الفلاح من الحياة الشقية الالمية التى يتخبط فى ظلامها !
وعلىنا بعد ذلك أن نخطط مركز العمدية بالضمانات
الكافية لحماية الفلاح ، وفى مقدمتها تحديد مدة العمدية
بسنوات خمس حتى يحرس العمدة على الظفر بثقة القرية
وحتى يكون هناك مجال لابعاده إن فقد النصاب القانونى
أو إذا سولت له نفسه أن يسىء استعمال سلطته ، وأن
يستغل صغار المزارعين استغلالا ظالما !

ولكن كيف يختار العمدة ؟ لست أحب أن يخضع
هذا الاختيار لنظام الانتخاب المباشر ، لأن هذا النظام
يفسح مجالا للحقد والضغينة وفاحش الانتقام ، وأفضل
أن تترك مسألة انتخاب العمدة للمجالس القروية التى ألح

في وجوب تعميمها على أن تحدد بخمس سنوات يعاد بعدها الانتخاب .

ونرى أن يؤلف المجلس القروى من العمدة بحكم مركزه رئيسا . وأحد مشايخ القرية وكيلا وبقيتهم أعضاء ويضم اليهم صراف القرية وناظر المدرسة بحكم وظيفتهما وأعضاء يمثل كل منهم هيئة من هيئات القرية كالملاك والمزارعين والتجار !

هذا هو بجمال رأي في نظام الحكم القروى أعلنته مفصلا من قبل ، ولعله يظفر بشيء من التوفيق لدى اللجنة المشكلة لبحث هذه المسألة .

* * *

أنتقل بكم الآن إلى الشعبة الثالثة من شعب الإصلاح الاجتماعى ، وهى نشر الثقافة الزراعية فى الريف بأعداد برامج منظمة للاذاعة القروية يراعى فيها جهل القرويين وكثرة مشاغلهم ، وتشتمل على الارشاد الصحى والاقتصادى والزراعى ، مع شيء من القرآن الكريم والأغانى الربفية والقصص السهلة المسلية ، فيتطلع الفلاح إلى حياة أخرى ويحتال على تحسين طعامه بالاكثار من

أكل الحشرات والنظيفة والفواكه الرخيصة الثمن ، ويتقى الأمراض والحشرات بتعريض الفراش والملابس لأشعة الشمس المطهرة ، ويهتم بنظافة جسمه وثيابه ومنزله ، ويحتال على تنقية المياه بالزير أو الغلي أو الارساب حتى يتم للحكومة توفير المياه النقية في القرى !

ولنشر الثقافة الزراعية في الريف أرى وجوب تحويل برامج المدارس الإلزامية في القرى كلها وتحويلها إلى مكاتب زراعية أولية ، لأن ذلك النوع من التعلم النظري المركزي يفسد على الطفل حياته ويملؤه غروراً ويغريه بغيض الفلاحة والفرار من القرية القذرة .

ينشأ الطفل في بيئة زراعية فقيرة فيسوقه رجال الإدارة إلى المدرسة الإلزامية حيث يقضى خمس سنوات هي أخطر سنى حياته - لأنها عهد التوجيه - في خمول على المقاعد الدراسية يستمع إلى معلميه وهم يحشون ذهنه بمعلومات بعيدة عن البيئة التي سوف يحيا فيها ، ويشغلون وقته بمذكرات طويلة ونظريات علمية لا تقرب بينه وبين بيئته ، فإذا ما أتم الدراسة خرج إلى الحياة الحشنة التي تنتظره ، مسلحاً بشيء من الغرور الذي يعبث به ويفسد

عليه حياته ، فهو قد أصبح متعلماً يعرف الجغرافيا والتاريخ
والهندسة ، ويفهم معنى الشلن والفرنك والوتو ، ويعرف
إذا كان القمر في التربع أو في المحاق ، فيترفع عن مهنة
آبائه وأجداده ، ويكون مع أمثاله عنصراً خطراً ، فإذا
ما حاول أبواه رده إلى حظيرته الأولى ألقي نفسه عاجزاً
عن مزاوله الزراعة التي لم يستعد لها ، وللزراعة مرارة
لا يحملها من لم يتعود عليها ، وهي مهنة قاسية إن لم يتدرب
عليها الطفل صغيراً لم يستطع معها صبراً

مثل هذا التعليم الناقص النظرى يخرج لنا كل عام
آلافاً من الجهلة العجزة والمغرورين . ويفقد الطفل
بساطته ، ويملاً ذهنه بأوهام نظرية لا صلة بينها وبين بيئته
ونحن نقسو على الأطفال حين نفرض عليهم تعليماً
يباعد بينهم وبين بيئتهم . فتحملهم صراعا هائلاً بين غرور
التعليم الناقص وبين الحياة الفقيرة القدرة الخشنة التي
تنتظرهم في القرية .

ولست أملك الآن أن أفصل لكم نظريتي في التعليم
القروى وكيف يجب أن يكون ، لأنه بحث مطول أرجو
أن أوفق لإعلانه قريباً ، ويكفيني أن أشير إلى أن نظريتي

تعتمد على تحويل برامج المدارس الإلزامية في القرى وجعلها مكاتب زراعية أولية يراعى فيها تقارب بيتى الدار والمدرسة ، فلا يكلف الصبية بلباس خاص مثلاً ، بل يكتفى منهم بالنظافة ، كما هو متبع فى مدرسة بهيم التابعة للجمعية الزراعية الملكية ذات الأثر المشهود فى نهوضنا الزراعى . وفى هذه المكاتب يكون التعليم ذا شعبتين : شعبة نظرية يتعلم الطفل فيها الكتابة والقراءة والدين ومبادئ الحساب ، وشعبة عملية توجه الصبي توجيهها زراعياً صالحاً بدرس تربة مصر وجوها والآلات الزراعية وكيفية استعمالها ، وتغذية المواشى وانتخابها ، وتخزين المحصول وتسويقه والصناعات الزراعية ، وتدرس الفتاة القروية الطرق الصحية النظيفة لحلب اللبن وتخديره وصناعة منتجاته ، وتربية الطفل والنحل ودودة القز والماشية ، وبعض الصناعات الريفية الراجحة . وتدرس الصحة ومشاهد الطبيعة عملياً ، وكذلك تصبغ مادة التعاون بالصبغة العملية فيلحق بكل مكتب زراعى حقل للتجارب يخص جزء منه للتلاميذ حيث يتعاونون فى زراعته وتسميده وتسويقه واستثماره ، ويمدّن لهم أن يشتروا

الدواجن ويضعموها ويربوها ثم يختاروا أنسب الأوقات لبيعها ويقتسموا الربح الناتج منها . ومثل هذه الطريقة العملية على سذاجتها أعمق تأثيراً في الطفل من دروس المعلمين مهما تقننوا في إلقائها ، وأثبت في الذهن أثرهم استظهار البحوث الكلامية مهما أجهد المعلمون قرائحهم في إعدادها .

أيها السادة :

رأيتم الآن أننا لا نسرف في الخيال ونقسو على الميزانية حين نلح في وجوب المبادرة إلى : —

أولاً — سن قانون صريح يحمي خمسة أفدنة لكل مزارع في مصر لا لمن يملك أقل من خمسة أفدنة فقط ثانياً — توفير المال للفلاح يشعر بانسانيته عن طريق العمل على زيادة إنتاجه وتخفيض الضرائب بعد فرض ضريبة الدخل والتمتع على ألا نفكر أبداً في فرض ملزم جديد على صغار الملاك .

فان أعوزنا المال فلنلجأ إلى نظرية تدريج الضرائب بحيث ترتفع النسبة كلما ازداد العقار لأن من القسوة أن نفرض على مالك الفدان الواحد ضريبة بنفس النسبة

المفروضة على مالك آلاف الافدنة والذي قد يحار أحيانا
في كيفية إنفاق ما تراكم لديه من مال .

ثالثا : إصلاح نظام الحكم في القرية بإنشاء المجالس
القروية وإعطائها حق اختيار العمدة الصالح النزاهة الذي
يجيد القراءة والكتابة ويملك عشرين فدانا على الأقل

رابعا : إعداد برامج صالحة للإذاعة القروية وتحويل
برامج المدارس الإلزامية في الريف الى مكاتب زراعية

ولعلمكم توافقوني على أن الأمر لا يحتاج الى
المال بقدر ما يحتاج الى العزيمة وصدق الاهتمام
بالإصلاح

سادتي

الآن اسمحوا لي أن أذكركم بواجبكم نحو الفلاح ؛
وان أتحدث عن واجب الأغنياء والمتعلمين نحو ذلك
التعس المسكين .

تبرع أحد الأغنياء الأجانب في الاسكندرية بمبلغ
سبعة آلاف جنيه لمستشفى المواساة المصري ، وذكر ان
مصر موطنه الثاني فلها عليه حق الوطن ! وقد ذكرني
ذلك بالآلاف الأغنياء الذين ينسون أن مصر هي وطنهم

الوحيد . وان عليهم أن يؤدوا لها حق الوطن بالعطف
على يدها العاملة المنتجة

هناك بعيداً فى قبور الاحياء المجاهدين ، يحيا الفلاح
حياة لانرضاهما للحيوان ، وقد جاهد طويلا ليمهد لنا
العيش الطيب وليعد لنا الموائد الانيقة والآم وال
المتدفقة فيجب ألا يشقى فى أمة زراعية يقوم على أمرها
كبار الملاك الزراعيين

اذكروا أنها السادة حين تجلسون الى موائدكم
وتقبضون ايجار اراضيكم؛ الشبح الهزيل والجسم الشاحب
الذليل الذى يعمل فى الحقل جاهدا مجهودا - فليس النيل
وحده هو الذى يتيح لنا مانحن فيه من خير ، اننا نوجد
اليد العاملة التى تستغل الحياة الكامنة فى مياه النيل الغنية
العجيبة ، وكأنما ألهانا السحر العجيب الذى ينفثه النهر فى
صميم الصحراء فيحيلها جنة ناضرة ، عن ذلكم المخلوق
الذى أظهر عظمة النيل وأتاح السبيل الى تحقيق معجزة
وجود الجنة المصرية وسط الرمال القاحلة الصفراء !
فليتنازل كل غنى عن دخله من ضيعته عاما واحدا ،
ينفقه فى اصلاح الأجسام المهتمة التى تخدمه وتخلص له .

ويعمد آلاته الآدمية بالقوة والنشاط عن طريق الحياة
الصحية المعقولة ؛ فيزيد انتاجهم ويزداد ثروته .

اذكروا أيها السادة ، وليذكر معكم اغنيائونا جميعا ، أن
الوضع المعقول لنمو الثروة ، هو ان نصلح الفلاح لتنمو
تلك الثروة ، وان ننهض بحياته ليزداد انتاجه

أما زملائي الطلبة وشباننا المتعلمون فواجبهم يتركز
في انقاذ الفلاح من التفكير في حقارة مهنته عن طريق
العطف عليه والتقرب منه والاتصال به

لا تشعروا الفلاح بأن الزراعة مهنة وضيعة لا يحترف
بها إلا الأذلاء البائسون ، فالزراعة أيها السادة هي أساس
مجد مصر ، ولسوف يضطر أبنائنا في الغد إلى الاحتراف
بها ؛ فوظائف الدولة محدودة ومن المستحيل أن تتسع
لكل متعلم في البلاد ، وانما الزراعة هي التي تتسع لهم
فسيكون منهم نظار الضيعات وكتبة الدوائر ومديرو
الانتاج ؛ فحيوهم في الريف ، وامنحوا الفلاح العامل
شيئا من عطفكم وتقديركم

حين تذهبون إلى الريف ، لا تحتقروا الفلاح ،
وأسعدوه بعطفكم وزيارتكم لمنزله الحقير ؛ وهناك ارشوده

إلى الوسائل الفعالة لتهديب خشونة حياته وأنيروا ظلام
حياته بارشادكم وحبكم وتواضعكم !

٤ - نظام الاصلاحي

أيها السادة

كلمتي الأخيرة في اصلاح القرية ، هي أن الاصلاحي
يجب أن يخضع لسياسة منظمة يضعها كبار المتصلين
بشؤون القرية بعد طول الدرس والتمحيص ؛ والرأى
عندنا أن من الخير ، لابل من الواجب ، تركيز كل نواحي
الاصلاح في يد مجلس أعلى لاصلاح الريف تمثل فيه
وزارة الصحة والمالية والحقانية والمعارف والأشغال
والزراعة والداخلية ؛ ثم الهيئات الزراعية وعلى رأسها
الجمعية الزراعية الماسكية والنقابة الزراعية وجمعية خريجي
مدارس الزراعة ، حتى نأمن خطر الاندفاع في ناحية
من نواحي الريف وترك نواح غيرها في زوايا الاهمال ،
ولن نأمنه إلا إذا حرصنا على التوازن في الاصلاحي
للاندماج في البيئة الجديدة العزيزة التي نرجو أن تمدها
له حكومة الشعب في مصر الجديدة المستقلة

أيها السادة: إن مصر تتطلع اليوم إلى مستقبل مجيد ،
مسلحة بالكرامة والأمل والتفاؤل والتضامن؛ فلا يتوهم
أحد أنها مستطيعه أن تنال ما تطمع اليه من مجد ، وبين
أفرادها العاملين المنتجين؛ ملايين من الفلاحين ، يهيمنون
في حال نفسية ذليلة قاسية !

إنها تحتاز اليوم فترة عصيبة من حياتها ، فهل تراها
تطمع في النجاح إذا كانت - كأمة زراعية - تعتمد على
جيش من الفلاحين الأذلاء ؟

لقد أنهت المعاهدة جهادنا مع الانجليز ؛ فلنبدا جهادنا
مع الانحطاط الريفي والذلة التي فرضت على الفلاح ،
وليكن هذا الإصلاح سيما العهد الجديد

أيها السادة: الآن أنهى حديثي مرغمة ، لأترك لكم فرصة
التفكير في شقاء الفلاح ، وأمراض الفلاح ، وانحطاط
الفلاح ، وفقر الفلاح وذل الفلاح وإصلاح الفلاح .
وإذا لم أكن قد وفتت في عرض قضيتيه عرضا مفصلا مؤثرا .
فاني أرجو أن أكون قد كسبتكم أصدقاء لهذا الشقي المجاهد
وقربته من قلوبكم وظفرت له بكريم عطفكم واهتمامكم
وأسعد الله مساءكم

1871
The first of the year was a very
cold one, and the weather was
very disagreeable. The snow
was very deep, and the wind
was very strong. The ice was
very thick, and the water was
very cold. The people were
very much distressed, and
the government was very
kind to them. The people
were very grateful to the
government, and the government
was very kind to them.

السيرة امير فريسي وريضا

واجب المرأة بعد المعاهدة

١٤ يناير سنة ١٩٣٧

سادق . سبرانى :

قامت مصر بنهضتها الجديدة نحو الثمانى عشرة عاما
تناضل انجلترا ، وتستخلص استقلالها وتسترد مركزها
السياسى ومكاتها بين دول العالم . وقد أمضيت المعاهدة
بينها وبين حليفها العظيمة من بضعة شهور . وها قد
تحققت الرغبة واعترف لها باستقلالها والهيمنة على شؤونها
بنفسها . فهل هذا غاية الجهاد الوطنى أم بدايته ؟

سادق . إن الاستقلال ليس تحفة من التحف إنما
هو غاية الشرف الوطنى لأن الغرض منه تمكين البلاد
من الإشراف على أمورها بنفسها حتى تنهض بأهلها وتنشر
العلم والثقافة بينهم وترفع مستوى معيشتهم وتوفر لهم
الأعمال . وتوسع موارد الثروة الوطنية وتشعرهم بالكرامة
وتجعلهم شعباً حياً جديراً بأن يساهم بنصيبه فى المسؤوليات
العامة التى تعود على الإنسانية بالخير والفلاح .

فلاستقلال الذى نلناه إذن هو بداية مسؤوليات
جسيمة . فما هو نصيب المرأة وواجبها بعد المعاهدة ؟ من

المسلم به أن لا نهضة لبلد إلا بنهضة نساءها ، وأنه مهما ارتقى الرجل وارتفع مستواه العقلي وكانت المرأة جاهلة متأخرة فلا يلبث إلا وينحط إلى مستواها . وسارت الأمة إلى مهاوى الجهل والركود . والتاريخ شاهد بذلك .

تخيلوا أيها السادة أن بلاداً اهتمت بتعليم المرأة أكثر من تعليم الرجل بل اسبحوا الى أن أذهب في التخيل إلى أبعد من ذلك . وأفرض أنها أهملت تعليم الرجل . فهل تظنون أن مستوى الأمة ينحط وتدهور إلى الجاهالة ؟ أظن ذلك لا يكون . لأن المرأة المتعلمة الناهضة لا تسمح لبنيتها بالتدهور . وهي القائمة على شؤونهم وتهذيبهم وتنظيم معيشتهم وبث روح العلم والعمل في نفوسهم . أليست الأم هي أساس التعليم والدافعة بأبنائها إلى درجات الرقي فكيف يناههم الجهل أو يتسرب إليهم الانحطاط ما دامت هي المتعلمة الراقية ؟ إن التاريخ شاهد عدل فلم نر بلاداً عمها الفلاح وعظمت إلا بعد أن تعلم نساؤها وتبوأن مركزهن في الحياة الاجتماعية . ولذا يعز علينا أن تفرض بلادنا العزيزة التعليم الألزامي على الولد دون البنت .

فأول واجب إذن على المرأة أن تتقدم إلى الحكومة بعد
المعاهدة ملحة بفرض التعليم الألزامى على البنات أيضاً .
ولا نبالغ إذا قيل بتعذر إيجاد المال لفرض التعليم على
البنات أن نجيب بأنه يجب فرض التعليم على البنت أولاً .
وبشرط أن يكون تعليماً عملياً يساعدها على ممارسة أعمالها
وتربية بناتها ولاثق ببيئتها حتى لا تخرج عن وسطها
في يوم ما .

وماذا أيضاً في تعليم البنت ؟ نرى الآن أنها تتعلم
كتعليم الولد . وهذا شطط غريب ، فنجدتها تخرج من
المدرسة جاهلة لواجباتها المنزلية غير مؤهلة للقيام بعملها
الذي خلقت له . أليس هذا نقصاً معيباً في تربية البنت ؟
ولسكن أئني للرجال أن يضعوا البرنامج الصالح وهم
لا يشركون المرأة معهم إذ هي أدرى بما تحتاج إليه بنات
جنسها . فهي مديرة المنزل ومربية الأبناء وهي القديرة
على معرفة موطن الضعف والقادرة على وصف الدواء .
أليس من الواجب أيتها السيدات أن نطالب حكومتنا
السنية باشتراكنا في لجان وضع المناهج وتنظيم التعليم
للبنات ، فنحن بخبرتنا البيئية يمكننا مساعدة رجال المعارف

في توجيه التعليم إلى الغرض المقصود منه . نعم هذا واجب ولا يصح أن تتوانى في المطالبة به .

انظروا إلى مجالسنا البلدية ونحوها يديرها الرجال . وأى إدارة ؟ الأحياء الوطنية موحلة قدرة ، شوارعها غير منسارة ، تنبعث منها الروائح الكريهة ، جوها مليء بالجراثيم الفتاكة ، بينما غيرها من شوارع نفس المدينة منسارة نظيفة مرصوفة تتخللها المجارى وعمال النظافة لا يفارقونها . ومن الغريب ان كلا من الأحياء المار ذكرها قائم بدفع ما عليه من الضرائب على قدم المساواة . وكل هذا لأن الرجال منهمكون في أعمالهم الخاصة ينظرون إلى الأشياء نظرة واسعة شاملة مهملين التفاصيل بخلاف المرأة التي تعودت أن تنظر وتدقق في الصغيرة والكبيرة مما اكتسبته من إدارة بيتها أو مملكتها الصغيرة فعليها إذن أيتها السيدات أن تطالب بكراسينا في بلدياتنا ومجالس مديرياتنا حباً في الوطن وبنية

اتجهوا معي أيها السادة إلى الاسكندرية ذلك الشجر الجميل بل وعنوان هذه البلاد ، ولا يخفاكم أن الكتاب يقرأ من عنوانه . فقد انتشر الناموس فيه في السنوات

الأخيرة انتشاراً مريعاً ، وكادت الميلا ربا تفتك بأهله
لولا رحمة الله الذى وقاهم شر هذا المرض الخبيث .
والسبب فى كل ذلك ان البلدية أرادت من عامين الاقتصاد
فى صرف المواد الكيميائية وتطهير البالوعات ومجارى
المياه ونحوها . فهل لو كانت السيدات مشتركات فى
عضوية المجلس أ كن يسمحن بهذا التقصير ، وهل كن
يسمين هذا اقتصاداً ؟

ـ ادى ـ

ما قولكم فى هذا المنظر المريع المسىء الى سمعة بلادنا
وهو منظر المتسولين . فكم يضايقون المارة ويطاردون
الغرباء حتى نفر بعض الناس من زيارة بلادنا الجميلة .
أليس جدير بالحكومة أن تشدد فى تنفيذ قانون التسول
مع إنشاء الملاجىء لذوى العاهات وتجبر الأصحاء على
العمل . وتساعد الجمعيات المهتمة بسد حاجة المعوزين . فلا
نرى فيما بعد أطفالا حفاة عراة يهيمون فى الشوارع ليل
نهار . لا مأوى لهم . يفتشون الغرباء ويلتحفون السماء .
يفتك بهم البرد القارس وتنتابهم الأمراض المعدية كالسل
ونحوه . ويكونون سبباً فى انتشار مثل هذه الأمراض

المميتة . ومن الاحصائية العامة للأمراض الصدرية نجد
أنها آخذة في الانتشار بشكل مريع . أليس من الجائز
أنه لو اعتنى هؤلاء المتشردين أن ينشأ منهم رجال نافعون
بدل رجال أمراض أو إجرام ؟

وما قولكم أيضاً في مسألة البغاء . وغلق بيوت الدعارة .
الامر الذى ترفع أديان الشرق وآداب الشرق عن اباحته .
ان من الواجب إيجاد المشاغل والمصانع والمآوى لهؤلاء
البائسات . حتى لا يحتجن الى العودة لمثل تجارتهن المشينة .
وهل يوجد أصلح من النساء للقيام بهذا العمل المجيد .
لانقاذ هؤلاء التعسفات من الفساد وإنقاذ البلاد من أمر
مشين لا يليق بأدائها ودينها .

ما قولكم فى الراقصات وكما يقولون الأرستات
اللواتى يستخدمن أصحاب الملاهى فى الغواية وفتح
زجاجات الخمر إلى ساعات متأخرة من الليل . ويسقن
إلى هذا العمل بحكم المعيشة فيسلبن الرجال المال والشرف
ويخربن البيوت العامة إرضاء لمطامع مخدومهم . وهذا
معروف ومشهور . أما أن الألوان لسن تشريع يحرم
فتح هذه الأماكن إلا لساعات معينة مع المراقبة الشديدة

لمنع الضرر وحفظاً للصحة والأخلاق . ألم يفعل ذلك كمال
أتاتورك والسنينور موسولينى ؟ اذهبوا الى روما والى
اسطانبول كى تحققوا بأنفسكم أن مثل هذه المحال أصبح
فى خبر كان . فمن الذى يطالب بهذا التشريع أهو الرجل
أم المرأة التى تشفق على بنات جنسها فتعمل على حمايتهن
ثم تخشى على بعلمها وابنها من هذه الأوساط فتعمل
بكل جهدها على إزالتها ؟ فواجبك أيتها المرأة أن
تطالبى وتطالبى بسرعة سن هذا التشريع . ولا تسكتى
حتى تنالى رغائبك .

أين نوادينا الاجتماعية العديدة أيتها السيدات التى
تلقى فيها المحاضرات العلمية والأدبية والأخلاقية وتجتمع
فيها الشباب ليتداولن ويفكرن ويتحادثن فيما يرقى
مستوى البلاد ؟ فأننا نرى فى بلاد العالم المتمدين كالولايات
المتحدة مثلاً نوادى عدة متوفرة فيها كل أسباب الراحة
والتسلية والتثقيف والتهديب وأما كن للمبيت والاقامة ،
النوادى هناك تشهد بحياة المرأة وعملها النافع فى الامور
الاجتماعية والسياسية والتهديبية . فكم عندنا من هذه
النوادى وما هو حظها من تعضيد الحكومة والأفراد .

قد أنشأنا نادياً يقوم بمثل هذه الأعمال . وهو نادى
الشابات المصريات . فيه تلقى المحاضرات وتعطى دروس
فى الطهى والرسم والموسيقى وغير ذلك ، وبه غرف
لايواء الزائرات للقاهرة من شابات الأقاليم ونحوها بأجر
زهيد لا يتعدى الخمسة قروش فى اليوم . ويتبعه مصيف
برمل الاسكندرية بسيدى بشرغاية فى الظرف والفائدة ،
فأين التعزيد وأين المساعدة لهذا المشروع النافع ؟ ألم يكن
من اللائق أن نبني له داراً تليق بكرامة السيدة المصرية
وأن يكون لنا فى القاهرة عدة نواد وكذا فى الاسكندرية
وسائر حواضر القطر الأخرى ؟ أين بناتنا ونساؤنا لماذا لم
يعملن فى الامور الاجتماعية عوضاً عن صرف أوقاتهن
فى الملاهى واللعب وصرف الوقت سدى ؟ .

سيداتي الفاضلات : إن حياة بلادكن فى أيدىكن ، فاذا
صرفتن أوقاتكن فى النافع الجميل كسبتن أنفسكن
ووجدتن السعادة الحقيقية التى لا تكون إلا فى خدمة الغير
وهذا هو الاستقلال الحقيقى . فمصر تطالبكن
بأوقاتكن وعقولكن وقلوبكن . وميدان العمل فيه
متسع للجميع ومحتاج لخدمة الجميع ، فاذا نويتن أن تقدمن

لمصر من قربان ، سلمن مصر قياد كن ورغبتكن فى خدمة
هذه البلاد العزيزة . ومكن من أنفسكن الغيرة على هذه وحب
النهوض بشؤونها . وفكرن جدياً فى احتياجاتها الحيوية ،
وكرسن أوقاتكن للعمل لها كل بحسب طاقتة فتجدن كنزاً
عظيماً وقوة كبيرة تغنيكن عن المال الوفير لتحسين أحوالها .
فمصر محتاجة لمجهود كل فرد وهى تدعو كن للعمل اليوم .
أريد منكن أيتها السيدات جيشاً جراراً يتعلم تربية
الطفل وقواعد الصحة العمومية حتى تخرجن إلى الأرياف
وكل القرى فتفتحن فيها المستوصفات وتعلمن الأمهات
الاعتناء بأولادهن . فمنها المستوصفات المركزية ومنها
المتنقلة حتى يراعى فيها الاقتصاد .

نريد أن نساعد حكومتنا الرشيدة فى كل ما يعود على
البلاد من النفع والاصلاح فطالبن باشتراككن فى ذلك
وتولين بأنفسكن قسم الاصلاحات الاجتماعية .
نرى فى بلاد الغرب أن هذه الاصلاحات لم تتم إلا
بمجهود المرأة وذلك ما جعلن يطالبن بشدة بحقوقهن
السياسية حتى يدخلن فى التشريع والتنفيذ ما تحتاج اليه
البلاد من ذلك .

ما لم يأن الأوان أيتها المصرية أن تدركي أن حقك
 السياسى هو حق مقدس يدعوك أن تتحملى المسؤوليات
 التى تقع عليك كنصف نافع من الأمة المصرية وربما
 يعترض الرجال على إعطائك حق الانتخاب وإخا لهم
 يقومون فى وجهك قومة شعواء ويتحلون بعض العذر
 فى ذلك بدعوى أن الأمية منتشرة بنسبة أكبر بين النساء
 فى مصر (وهذا يرجع اليهم طبعاً) فلا يليق إعطاؤهن
 حق التصويت ، فقولى لهن ابدأوا باعطائه للتعلمة فينا غير
 الأمية وهى أصلح بمراحل من الرجل الأمى القروى
 الذى يتمتع بهذا الحق دون امرأة مثل أم المصريين أو
 السيدات هدى شعراوى أو شريفه رياض أو روجينه
 خياط أو غيرهن من نساء مصر العظيمات ، فهل يليق أن
 تحرم مثل هؤلاء السيدات من تحمل مسؤولياتهن السياسية
 لا لسبب إلا لأنهن نساء . أليس هذا إجحافاً بحق المرأة
 وانتقاصاً من قيمتها وحرماناً لهذه البلاد من الانتفاع
 باختبراتها وأفكارها وأمانها لبلادها المحبوبة . أليست
 هى المتصلة بأساسات الحياة فى البيت والمعيشة والأعلم
 بما يحتاج اليه المجتمع من إصلاحات . حملوها مسؤوليتها

وأشركوها معكم فتجود بأحسن ما لديها خدمة لكم وللوطن
نشكوا بظالة شبابنا المتعلم، ولم ذلك؟ لظنا أن التعليم ما
هو إلا وسيلة إلى الوظيفة، وما التعليم إلا وسيلة تجعل
في المرء قدرة على اتقان العمل. فإذا لا يكون بيننا الطاهي
المتعلم والسواق المتعلم والمزارع المتعلم والعامل المتعلم
والجندى والشرطى وغيره وغيره من أنواع العمل الشريف.
تستमितون في طلب وظائف الحكومة والمرتب الذى
يرضى به حامل البكالوريا لا يتجاوز مرتب أى عمل من
هذه الأعمال، فيجب تقديس العمل أيا كان نوعه كما نشاهد
في بلاد المتمدنين. ولذلك لا يوجد في تلك البلاد فارق
بين الطبقات. فالخادم محترم كالسيد والخادمة محترمة
كالسيدة لأن الكل متعلمون مهذبون. وهذا ما يجب أن
يكون عليه المجتمع. وماذا أنت فاعلة أيتها البنت لمستقبل
حياتك؟ لأن الوسط قد تغير كثيرا، فالثروات لا تتوافر
لكل الناس. وتكاليف المعيشة قد ازدادت جدا
لأنصرفنا إلى اقتباس التمدن الغربى. فكيف اذن نوفق
بين مواردنا ومطالب الحياة. أليس هذا هو السبب
الرئيسى فى امتناع معظم الشبان عن الزواج. فكيف

نوفق بين هذا الظاهرة الاجتماعية الخطرة وموارد
الشبان الضئيلة ؟ الحل الوحيد هو أن تشتغل البنات
بجوار الولد فيعمل الاثنان ويتعاونوا على الحياة .
ولربما اعترض البعض على ان ابواب العمل محدودة فلا
تسع للجميع بدليل العطلة الفاشية بين الرحال . والجواب
على ذلك ان الزراعة أصبحت في مصر لا تكفي وحدها
لسد حاجة البلاد . فيجب تأليف الشركات وفتح المصانع .
واستغلال الثروة المخبوءة . لماذا هذا البطء الغريب
في توليد الكهرباء من مساقط مياه خزان اصوان
واستخدامها في إدارة المعامل والمصانع واستخراج الحديد
والاصباغ كما قال بذلك وزير المالية والاشغال . وحينئذ
توجد الفرصة الملائمة لتشغيل البنين والبنات . ان بلادنا
تغنيها زراعتها عن مشتري المواد الغذائية من الخارج
وتقوم بجانب الزراعة الصناعية لجديرة برفع مستوى
معيشة أهلها وزيادة مقدرتها على الاستهلاك

فمصر سعيدة بجوها الصافي المعتدل وغنية بتربتها
الخصبة وبأبنائها الاصحاء فماذا يؤخر نهضتها وعظمتها
ورقيها ؟ إنى أريد أن تتعلم البنات عملا ولا تكون عالة

على أهلها أو زوجها . فطالبين بالأعمال وتوظيف
الأموال .

سادتي : من الأمثلة على خدمة المرأة لمجتمع أن
سيدة أمريكية تقيّة لما رأّت تعاسة السجينات وعرفت
أن موطن الداء في تسرب ضعف الأخلاق إلى بعض
النفوس وكانت تعرف أن الغرض من السجون تهذيب
لا تعذيب ، أوجدت سجنًا بلا سور ولا أبواب من حديد
وما شاكل ذلك . وأوجدت به كل أسباب الرفاهية
للسجينات . وبجواره الحقول والمعامل وتعليم السكى ،
والغسل وغيره من الصناعات النسائية وترك السجينات
يتعلمن بأنفسهن المحافظة على القانون والنظام وأوهمن
أن الثقة بهن عظيمة فلم تفر إلا بعض النساء بما لا يذكر .
وتربت بذلك فيهن الثقة بالنفس ومتانة الخلق .
وتعودن المحافظة على القانون وقد شاهدت ذلك ، بنفسى
وعجبت جداً . أليس جدير بنا ياسادتي أن نسعى سعيًا
حثيثًا على تكوين الأخلاق وإيجاد الثقة بالنفس بين
البنين والبنات . ونطالب بنظام السجون حسب ما هو
موجود ببلاد الحضارة والمدنية .

أسمع الآن ضجة عظيمة عن التسليح وضرورة
التسليح . وذلك لأننا نرى الغرب يتنافس في تكديس
آلات الهلاك والدمار، وكل حكومة ترهق شعبها بفادح
الضرائب . نعم وإن كان الدفاع عن النفس أمر مشروع
وواجب ، إنما بطريقة التفنن في آلات القتل والتخريب
وإرهاق النفوس والاعتداء على حرية الغير كما يفعل
الغرب النهم فلا . ويكون الغرب والحالة هذه بشس
القدوة . إن التسليح المبالغ فيه ماهو إلا شر ووبال على
الإنسانية وسيئة من سيئات هذا الزمان . وأساسه
التكالب على المادة . وقد استعبدت أوروبا لاله الحرب .
واستخدمت جميع قواها الجهنمية وهذه دسيسة
كبرى يراد بها إرهاب الشعوب . وقوة
تعمل في الخفاء على إخضاع الأمم وسلب مواردهم .
فما الذي يضطرننا نحن إلى مجاراتهم؟ فهما تسليحنا فلا يكفينا
ما عندنا ولا بد من المزيد . فلماذا إرهاب البلاد؟ يجب
أن نعمل للسلام ونزرع السلاح . وخصوصا ونحن في
أشد الحاجة الى نشر التعليم والأعمال الصحية وتنمية
الصناعة والتجارة وإيجاد العيش لأولادنا . اننى أرى أنه

سيأتي يوم وليس هذا بعيد ، تباد فيه كل هذه التسليحات
وتصبح في حيز العدم ، ففي هذه الحالة لا يمكننا استرداد
ما انتابنا من خسائر . ليس لنا مطامع استعمارية ونحن
لا نغادى أحدا وبلادنا مفتوحة لكل زائر كريم ،
فلماذا نلتجئ إلى سلاح غير الصداقة والمسالمة لكل
الشعوب . نعم من الواجب أن تكون الخدمة العسكرية
ببلادنا اجبارية لا لزيادة الجيش زيادة كبرى ، بل لأجل
التدريب العام حتى يتمكن كل شاب من صرف سنة أو
أكثر لفائده الجثمانية الرياضية ، وهذا يساعد أيضا على
تهذيب الفلاحين وتدريبهم على الطاعة والنظام في معيشتهم
ويكون السكل جنودا نافعين إذا احتاجت اليهم البلاد ،
ولا نمانع في زيادة قوة الدفاع الجوي بقدر محدود . لا كما
تفعل أوروبا فنقع في الحيرة والارتباك والافلاس .
عليك أيتها المرأة المصرية ان تقومي بعمل آخر عظيم
النفع . وهو انماء الفضيلة في بنات وابناء جنسك
ومدهم بحياة روحية سامية . فالتعاليم الروحية
ماهى إلا مرآة النفس المهذبة يرى فيها كل امرئ
ما وصلت اليه نفسه من الروحيات ، فهل وطدت النفس

أيتها السيدة على التحلى بالفضيلة والتأمل فى هذه الأمور
 مليا . وتسعى وراء الخدمة النافعة الخالية من الأنانية والفخر
 وحب الظهور الكاذب حتى تكتسب حياة روحية عالية
 فتفهمى تعاليم دينك وتتدبرى معانيها . وهل لك أن تسعى
 فى بثها فى غيرك حتى تنتشر مبادئ الفضيلة والكمال وتصير
 جزءا من الحياة المصرية العامة . كانت هذه الصفات القيومية
 منتشرة بيننا فى زمننا الغابر وكانت أظهر مظهر فى أخلاق
 الأمة المصرية القديمة ، فكيف تخلينا عنها ونحن نعيش
 فى ظل الاديان السماوية ؟ أليس هذا مما يدعو الى التأمل
 والتفكير ؟ نعم بقليل من التأمل يمكننا أن ندرك سبب
 هذا اذا رجعنا الى تعاليم مصر الفرعونية وقرأنا أقوال
 حكمائهم التى فى أحكامها تشبه أقوال سليمان ملك اسرائيل .
 فهذه الحكم كانت تتحكم فى أخلاق الشرق . فى العصور
 الأولى . ولكن بالأسف لما قلدنا الغربيين واقتبسنا قشور
 مدينتهم وتركنا عاداتنا وتعاليم أدياننا وأقوال حكمائنا
 وجدنا أنفسنا بلا تعليم صحيح يحكم تصرفاتنا فى الحياة ،
 فالأجدر بنا ياسيداقى بحث الأمر بلا توان وتتخذ لأنفسنا
 طريقاً بأن نعيش بحسب ما تأمرنا به كتبنا المنزل ونبنى

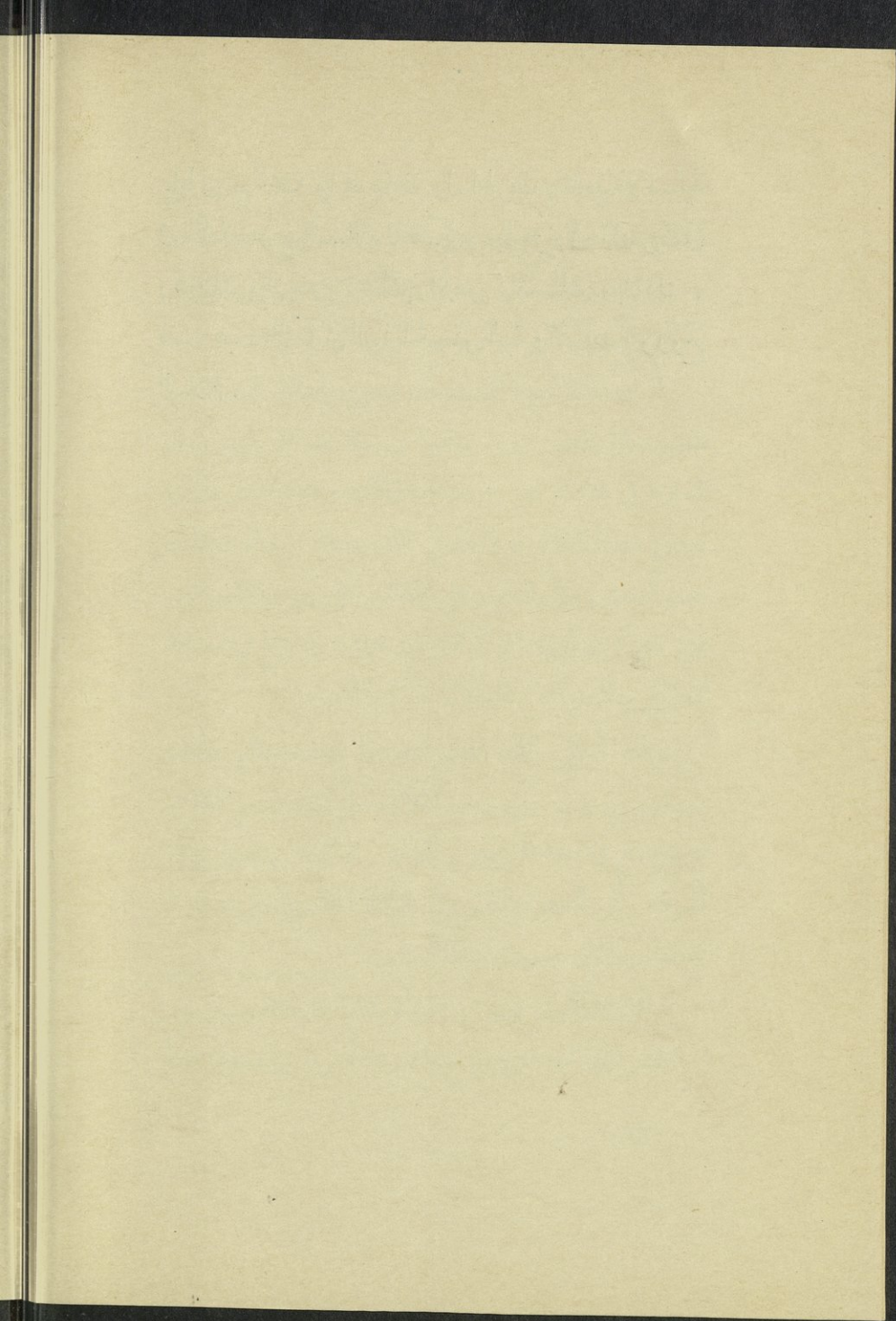
تعليمنا على الفضيلة وحسن الخلق . فيترى أبنائنا على الكمال ويشبون على حسن المعاشرة . أليس هذا الأمر جديراً باهتمامك أيتها المرأة ، فالأخلاق هي كل شيء في الحياة ، وهي أساس الحرية وأساس الاستقلال .

أريد منك أيتها السيدة أن تهتمى برسالة السلام . فقد وصلنا بفضل روح سامية ورغبة صالحة أن نوطد السلام في بلادنا العزيزة بعد انشقاقات ومناضلات كادت تودي بحياة البلاد لولا فضل الله وهداه . وقد أعطت مصر أحسن مثل للعالم ، على التغلب على روح الخصومة ، فهل تدركين أيتها المرأة أن بث هذه الروح ورسالة السلام ينطت بك ، فقد قال الله في الزبور :

« الله أعطى كلمة المبشرات بها جنود عظيم ملوك جيوش يهربون يهربون . الملازمة البيت تقسم الغنائم ثم يتوسع في هذا الزبور ويقول . « ان من مصر يأتي الشرفاء أو السفراء ليتتهروا جماعة المحاربين ويشتوا الشعوب الذين يسرون بالقتال » .

فيآليتها تكون جيوش المرأة الصالحة المقدسة هي التي تنشر كلمة الله فتد روح الشر والمخاربة وتضع عوضاً

عنها روح المحبة والخدمة فتزول الحرب وتتحد الانسانية
في اقامة صرح السلام . ففكرى يا عزيزتى المصرية فى
رسالتك وارجعى تراثك وانمضى بنفسك وبلادك .
فقد وهبت أن تترثى العالم بالخدمة والمحبة والتواضع وروح
السلام .



الدكتور محمد زكي شافعي
مدير المكتب الفني بوزارة الصحة

دائمتنا الصمى بعد المعاهدة

٢٤ ديسمبر سنة ١٩٣٦

سيرانى . سادنى

إننا إذا أردنا أن نرسم الخطة لأداء أى واجب من واجباتنا فى العهد الجديد ، عهد الاستقرار ، عهد الطمأنينة ، لكى يقوم كل مواطن بواجبه بهمة وغيرة ، وجب أن نستعرض حالنا الحاضرة ونتبين أوجه الفساد فيها فتمحوها وأبواب النقص فنستكملها ، فقد فتح بالمعاهدة مصطفى زعيم الأمة باب العمل لمصر ولخير مصر على مصراعيه ، وأصبح الآن لا عذر لمتوان أو لمتكاسل ، فكل منايجب أن يضطلع بنصيب فى النهضة حتى تدعم المعاهدة بالعمل المنتج الذى يرفع عماد بلادنا لتتبوأ مركزاً عالياً بين الدول . فالعزة القومية والذاتية الدولية لا تنشأ إلا بالأفعال ولا يسمو بهما التواكل . بل نحن فى حاجة إلى الأفعال والرجال الأشداء الذين تنهض الأمة بفضل ثمار عقولهم وصلابة أعوادهم ..

وكيف يكون ذلك أيها السادة ؟ لا يكون إلا بالصحة الجيدة وتوفيرها للأمة أفراداً وجماعات ، فالصحة هى

الاساس الذى تبنى عليه كل آمالنا ومحط رجائنا، ولحسن
حظ مصر ان زعيم الأمة الذى قادها إلى بر الاستقلال
هو نفسه الذى بيده دفة صحتها العامة ، وعليه تعقد الآمال
فى رفع مستواها للجيل الحاضر ، وإعداد العدة للجيل
التالى ليبدأ أفراد حياتهم أصحاب فى بيئات صحية ، وهذا
هو أتم ميراث يقدمه أبناء الجيل الحاضر لمصرنا العزيزة
لتحيا قوية مرهوبة الجانب .

وبناء على ذلك كان لزاما علينا فى الوقت الحاضر أن
تكون لنا سياسة صحية قومية ثابتة يتوارثها الخلف عن
السلف يشيد أركانها كل من تولى أمرها وتسلم ذمامها .
فتلاحق أجزاءها فى أثر بعضها ، فلا يهدم أحدا ما بناه
الآخر ، ليقال انه فعل ، وإلا كان سيرنا على غير هدى
وعملنا إلى غير غاية ، وكلنا نعلم ان الغاية هى الحافز فى كل
الاعمال إلى الوصول للمثل الاعلى

السياسة الصحية القومية - أيها السادة - يجب أن
ترتكز على أساسين عظيمين :

الأول : توحيد الجهود التى تبذل فى شأن الصحة
العامة بأن تكون كحلق متواصلة بمعنى انه يجب وجود

صلة وتبعية بين الذين يعنون بصحة الانسان في جميع
أدوار حياته ، وكذلك بين هؤلاء والبيئة المشرفة على
رسول الصحة وهو طالب الطب ، الذى يهم رجال الصحة
من الوجهة الصحية أن يكون مزودا بما يؤهله لكشف
الأمراض من بدء ظهورها ، أى فى الدور التى تكون فيه
المساعدة على تشخيص المرض تافهة أو معدومة بواسطة
التجارب العملية أو غيرها كالادوات الاختصاصية ، كما يهمهم
أيضا أن يعلم كيف يمارس الطب الوقائى فى أثناء ممارسته
للطب العلاجى ، فيوفر على الافراد وقتا يضيع هباءا وعلى
الامة نقصا فى قوة مجهودها وضياعا فى مالها .

وأما الأساس الثانى للسياسة الصحية القومية ، فهو
رفع مستوى قوة الفرد وبالتالي المجموع لمقاومة الأمراض
وذلك بالعناية بصحة الفرد السليم والمريض على السواء ،
سواء كان ببناء جسم الفرد أو الوقاية من الأمراض
والتقضاء على مسبباتها ومنع انتشارها .

الحالة الصحية الحاضرة

ولنستعرض - أيها السادة - الآن حالتنا الصحية الحاضرة لنسترشد بها في واجبنا الصحي بعد المعاهدة . بلغ العدد التقريبي لسكان القطر المصرى في يوليو سنة ١٩٣٥ ٦٤٠١٤٠٠ نسمة ، وبلغت نسبة التوالد ٣٩٤ فى الألف من السكان يقابلها ٤٥٩ فى الفترة من ١٩٠٦ - ١٩١٠ أى منذ ثلاثين سنة مضت

وبلغت نسبة الوفيات فى سنة ١٩٣٥ ٢٥١ فى الألف من السكان يقابلها ٢٧ فى الألف فى الفترة من سنة ١٩٠٦ الى سنة ١٩١٠

وبلغت نسبة الوفيات فى الاطفال سنة ١٩٣٥ الذين تقل سنهم عن سنة ١٦٠٦ فى الألف من المواليد ، يقابلها ١٤٤ فى الفترة من سنة ١٩٢١ إلى سنة ١٩٢٥ أى من ١٥ سنة

وبلغت نسبة التوالد فى الحضر «أى المدن أو البنادر» فى سنة ١٩٣٥ ٤٢٥ بينما كانت فى الفترة من سنة ١٩٠٦ إلى سنة ١٩١٠ ٤٩٤ ونسبة الوفيات ٢٧٧ و٣٩١ على التوالى

هذا ونسبة الوفيات في الرضع لكل ألف مولود في
الحضر في سنة ١٩٣٥ ٢٥٢٢٠ بينما في الفترة من سنة
١٩٠٦ الى ١٩١٠ كانت ٢٩٦

فيتضح من هذه الارقام ان نسبة التوالد في القطر
بأجمعه في نزول ، والوفيات أيضا في نزول ، غير ان نسبة
وفيات الرضع في القطر في تكاثر . ورغم انها في نزول
في المدن والبنادر ، وفي الواقع انها لنسبة عالية جدا .
فتصور ان كل مائة مولود في القطر توفي منهم في السنة
الأولى من عمرهم ١٦ في القطر قراه ومدنه وعشرون في
المدن والبنادر

بينما تجد ان نسبة وفيات الرضع لكل ألف مولود
في سنة ١٩٣٥ بسدني بأستراليا ٣٥٦١٦ وفي شيكاغو ٤٠١
ونيو يورك ٤٧٦ ، وفي فارسوفيا بولند ١١٧٣٠ ، وفي
لندن ٥٧٩ ، وفي ميلان ٨٩٥ ، وفي باريس ٦٦٦ ،
وبرلين ٦٣٦ ، والقاهرة ١٩٠٥ ، وبومباي ٢٤٥٦ ،
وهذه كلها مدن يزيد تعدادها عن المليون . فاذا استثنينا
بومباي كانت عاصمتنا في المقدمة
هذا ولا يفوتني أن أذكر أن نسبة التوالد في القاهرة

فى سنة ١٩٣٥ ر١٠٤ فى الالف ، أى انها الأولى فى كل
هذه المدن حتى بومباى التى نسبة التوالد فيها فى السنة
المذكورة كانت ٢٩٠٦

فهل نكل الأمور لحضرية أمتنا فقط ونترك فلذات
أكبانا يقضى عليها ونحن أحوج ما نكون لأطفالنا لنزود
بهم رجالا عن حياضنا .

ان عدد من خسرهم الأمة منهم فى سنة ١٩٣٥ هو :
١٠٣٧٢٩ مولوداً . وأهم أسباب وفاتهم الاسهال والنزلات
المعوية ، ويلها الضعف الخلقى فالنزلات الشعبية

ولنوازن بين نسب الوفيات بمدينة القاهرة وبعض
المدن الاخرى فى سنة ١٩٣٥ لتتعرف مدى ما يجب علينا
عمله من الجانب الصحى فى رقى الأمة ، فنسبة الوفيات
العامة فى سدنى ١٠ لكل ألف من السكان ، وفى شيكاغو
١٠٠١ ، وفى نيويورك ١٠٠٣ ، وفى فارسوفيا ١٧٨ ،
وفى لندن ١١٤ ، وفى ميلان ١٢ ، وفى باريس ١٢ ،
وفى فيينا ١٣١ ، وفى القاهرة ٢٤٣ ، وفى بومباى ٢٥٢
فعاصمتنا الثانية فى نسبة وفياتها لعدد سكانها .

وانى لا أبغى محاولة لتحليل هذه الاحصائيات لا إجمالاً

ولا تفصيلا ، لأن المجال ليس مجال ذلك ، وإنما أردت
بذكرها أن أجعلكم تلمسون الحالة بأنفسكم - وإن كانت
سائرة في طريق التحسين - لكي نعمل شعبا وحكومة
على السعى إلى الاحسن بكل وسيلة ممكنة .

الادواء التي تشكو منها الامة

إذا تركنا الأمراض الوبائية جانبا وهي غالبا تحتاج
أجزاء الكرة الأرضية في موجات دورية تقريبا أو
موسمية ، فإن أكثر الأمراض إصابة لأبناء شعبنا في كافة
الأسنان هي الأمراض الطفيلية ، وأهمها البلهارسيا
والانكلستوما . وقد بلغ عدد الذين قصدوا وحدات
الوزارة التي تعالج هذه الأمراض في سنة ١٩٣٥ من
المرضى المستجدين ٧٥٩٧٣٥ مريضا وذلك بزيادة ١٤ في
المائة عنهم في العام السابق . هذا مع العلم بأن نسبة الإصابة
بالبلهارسيا تبلغ حوالى ٧٠ في المائة من نسبة السكان .
وقد وصلت في بعض القرى الى ٩٥ في المائة ، وناهيك
بما تفعله هذه الأمراض ومضاعفاتها في الأجسام ، وما

يتسبب عنها من نقص في الكفاية الجثمانية والعقلية وما
تخسره الأمة من جراء ذلك .

ولا نغفل عن ذكر أمراض كالأمراض الصدرية
والاحصاءات عنها لا تزال في بداءتها ، ولكن لا نشك
مطلقا في انها كثيرة

وأما الأمراض الرممية فقد عولج منها في سنة ١٩٣٥
١٠٣٤٩٨٦ مريضا مستجدا بزيادة ١١ في المائة من السنة
السابقة ، وكانت نسبة فاقدى بصر عين واحدة أو اثنتين ٦
في المائة . ووجد ان نسبة الاصابة بالرمد الحبيبي بين
تلاميذ المدارس الذين كشف عليهم ٩٩ في المائة

وهناك الامراض التي خطرها يتعدى المرضى إلى
اسلمهم كالأمراض الزهرية والأمراض العقلية . ففي سنة
١٩٣٥ عولج في ١٧ وحدة ٨٢٧٨١ حالة . وبلغ عدد
لزيارات ٦٢٥٤٤٢ فما بالك لو كان عدد الوحدات خمسين
أو مائة ، وتأمل انه كان بين هذه الحالات عدد ١٠٤٢٤
مريضا ذكرا أعمارهم دون السادسة عشرة سنة و١٢٠١٨
أناثا . أليست هذه حالة جدية بالاسراع في العمل
لملاقاتها ؟ ومن مجموع هذه الحالات جميعها ٩٣١١ حالة

زهري بين الذكور و ٨٦١١ بين الاناث .
وأما الأمراض العقلية فيمكن أن أذكر أن عدد
المرضى الذين أدخلوا مستشفى الأمراض العقلية في سنة
١٩٣٥ (٢٠٠٣) مستجدا . وهو عدد لم يسبق له مثيل في
تاريخ المستشفيات ، وعدد العائدين ٥١٧ والله يعلم كم عدد
مرضى النفوس والعقول الذين يتمتعون بحرية هي النوع
الوحيد من الحرية الخطرة على الصحة والأمن العام والجيل
الحاضر والأجيال القادمة

ولا تنس الملاريا وعهدنا بوبائها الحالى قريب . فقد
بلغ عدد المرضى بها الذين بلغ عنهم في المدة من أغسطس
سنة ١٩٣٦ إلى نوفمبر سنة ١٩٣٦ : ٧٦١٦٧ وهذا مرض
لا يؤثر على المرضى وقتيا فقط ، بل إن لم يقض عليه يفتك
بالأمة بأسرها .

وأما أمراضنا العادية فقد عولج منها بمستشفيات
الوزارة في سنة ١٩٣٥ : ١١٤٤٥٤ بالعيادات الداخلية
و ٣٥٠٤٢٣ بالعيادات الخارجية ، أى كان نصيب كل ثلاثين
من الأصحاء مريضا في العام تقريبا ، ومجموع الزيارات
٦٩٣١٣٣١ أى خص كل ساكن في القطر المصرى زيارة

إذا أضفنا لهذا المجموع عدد الزيارات في الاقسام الداخلية
بالمستشفيات حيث ان عدد أيام العلاج في القسم الداخلى
١٧٥٩٠٠٣

هذا وما تلذ معرفته ان نفقة المريض في اليوم الواحد
بالمستشفى ١٩٠ مليا ، ومتوسط إقامة المريض أسبوعان
تقريبا . .

واتماما للاستعراض نذكر بعض الشئ عن حالة
الشبان ، وأمامى الآن إحصاء عن الذين كشف عليهم في
القومسيون الطبى العام لأجل دخول الخدمة بالحكومة
وهذا الإحصاء يصح أن يؤخذ لدرجة ما معيارا للحالة
الصحية لدى الشباب لانه من غير شك أغلب طلاب
الخدمة منهم ، فقد بلغ عدد الذين كشف عليهم ٢٥٢٧
وسب منهم ٣١ فى المائة ، منهم ٢٥ فى المائة بسبب ضعف
الابصار ، و ٦ فى المائة لأسباب بنية ، وهذا كثير بلا
شك لأن ذلك معناه أن ثلث شباننا لم يصلوا للدرجة
المتوسطة من الصحة سواء فى أجسامهم أو فى عيونهم
ولنكتف بهذا استعراضا لنموذج من الحالة الصحية
بالباطن المصرى التى تكافح الوزارة لرفع مستواها والتى

على أساسها نرسم الخطط لأداء واجبنا الصحي
ولنتنقل الآن لما نعمل حيال هذه الحالة

عناصر السياسة الصحية القومية

الآن وقد وقفتم على صورة الحالة الصحية الحاضرة
وما هي عليه ، وقد تحققتم من ان الحاجة ملحة للعمل على
تحسينها في كافة النواحي ، وقد أبنت لكم بالأرقام درجة
انتشار الامراض الطفيلية والأمراض المتوطنة في بلادنا ،
وأوضحت لكم بالاحصاء مبلغ تكاثر الامراض العادية
من جراحية وباطنية وغيرها ، عدا الأمراض المعدية
كالخسبة والدفتريا والحمى التيفوسية ، أذكر لكم انه من
الاسف ان الكثرة المطلقة من هذه الامراض تنتاب
طبقة القرويين الذين هم عماد الامة ومصدر خيرها .
فالامراض الطفيلية منتشرة بينهم انتشارا ذريعا فضلا عن
مشاركتهم لباقي المواطنين في الامراض الاخرى
أيها السادة

ان الفلاح الذي يموّن الامة بالعمال والصناع ورجال
الجيش ، بل وأغلب الطبقة المستنيرة لا يزال في حاجة

قصوى إلى الغوث من الحالة الصحية التى هو عليها . أُنتم
لستم فى حاجة لأن أصف لكم حالة الفلاح الصحية
والاجتماعية ، فانه رغم انعام الله عز وجل عليه بالهواء النقي
والشمس الساطعة والماء الغزير ، فهو محروم من كل ذلك
فى داره ، فهذه الدار هى والمقبرة سواء ، لا هواء يدخلها
ولا شمس تنفذ إليها ولا يحمل إليها القروى إلا الماء
الملوث لشربه ولا استعماله المنزلى . إنسان له مالنا وعليه
ما علينا ، يعيش وبهيئته فى مكان واحد ، يرتدى الثياب
الخلقة ويتغذى بأنفسه الطعام ، يعيش فى قرية لا تسر
الناظرين . متنزهاتها أكوام سماد ، وفساقيها برك يستوطنها
البعوض وتأوى الطيور والحيوانات المائتة . طرقها أزقة
ملتوية ترتفع تارة وتنخفض أخرى لغير ماسبب .
وتستعمل فى كثير من الأحيان بدل دورات الماء لخلو
المساكن منها ، وناهيك بما تحتويه الفضلات من جراثيم
الأمراض العديدة .

هذه صورة مصغرة من حياة الفلاح الصحية وحياة
الكثيرين الذين يمتطون بعض الاحياء فى البلدان والمدن ،
فمن هذا ترون ان الأعمال الصحية أمام رجال النهضة

جسيمة ، وانه لنجاح أية سياسة صحية قومية يجب وضع القواعد للسير بمقتضاها بعد بحثها وتمحيصها ورسم الخطط لها . وما سألقيه على مسامعكم ليس إلا بجلا لقواعد مرنة قابلة للاستزادة أو التحويل أو التبديل بحسب تقدم أحوال السكان الاجتماعية والمادية وتقدم العلوم الطبية والصحية ان المنهاج الذى سأتلوه عليكم الغرض منه معالجة الحالة الحاضرة والمحافظة على الجنس فى الجيل القادم . هذا وبدهى انه قد تطرأ بعض الطوارىء التى تدعو الى التفكير بمعالجتها قبل غيرها من المسائل الاخرى
أور - العناية بالمسائل الصحية العامة

وهذه هى من أهميات المسائل الصحية فى بلادنا وخصوصا فى القرى ، وأعنى بذلك توفير المياه النقية لجميع سكان القطر فى الحضر والريف على السواء ، وتصريف الفضلات ولا سيما بالبحث عن أنجع الوسائل لذلك فى القرى لان هذه معضلة من المعضلات الكبرى ، وقد يحتاج حلها إلى تجارب عديدة وأبحاث كثيرة خصوصا وان أراضى الوجه البحرى مشبه بالمياه - وهناك أيضا معضلة المساكن إذ ان معظمها فى الريف ، وفى الكثير من الأحياء

بالمدن والبلدان غير صحية - غير ان اهمية اصلاح المساكن تأتي في المرتبة الثالثة بالنسبة لتوريد المياه النقية وتصريف الفضلات والقمامة . لانه بطبيعة الحال إذا ما ارتقت الحالة الاجتماعية والمدنية وانتشر التعليم بين السكان فانهم من تلقاء أنفسهم يدركون أهمية المسكن الصحي ويعملون على تحسين دورهم ومساكنهم . ولكن هذا لا يدعو لاغفال حضهم على تحسين مساكنهم بأبسط الوسائل

ثانياً - يأتي بعد هذه في الأهمية العناية بالأم والطفل

ان الطفل السليم الصحيح البنية لا يأتي إلا من أم سليمة صحيحة البنية ، ولذلك إذا أردنا أن نغني بأطفالنا وجب أن نفكر أولاً في أمهاتهم ، وخير منهاج نضعه للعناية بالأمومة هو الذي يشمل إعداد طائفة من الاختصاصيين في الولادة وأمراض النساء ذكوراً وأنثاء سواء أكانوا أطباء أم مولدات أم ممرضات . والعمل على أن تحصل الأمهات على الغذاء الكافي واللازم لهن ، والاكتثار من مراكز الأمومة التي تعنى بالحامل ، وكذلك دور الولادة وإعداد مستشفيات خاصة بها أو تعميم الفروع بالمستشفيات الأخرى ، وتشجيع الأمهات على

أن يقصدها عند الحاجة إليها، وحبذا لو وجدت جمعيات خيرية تعنى بالأمهات المعوزات اللاتي يلدن في منازلهن حيث تبذل لهن العطاء من اللبن والغذاء والغطاء والمساعدة المالية - ويجب كذلك البحث في أسباب وفيات الأمهات وأسباب الأجهاض وأسباب المواليد أمواتاً والعمل على القضاء عليها .

وأما العناية بالطفل فيجب أن تكون من يوم ولادته، وقد ثبت لنا بالتجربة فوائد مرا كز رعاية الطفل الثابتة منها والمتنقلة، وقد بلغ عددها بالقطر المصرى الآن ٣٥ وهذه المرا كز مهمتها ارشاد الحامل والأم سواء كان بالمر كز أو بمنزلهن والعناية بالطفل حتى السنة الخامسة من العمر، ومن وسائل العناية الرئيسية بالأطفال إنشاء عيادات لمعالجة أمراض الأطفال في جميع الأنحاء والجهات، خصوصاً وأن الأطفال في هذه الأعمار عرضة لأمراض خطيرة العواقب على حياتهم المستقبلية كالخصبة والسعال الديكى والكساح والزوائد التي في الحلق والحول وبعض أمراض أخرى كأورام الغدد، وكل هذه الأمراض يمكن مكافحة عواقبها في الصغر حتى لا يتأثر بها الطفل كبيراً

وأما الطفل في سن المدرسة فواجبنا نحوه المراقبة الصحية والطبية في المدرسة وعلاج المرضى من التلاميذ حتى السنة الرابعة عشرة من أعمارهم ، ويجب أن يشمل هذا العلاج الأمراض الطبية وأمراض الأسنان وأمراض العظام ، كما يجب أن تشمل العناية الصحية المدارس سواء كانت الحالة الصحية لغرف الدراسة أو حالة الغذاء أو مكافحة الأمراض المعدية بين التلاميذ ، والعناية بالرياضة البدنية والمعالجة المخصصة للأطفال المشوهين أو الذين بهم نقص خلقي أو عقلي كالعمى وفقد السمع أو التشوه الجثامي أو نقص الذكاء أو ضعف البنية .

وما من شك في ان العناية بصحة التلميذ في المدرسة يجب أن يكون لها نصيب كبير في برنامج السياسة الصحية القومية حتى ينشأ الطفل نشأة صحية طيبة ، إذ قد ثبت ان منشأ الأمراض التي تصيبنا في شبابنا وكهولتنا بذرت بذورها في طفولتنا ويفعنا ، ومن هذه الأمراض الضعف العام وفقر الدم وفقد الاسنان وأمراض القلب والكلى والدرن الرئوى ..

١٢ - العناية بالبيئة

قد سبق الكلام على أهمية ضرورة حصول كل ساكن من سكان القطر المصرى على الماء النقى الخالى من الميكروبات لأن الماء غير المرشح قد يحمل ميكروبات الكوليرا والاسهال والدوسنتاريا والحُميات المعوية وغيرها، وكذلك مما لا نزاع فيه أن المسكن غير الصحى يبعث على عدم العناية بالنظافة الشخصية، كما يسبب ضعف البنية وضعف المقاومة للأمراض وعدم الصلاحية للأعمال الجدية، وقد ثبت أن نسبة الأمراض أعلى فى البيوت غير الصحية منها فى البيوت الصحية، وكذلك نسبة الوفيات—كما أن ذلك يتسبب أيضاً عن ازدحام المساكن وعدم وجود دورات المياه بها أو وجود دورات غير مستكملة الشرائط الصحية وتجمع القاذورات بها التى تبعث على تكاثر الذباب والحشرات .

١٣ - العناية بمراقبة الاغذية

وقد شرعت الوزارة بعد المعاهدة فى الأخذ بالقيام بهذه المراقبة على أساس علمى وعلى أوسع مدى وخصوصاً مراقبة اللبن واللحوم والباعة المتجولين ووقاية المواد

الغذائية من التلوث والغش . وستظهر آثار ذلك في المستقبل غير البعيد حيث ينتظر أن تقل الأمراض التي تنتقل بواسطة تلوث المواد الغذائية . وستتقدم المراقبة على محلات بيع وصنع الاطعمة .

ومن اللازم العناية بالتغذية نفسها أى انه يجب أن يحصل كل إنسان على المقدار الكافى من المواد الغذائية لنمو جسمه ولتعويضه عما يفقده ، وذلك لا يتم إلا بعمل الابحاث فى الجهات التى تظهر بها أمراض نقص التغذية وبالعمل على الحصول على القدر الكافى منها بأثمان تكون فى متناول الجميع

فأما — وأما الأمراض المعدية فيجب أن نستمر فى أبحاثنا ودراساتنا عن أسبابها وأحوال ظهورها وانتشارها واكتشافها فى أول حدوثها وتحصين السكان ضدها بالتلقيح وبالتطعيم ، وجبذا لو ساعد الجميع على التبليغ عنها للوقوف على المدى الصحيح لدرجة انتشارها ولعزل المصاب عزلا مستوفيا حتى لا ينتقل المرض من المريض إلى السليم كما ان ذلك يوفر للمريض أسباب العلاج الصحيحة ويوفر لأهله ومخالطيه

وسائل المراقبة حتى يعزل من يظهر عليه المرض، منهم
كما يمكن اكتشاف حاملي الجراثيم بينهم
وهناك مرض معد يحتاج لعناية خاصة وللاكثر من
الدور التي تعنى بمعالجته. ومن العناية بالمخالطين، وهذا
المرض هو السل بكافة أنواعه.

سادساً - وهناك طائفة من السكان يحتاجون لعناية
خاصة وهؤلاء هم العمال والصناع الذين تتوقف رفاهيتهم
وقوة انتاجهم على تمتعهم بالصحة الجيدة، ولا يكون
ذلك إلا بالمراقبة الدقيقة التي تشمل عدم اشتغال الصانع
إلا في العمل الذي يصلح له، وتحديد ساعات العمل،
وتوفير أيام الراحة الاسبوعية والسبوعية له، وأن يتوافر
في المصنع أو محل العمل كل الوسائل الصحية كالنظافة
والتهوية والاضاءة والتخلص من غبار الصناعة وغير ذلك
من الضروريات. كما انه يجب أن يتوافر للعمال والصناع
المساكن المستوفاة لجميع الشرائط الصحية والعناية
بمعالجتهم من اصابات العمل، والاكثر من وسائل
الرياضة، ورفع مستواهم العلى وغير ذلك من ضروب
الاصلاح، خصوصاً وان مصر داخلة على عهد صناعى

بها جديد . ومن المسائل المهمة التي يجب أن يعنى في
الصناعات المختلفة التأثير السيء الذى قد تحدثه هذه
الصناعات على الصحة والعمل على ملاقاته بكافة الوسائل
سابعاً - وأما الأمراض الطفيلية كالبلهارسيا

والانكلستوما التى هى معضلة العضلات ، فلا سبيل إلى
مكافحتها الآن إلا بمعالجتها ، وبذلك تقل المضاعفات التى
تنجم عنها كما يقل التعطل بين المرضى بها . ومكافحة هذه
الامراض تقضى بالقضاء على مسبباتها وعناية الافراد
بعدم التعرض للتلوث . فعن الامر الأول البحث جار
على قدم وساق ، وعن الامر الثانى فهذا موكول لعناية
الفرد بالصحة الشخصية . وهذا لا يتأتى إلا بنشر الدعوة
الصحية والتعليم الإلزامى بين كافة أبناء الشعب .

ثامناً - والآن لتكلم عن عنصر هام من عناصر
السياسة الصحية القومية وهو حفظ الجنس سليماً . وهذا
لا يتم إلا إذا بدأ الانسان حياته على أساس صحى متين ،
وهذا لا يمكن أن يكون فى الغالب إلا إذا انحدر من
أبوين لم يلوثا بالأمراض التى تنتقل بالوراثة كمرض
الزهري الذى لا يوجد أدل على كثرة انتشاره بالقطر

المصرى من ان الحوامل اللاتى قصدن مراكز رعاية
الطفل للعناية بحملهن فقط ، وليس للمعالجة من الزهري
قد وجد في سنة ١٩٣٥ ان بين كل مائة حامل ١١ دماؤهن
إيجابية للزهري . وهؤلاء كن يعتبرن أنفسهن بلا شك
سليمات من هذا المرض الذى قد يكن أصبن به على الغالب
من الآباء والاجداد بطريق الوراثة . وإن كان يجوز ان
بعضهن قد أصبن به من الأزواج — ومن الامراض التى
تؤثر فى النسل الادمان على الخمر ، وكذلك الامراض
العقلية ، خصوصا ضعف العقل الذى يجوز أن يكون
سبب مرض الوالد أو الوالدة بالجنون أو الصرع أو
الزهري أو الادمان على الخمر أو المخدرات — كما ان
الدرن الرئوى وان كان لا يورث فقد يعرض الطفل
للعوى أو للاستعداد للعوى

ولذلك وجب أن توجه عناية خاصة لهذه الحالات
وتنبيه الشعب إلى مضارها ، وحبذا لو وجه نظر الشباب
إلى الأمراض الزهرية ومضارها سواء كان بمحاضرات
أو بشهادات توزع عليهم أو بقيام أطباء المدارس بتوجيه
أنظار التلاميذ الذين فى سن البلوغ إلى اضرار ذلك

ناسعا — ان كل اهتمام رجال الصحة في الادارات
 الصحية المبتدئة يكون عادة موجها للأمراض المعدية
 سواء كان بمكافحتها أو بالقضاء عليها ، وقل أن يغنى ببعض
 الأمراض العادية التي تفتك بالسكان إلا عن طريق
 معالجتها ، مع انها في حاجة إلى دراسة خاصة وإنشاء معاهد
 للبحث في مسبباتها والتوافر على معالجتها كالروماتزم الحاد
 والمزمن والبول السكري والسرطان ، وحذا لو فكر في
 إنشاء مراكز أو معاهد لبحثها . وكذلك قد حان الوقت
 للبحث في الصحة العقلية والأمراض النفسية والجراحة
 الوقائية التي يتقرب بها شر العمليات الكبيرة ، وكذلك
 الصحة الوقائية لأمراض النساء وغيرها من الأمراض
 الشائعة ليستكمل بذلك برنامج السياسة الصحية القومية
 ويدخل في هذا الباب نشر معاهد الابحاث ومعامل
 التحاليل المختلفة وتوسيع مدارك الاطباء وتوفير وسائل
 التشخيص المجانية أو الزهيدة الاجر للشعب وقد أصبحت
 هذه الوسائل من العوامل المهمة أو المعززة لتشخيص المرضى
 عاشر — ويجب أيضاً العناية بتوفير أسباب العلاج
 لكافة أفراد الشعب خصوصا المعوزين منهم ، وبدهى أن

يكون هذا بنشر العيادات والمستشفيات والفروع
الاخصائية لا سيما فى القرى خصوصا وان احصاء سنة
١٩٣٥ قد دل على انه يوجد بالقطر المصرى فى نهاية
السنة المذكورة ٣١٥١ طبيا بما فيهم الاطباء الموظفون
يقيم منهم فى محافظتى القاهرة والاسكندرية ١٩٥٨ طبيا
أى حوالى الثلثين ، والباقون منتشرون فى باقى أنحاء القطر
وهذا توزيع غير مناسب لا يبرره عدم توافر أسباب
المدينة والرفاهية بالريف ، لأن الطبيب أينما حل ينشر
الرحمة والرفاهية معه ، فهو النموذج الذى يحتذى ، سواء
فى مسكنه أو وسيلة معيشته ، فاذا استوطن طبيب قرية
فليس من شك انه سيجتهد أن يكون سكنه مستكملا لكل
الشرائط الصحية ، ويكفى أن يقلده الكثيرون من أعيان
القرية . هذا بخلاف ما سيقوم به من إغاثة المرضى ومن
ارشاد أهالى القرية فيما يعود عليهم بالصحة والعافية .
فهل من العدل والانصاف — أيها السادة — أن يوجد
فى مديرية قنا مثلا طبيب لكل ٢٢.٦٨ من السكان ، وأن
يوجد فى مديرية البحيرة طبيب لكل ١٧.٥٨ بينما يوجد
فى القاهرة طبيب لكل ٨.٤ . فلافاة لهذا النقص يجب

أن يكون من بين عناصر السياسة الصحية القومية تيسير
المعالجة المجانية في كل مكان

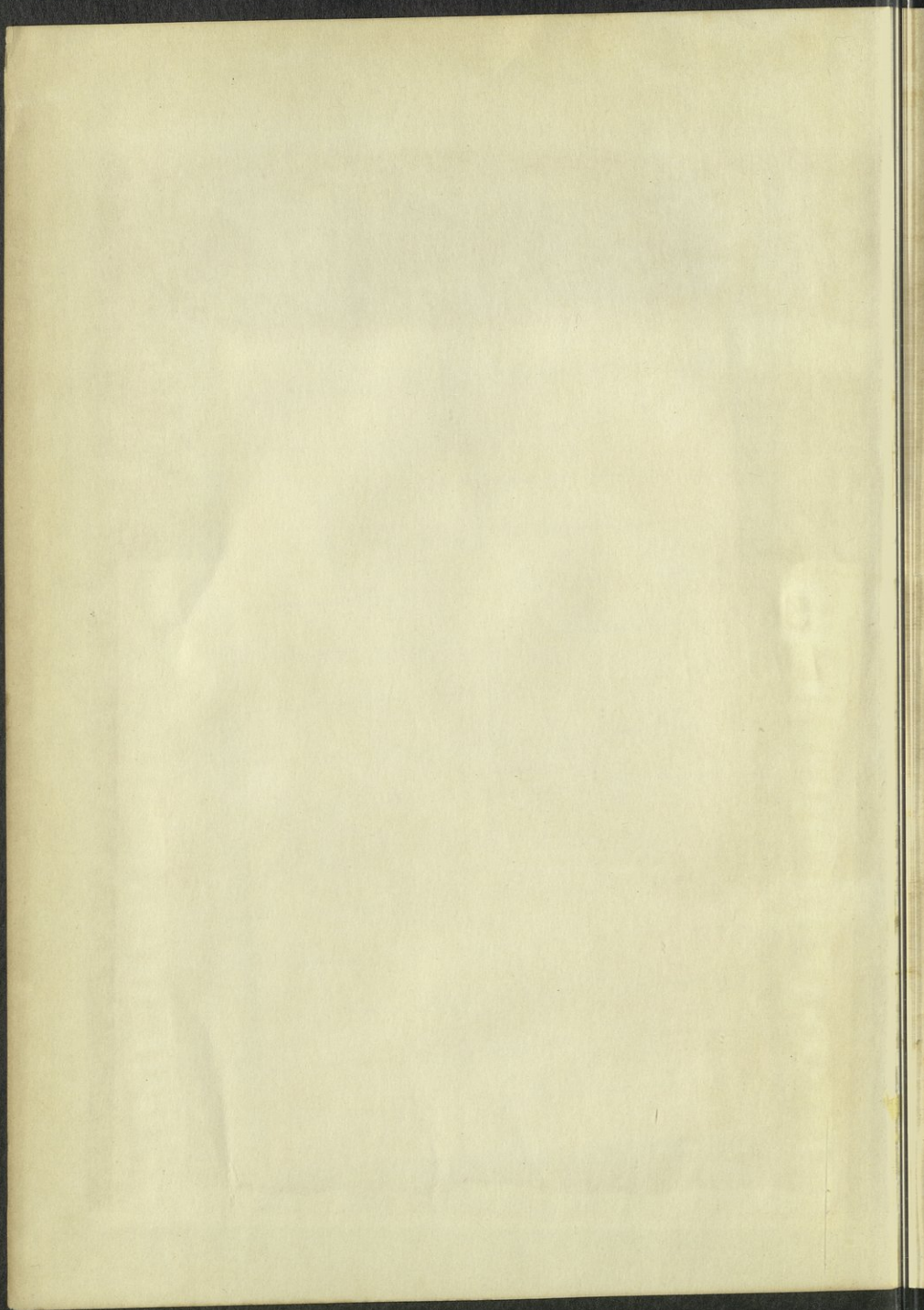
مارى عشر - يقول الامر يكون في أمثالهم: ان الصحة
العامة تشتري، وهذا صحيح اطلاقاً، أى اننا لتنفيذ السياسة
الصحية القومية التى شرحتها لحضراتكم نحتاج مال كثير،
ومن غير شك ان هذا المال لا ينفق عبثاً لانه لا تقاس
قوة الأمة واستعدادها للحفاظ على كيانها برأس مالها
النقدى فقط، بل برأس مالها الأهم أيضاً، وهو الرجال
والنساء الأصحاء، لانه ما فائدة المال للشعب المنهوك القوى
الضعيف أفزاده الهزيل شبابه؟ ولكن شراء الصحة بامال
لا يتم إلا بالرغبة فى الشراء ومعرفة ما نحتاج لشرائه -
وهذا مما لا يمكن للفرد غير المتعلم غير المعد للقيام بعملية
الشراء، وكيف يكون الاعداد لذلك؟ يكون بأمرين :-
نشر التعليم بين طبقات الشعب . والامر الثانى الدعوة
الصحية، وهى التى تكون ركناً من أركان السياسة
الصحية القومية . ونشر الدعوة يكون لممارسة الصحة
الشخصية وتعليم الفتيات واجبات الأمومة الصحيحة
وتشجيع التريبة البدنية وتعليم الشعب كيفية الوقاية من

الأمراض . ووسائل ذلك عديدة ، ويجب أن نشترك
حكومة وشعباً في القيام بنشر الدعوة الصحية وواجب
الشباب في ذلك واضح جلي .

فسلامة الأوطان خير وسيلة
وسيلها أبداً ككفاح الداء
والخير كل الخير في إصباحها
بجهاد أدواء ودرء وباء
هذا أساس المجد بل هو أصله
فاذا توطد قام خير بناء

دار النشر الحديث
مطابع احمد الصاوى محمد
القاهرة — شارع الداخلية
تليفون : ٥١٤٥١ و ٥٥٤٥٥

بسم الله
رابعة جديد حقوقي
الجامعة المصرية



962:L19wA

لجنة واجبنا بعد المعاهدة ،

واجبنا بعد المعاهدة .

962
L19wA

962:L19wA:c.1

لجنة واجبنا بعد المعاهدة. مصر
واجبنا بعد المعاهدة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01059122

